

جامعة، بسكرة، الجزائر



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة - بسكرة - الجزائر

العدد: 20

ذو الحجة 1437 هـ / سبتمبر 2016م

I.S.S.N :2253-0347

رقم الإيداع القانوني: 2012-1695

أنجز بمطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

ص.ب 145 ق.ر بسكرة 07000 الجزائر

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 20 : ذو الحجة 1437 هـ / سبتمبر 2016م

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيسة التحرير د. عبيدة صبطي إلى :

ص.ب 145 ق.ر. بسكرة 07000 الجزائر

الهاتف/ الفاكس : 0021333501260

البريد الإلكتروني : revue.fshs@univ-biskra.dz

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قواعد النشر:

- تنشر مجلة "علوم الإنسان والمجتمع" الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وفقا للشروط التالية:
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 15 صفحة بصفحات المجلة، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج « Microsoft Word » بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال، اسم الباحث ورتبته العلمية المؤسسة التابع لها(قسم، كلية وجامعة)، الهاتف والفاكس، العنوان الالكتروني وملخصين للموضوع في حدود مأتي كلمة أو ثمانية سطور أحدهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخرين على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simlified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras، العناوين الفرعية Simplified Arabic

- Times New Roman 12، أما الفرنسية أو الانكليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.
- هوامش الصفحة تكون كما يلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص (5,1623x).
- تضبط الجداول والأشكال مرقمة ومعنونة وفقا لهوامش الصفحة الآتفة الذكر، و يستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية « Note de fin » على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.
- المقالات المرسله إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق هيئة تحريرالمجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان الجامعة و البريد الإلكتروني على:

revue.fshs@univ-biskra.dz

المادة التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة تعنى بالدراسات الاجتماعية والنفسية و الاعلامية والتاريخية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د بلقاسم سلاطينية مدير جامعة بسكرة

مدير المجلة

أ.د عبد الرحمان برفوق: عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رئيسة التحرير

الدكتورة: عبيدة صبتي

هيئة التحرير

أ.د عبد العالي دبله

أ.د علي آجقو

أ.د نور الدين زمام

أ.د نور الدين تاويريت

المراجعة اللغوية

أ.د/ أشرف صالح محمد سيد

أ/ فاتح حلوي

إعداد وإخراج

د. عبيدة صبتي

الهيئة العلمية

أ.د / علي آجقو، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د/ سلاطنية بلقاسم، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د/ عبد العالي ديلة، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / زمام نور الدين، جامعة بسكرة، الجزائر
أ.د/ الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / نصر الدين جابر، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / عبد العزيز علي الخزاعي، جامعة الأردن	أ.د / حسان الجيلاني، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / عبد الرزاق الدليمي، جامعة البترا، الأردن، عمان	أ.د /ديديي لوساوت، جامعة باريس 8 ، فرنسا
أ.د/ فريد الماسوي، جامعة باريس 8، فرنسا	أ.د / محمد المري محمد اسماعيل خليل، جامعة الزفازيق، مصر
أ.د / ناصر الدين زبدي، جامعة الجزائر 2	أ.د / دحو فغور، جامعة وهران ، الجزائر
أ.د/ الحاييس عبد الوهاب جوده، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان	أ.د / ميلود سفاري، جامعة سطيف ، الجزائر
أ.د/ أشرف صالح محمد سيد، جامعة ابن رشد، هولندا	أ.د / مراد بوطبة، جامعة أم البواقي، الجزائر
أ.د/ رشيد حمدوش، جامعة الجزائر 2	أ.د/ عبد الحميد جفال، جامعة عنابة ، الجزائر
أ.د / معن خليل العمر، جامعة سيدني، استراليا	أ.د/ الهاشمي مقراني، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر
د / صالح محمد حميد، جامعة الصنعاء، اليمن.	أ.د / ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة ، الجزائر
أ.د/عفراء ابراهيم خليل إسماعيل العبيدي، جامعة بغداد، العراق.	أ.د/ نور الدين تاويريرت، جامعة بسكرة ، الجزائر
د/ سعيد العبدولي، جامعة قرطاج، تونس	د/ فكري لطيف متولي، جامعة الشقراء، المملكة العربية السعودية.

فهرس المحتويات

11	الافتتاحية	
الدراسات الاجتماعية		
15	<p>التغيير في المؤسسة و تأثيره على نمط التسيير الإداري</p> <p>أ.د/ مصطفى عوفي جامعة، باتنة 1، الجزائر</p> <p>أ/ فهيمة بوهنتالة، باتنة 1، الجزائر</p>	01
33	<p>تمكين العاملين (متطلباته فوائده و مزاياه)</p> <p>د/ سامية حميدي، جامعة بسكرة، الجزائر</p> <p>الباحثة: سليمة قشيدة، جامعة بسكرة، الجزائر</p>	02
55	<p>تحديات تطوير الخدمة العمومية وعلاقتها بالاتجاهات و المعايير</p> <p>السوسيوثقافية للموارد البشرية</p> <p>د/ بوبكر تيقان، جامعة دالي ابراهيم، الجزائر</p>	03
75	<p>سوسيولوجية العولة الدلالات والابعاد التآثرية ذات السياق الاجتماعي الثقافي.</p> <p>د/ مليكة عرعور، جامعة بسكرة، الجزائر</p>	04
91	<p>وضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني</p> <p>الأستاذ: بشير طلحة، جامعة الأغواط، الجزائر</p>	05

الدراسات النفسية الاجتماعية		
117	الطب الشعبي و الطب الحديث، من منظور نفسي اجتماعي د/ عادل قايد، جامعة تيارت، الجزائر د/ عبيدة صبطي، جامعة بسكرة، الجزائر	06
الدراسات النفسية و التربوية		
139	أثر برنامج تدريبي قائم على السلوك التوكيدي في رفع مستوى التوكيدية لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة-دراسة ميدانية بمتوسطة أبو بكر مصطفى ابن رحمون -بسكرة- أ.د/ محمد بلوم، جامعة بسكرة، الجزائر الباحثة: فايزة حلاسة، جامعة بسكرة، الجزائر	07
169	ظاهرة الاغتراب النفسي عند المراهقين دراسة ميدانية لعينة من تلاميذ ثانوية العربي بن مهدي -مدينة بسكرة- أ.د/ عيسى قبقوب، جامعة بسكرة، الجزائر الباحثة: عتيقة سعدي، جامعة بسكرة، الجزائر	08
195	دور الإرشاد النفسي في رفع درجة تقدير الذات لدى المطلقات د/ سليمة رويينة، جامعة الجزائر 2	09

223	العلاقات الزوجية المضطربة كما يدركها الأبناء و علاقتها بصحتهم النفسية دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعين بولاية سطيف د/ شريفة بن غذفة، جامعة سطيف2، الجزائر	10
الدراسات الإعلامية		
247	ثنائية المرسل والمتلقي في ضوء سلطة التقنية نحو إعادة التفكير في أفق العلاقة وفلسفة المفاهيم أ.د/ رضوان بوجمعة، جامعة الجزائر 3 الباحث: يعقوب بن الصغير، جامعة الجزائر 3	11
271	دور الإعلام الجديد في التربية والتعليم د/ علي صالح أبو عائشة، جامعة الزاوية، ليبيا	12
الدراسات التاريخية		
299	مسؤولية الدولة الفرنسية في تنظيف الصحراء الجزائرية من الإشعاعات النووية التي خلفتها فرنسا الاستعمارية إثر تفجيرها للقنبلة النووية سنة 1960 د/ غيلاني السبتي، جامعة باتنة، الجزائر الباحث: فيصل فالتة، جامعة باتنة، الجزائر	13

323	التعاشيش المذهبي بالجزائر العثمانية، مؤسسة الوقف أنموذجا (التحبيس على المذهب الحنفي) الأستاذة: وافية نفطي، جامعة بسكرة، الجزائر	14
الدراسات باللغة الأجنبية		
03	Approche sociolinguistique du discours journalistique en Algérie : renouvellement social et renouvellement linguistique Nadjiba Benazzouz, Université de Biskra, Algérie.	15
27	Insight et trouble obsessionnel compulsif : à propos d'un cas Ratiba Djedid, Université de Bejaia, Algérie.	16

الافتتاحية

يصادف صدور العدد عشرون من مجلة علوم الإنسان والمجتمع مناسبة افتتاح السنة الجامعية (2016/2017)، هذه المناسبة الطيبة التي يشرفنا فيها حضور معالي وزير التعليم العالي البروفيسور الطاهر حجار للإعلان عن الافتتاح الرسمي للدخول الجامعي، التي نأمل فيها أن تكون سنة مليئة بالنشاطات العلمية والثقافية.

وعليه تواصل المجلة في مسيرتها العلمية بثقة وبخطى ثابتة، لتحقيق المزيد من المقروئية ولتوسيع دائرة الاعتماد لدى المراكز والهيئات العلمية الدولية. ولهذا سيجد القارئ و الباحث في مجلتنا هذه مقالات وبحوث شتى تعالج قضايا انسانية واجتماعية تتطلب حلولاً آنية. تتألف من ستة عشر (16) مقالا موزعة على خمسة محاور .

تناول هذا العدد خمس دراسات اجتماعية عالجت الأولى مسألة التغيير في المؤسسة و تأثيره على نمط التسيير الإداري، أما الدراسة الثانية فرصت تمكين العاملين (متطلباته فوائده و مزاياه)، في حين تطرقت المقالة الثالثة إلى تحديات تطوير الخدمة العمومية وعلاقتها بالاتجاهات و المعايير السوسيوثقافية للموارد البشرية. لنعرج بعد ذلك لسوسيولوجية العولمة الدلالات والأبعاد التأثيرية ذات السياق الاجتماعي الثقافي. هذا وتناولت الدراسة الأخيرة وضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني.

وتتعرض صفحات مجلة علوم الإنسان والمجتمع أيضا في هذا العدد لجدلية الطب الشعبي والطب الحديث من منظور نفسي اجتماعي. كما تناول العدد أربع دراسات في مجال العلوم النفسية والتربوية، حيث تناولت الدراسة الأولى أثر برنامج تدريبي قائم على السلوك التوكيدي في رفع مستوى التوكيدية لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة، أما الدراسة الثانية فعالجت ظاهرة الاغتراب النفسي عند المراهقين، في حين تناولت المقالة الثالثة دور الإرشاد النفسي في رفع درجة تقدير

الذات لدى المطلقات، هذا وتناولت الدراسة الأخيرة العلاقات الزوجية المضطربة كما يدركها الأبناء و علاقتها بصحتهم النفسية.

هذا وعالج العدد دراستين في مجال علوم الإعلام والاتصال الأولى حول ثنائية المرسل والمتلقي في ضوء سُلطة التقنية نحو إعادة التفكير في أفق العلاقة وفلسفة المفاهيم والثانية حول دور الإعلام الجديد في التربية والتعليم.

كما ترحل المجلة في هذا العدد إلى عالم التاريخ، وذلك من خلال التعرف على مسؤولية الدولة الفرنسية في تنظيف الصحراء الجزائرية من الإشعاعات النووية التي خلفتها فرنسا الاستعمارية إثر تفجيرها للقنبلة النووية سنة 1960 وإلى مسألة التعايش المذهبي بالجزائر العثمانية، مؤسسة الوقف أمودجا.

وكعادة مجلة علوم الانسان والمجتمع، فهي مثل كل عدد، تقدم لك عزيزي الباحث، دراستين باللغة الأجنبية، في مجالي اللسانيات وعلم النفس.

وفي الأخير لا يسع هيئة التحرير إلا أن تنوه بالجهود التي بذلها البروفيسور عبد الرحمان برقوق على رأس مديرية النشر وطاقمها الإداري لسنوات من أجل تنظيمها وتطويرها والوصول بها إلى أسمى الأهداف والغايات واعتمادها أخيرا من طرف المديرية العامة لتطوير البحث العلمي.

والله من وراء القصد وهو الهادي السبيل....

رئيسة التحرير

الدكتورة: عبيدة صبطي

الدراسات الاجتماعية

التغيير في المؤسسة و تأثيره على نمط التسيير الإداري

الأستاذ الدكتور: مصطفى عوفي جامعة، باتنة 1، الجزائر

الأستاذة: فهيمة بوهنتالة، باتنة 1، الجزائر

الملخص:

إن تنظيمات العمل وخلال السنوات الأخيرة عرفت تغييرات عديدة، نمت وتطورت مع التحولات الاقتصادية التي شهدتها العالم، وقد تركت أثرها الهام على المؤسسات الصناعية حيث أحدثت تحولاً من نموذج تنظيمي لنظام الإنتاج إلى نموذج آخر، أو استبدال أساليب تسيير قديمة بأساليب جديدة تتماشى مع الظروف التي تمر بها المؤسسة الاقتصادية الجزائرية ففرضت نظام تسيير إداري مختلف وأكثر فعالية باستطاعته تحقيق أهدافها.

Abstract:

In recent years the work of the organizations have experienced many changes that have evolved with the global economic transformations leaving a significant impact on the economic institutions that change the system of production of an organizational model to another as replacing the old methods by new that go with the circumstances encountered by the company according to the above this study aims to put the most significant changes identified.

مقدمة:

لقد تزايد عدد المهتمين و الدارسين في ميادين علمية متعددة لظاهرة التنظيم، لما لها من آثار اقتصادية اجتماعية و حضارية تنعكس على مصادر، و طرق خلق وإشباع الحاجات الإنسانية إضافة إلى ما عرفته من تعقيد على مستوى التسيير، فالتغيرات الحاصلة لم تكن وليدة الصدفة بل جاءت مقصودة أراد من خلالها أصحاب المشروعات الصناعية إدخال نوع من الديناميكية على تنظيمات العمل، و هذا عن طريق تغيير أساليب التسيير القديمة و استبدالها بأساليب جديدة مغايرة، تتماشى مع الظروف المستجدة بالإضافة إلى تغيير شكل السلطة الإدارية، نمط التكنولوجيا المستخدم في عمليات الإنتاج، طرق تقسيم العمل و أنساق الاتصال، كل هذه العوامل و أخرى سعيًا منهم لتحقيق المزيد من الفعالية الاقتصادية.

و الجزائر كغيرها من الدول وجب عليها إتباع، و مواكبة التطورات الحاصلة منذ السنوات الأولى للاستقلال، و قد انتهجت عدة إصلاحات متعاقبة بداية بالتسيير الذاتي للمؤسسات إلى غاية الدخول في اقتصاد السوق، و لتفسير الوضعية التي آلت إليها المؤسسة الصناعية وجب علينا الرجوع إلى مختلف التغيرات التنظيمية التي مرت بها، لمعرفة مدى تأثير هذا التغيير على نظام التسيير مهما كان نوعه.

وعلى هذا الأساس فقد تطرقنا في دراستنا إلى ثلاثة محاور رئيسية هي:

المحور الأول: التغيرات التنظيمية التي مرت بها المؤسسة قبل 1998.

المحور الثاني: تغيير نمط الملكية و الدخول في اقتصاد السوق .

المحور الثالث: خطوات التغيير من اجل تسيير فعال .

المحور الأول: التغييرات التنظيمية التي مرت بها المؤسسة

لقد قامت الجزائر بوضع قواعد في ميدان التصنيع و مرت من خلال ذلك بعدة تغييرات تنظيمية على مستوى المؤسسات الصناعية و سنقوم بتحليل تلك التغييرات و ما ترتب عنها على جماعات العمل وطريقة التسيير خلال المراحل التاريخية المتعاقبة و هي كالتالي :

أولاً:مرحلة التسيير الذاتي (1962_1965):

بعد الاستقلال واجهت الدولة أزمة اجتماعية و اقتصادية، و كان شغلها الشاغل مواصلة تسيير الأجهزة القائمة و لذلك كان التسيير الذاتي مفروضاً من الواقع كاستجابة لظروف اقتصادية و سياسية و اجتماعية صعبة فرضت عليها العمل بهذا النمط، حيث كان جل المؤسسات الصناعية صغيرة الحجم و استيعابها لعدد العاملات قليل، فقد عدد المؤسسات بين 314 و 345 مؤسسة توظف 30000 عامل كان رد فعلهم بعد رحيل العاملين الأجانب هو الاندماج لمتابعة النشاط بها⁽¹⁾.

فاخذ العمال الجزائريون على عاتقهم مهمة التسيير فمط التسيير الذاتي يقوم أساساً على مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج و قد تبع هذا الإجراء إصدار السلطة السياسية بعض النصوص القانونية التي تحمي حقوق العمال في تسيير الوحدات تسييراً ذاتياً عام 1963 و قد قام على مبادئ رسمية هي⁽²⁾ :

1. تحقيق الاستقلال الاقتصادي للوحدة الإنتاجية في إطار الخطة العامة .
2. تحقيق الاستقلال الإداري للوحدة الإنتاجية التي يتولى تسييرها تسييراً ذاتياً وفق القوانين المسطرة.
3. توزيع الأرباح المحققة على العمال بعد اقتطاع الحصة المقررة للدولة .

و قد سعت الدولة الجزائرية إلى تجسيد مبدأ الديمقراطية داخل تسيير المؤسسات، فمشاركة العمال كانت كبيرة و فعالة إلا أن هذا النمط قد عانى من عدة مشاكل أهمها⁽³⁾:

1. نقص الإطارات و اليد العاملة المؤهلة، فالذهاب الجماعي للمعمرين ترك فراغا كبيرا.
2. انعدام قنوات الاتصال بين الإدارة و العمال.
3. نقص الموارد المالية .
4. تعارض المصالح بين كل من رجال الإدارة (سلطة الدولة) و بقية جماعات العمل التي تنتمي إلى تنظيمات التسيير الذاتي و بمرور الوقت تمكن رجال الإدارة أن يكسبوا تحالف هيئات التسيير لمصلحتهم و من ثم تحولت أهداف هذه الهيئات من الدفاع عن مصالح العمال إلى معارضة لطموحاتهم و مصالحهم الاجتماعية المقررة .

ثانيا:مرحلة التسيير الاشتراكي (1965 _ 1978):

بعد استناد الاقتصاد الوطني على القطاع العام كقاعدة خصوصا في المجال الصناعي سعت المؤسسات العامة من خلال تبنيها لسياسة جديدة (الاشتراكية) إلى إحداث تغيرات في تسيير الاقتصاد و قد كان من أهداف هذا النظام الاشتراكي إعادة تنظيم العلاقات بين العمال و المسيرين الصناعيين و ذلك بالتأكيد أساسا على ضرورة مشاركة العمال إلى جانب الإداريين في التسيير و قد نص ميثاق التسيير الاشتراكي للمؤسسات بان مشاركة العمال و الإداريين في التسيير تؤدي إلى نتائج جيدة كما تساعد على التخلص من أي تفكير قد يؤدي إلى سيطرة البيروقراطية.

كما أن النظام يسعى إلى تحويل العامل من أجير إلى عامل منتج و مسير في أن واحد⁽⁴⁾. فالمؤسسات الجزائرية في ظل النظام الاشتراكي كانت تمارس نشاطاتها تحت وصاية الوزارة المختصة التابعة و من ثم لم يكن لها الحق في اتخاذ

القرارات أو إصدار الأوامر إلا من خلال الرجوع إلى المركز. كما جعل هذا النظام علاقات المؤسسة مع الوزارات الأخرى و مؤسساتها و علاقات المؤسسة مع المؤسسات الأخرى في نفس القطاع تنظم عن طريق الجهة الوصية في كل النشاطات التي تمارسها.

و الواقع إن عدم فعالية أنساق الاتصال على مستوى تنظيمات العمل ظل المشكل المطروح خلال هذه المرحلة بالذات نظرا لاهتمام الإدارة بنوع واحد من قنوات الاتصال و هو الاتصال النازل الذي يخدم مصالحها⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من تأكيد نصوص من التسيير الاشتراكي على ضرورة التعاون و التنسيق بين مختلف التنظيمات قصد الوصول إلى إقامة علاقات اجتماعية جيدة داخل محيط العمل إلا أن هذه الصورة المثالية ظلت بعيدة التحقيق بل على العكس من ذلك، فقد رأت جماعات العمل ضمن هذه التنظيمات أن تلك القوانين قد قيدت حرية الطبقة العاملة من خلال إجراءاتها البيروقراطية حيث منعتهم من التعبير و إبداء الرأي و حتى حقهم في الإضراب تعبيرا عن عدم تحقيق مطالبهم أو رفضهم لطريقة التسيير و قد أوضحت المادة 61 من الدستور بتاريخ 22 فبراير 1976 هذه العلاقة على النحو التالي: (تنظيم علاقات العمل في القطاع الاشتراكي عن طريق الإجراءات القانونية و تسوى طبقا للأشكال الاشتراكية للتسيير أما بالنسبة للقطاع الخاص فان حق الإضراب قد تم الاعتراف به و يجري تنفيذه وفقا للقانون⁽⁶⁾).

و بالرغم من قرار منع الإضراب خلال هذه المرحلة، إلا أنها و النقابة لم تستطعا السيطرة على الوضع و ذلك بدليل قيام حركة مستمرة من الإضرابات على مستوى العديد من المؤسسات الوطنية، مثل المؤسسة الوطنية للصناعات الغذائية SOGIDIA، المؤسسة الوطنية لمواد البناء D.N.C و غيرها و قد ارتفعت حالات الاحتجاج داخل القطاع العام من 344 حالة خلال 1977 لتصل إلى 394 حالة عام 1980 .

ولقد سعى النظام الاشتراكي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية و رفع مستوى المعيشة عن طريق زيادة معدل الإنتاج و تحويل العامل المنتج إلى مسير، إلا أن نقص تكوين العمال جعلهم غير مؤهلين لتأدية دور فعال في المؤسسات و كذلك انشغال المسيرين بالوظيفة الإنتاجية على حساب الوظيفة التكوينية للعمال حال دون ذلك .

ثالثاً: مرحلة إعادة الهيكلة (1980_1988) :

لقد تميزت المراحل السابقة ببروز المؤسسات الوطنية بحجم كبير تجسيدا لسياسة التسيير المركزي، حيث تتصرف كإدارة للفرع كله محتكرة إنتاجه و تجارته الخارجية، كذلك التوزيع الداخلي للإنتاج الأمر الذي أدى إلى صعوبة تسييرها و بالتالي وجدت ضرورة لإعادة هيكلة المؤسسات الوطنية و التي اعتبرت كخطوة أولى في هذا المجال منذ 1977 عند تقييم وزارة الصناعة آنذاك. و الإجراء الفعلي لم يبدأ إلا في نوفمبر 1979 عندما عين حزب جبهة التحرير الوطني لجنة لدراسة المواضيع المرتبطة بإعادة هيكلة المؤسسات الوطنية⁽⁷⁾.

إن الهدف الأساسي من إعادة الهيكلة كان تعميق التطبيق الفعلي للتسيير الاشتراكي على أساس أن حجم المؤسسات و مستوى المركزية المطبق فيها قد أصبح في حاجة إلى توزيع الصلاحيات بين الوحدة الإنتاجية و الجهة الوصية و قد عرفت المؤسسة العمومية تغييرا بنائيا في شكلها التنظيمي حيث يمكن تصنيفها في شكلين هما⁽⁸⁾ :

1. إعادة الهيكلة العضوية:

وفيه تمت إعادة هيكلة المؤسسات الوطنية كبيرة الحجم الخاضعة للتسيير المركزي إلى مؤسسات عمومية صغيرة أو متوسطة يسهل تسييرها و تحسين مردوديتها الإنتاجية.

2-إعادة الهيكلة المالية:

لقد فرض مشروع إعادة الهيكلة العضوية للمؤسسات العمومية ظهور شكل ثنائي ألا وهو إعادة الهيكلة المالية من أجل تجسيد الاستقلال المالي و عدم الاعتماد على إعانة الدولة.وقد تم الشروع في إعادة الهيكل المالية للمؤسسات ابتداء من سنة 1983، حيث بلغ عددها حوالي 300 مؤسسة و امتد المشروع إلى غاية 1987 و خصص له مبلغ 60,5 مليار دينار جزائري⁽⁹⁾. كما تم تنفيذ مشروع إعادة الهيكلة في ظرف زمني قصير دون أن يتم تهيئة الظروف الملائمة لانطلاقته على أسس صلبة مثل الإطارات و المقرات و التجهيزات اللازمة مما ضاعف أعباء المؤسسات و جعلها تغرق في الديون.

ومن بين العوامل الأخرى التي ساهمت في تدهور معدلات النمو، طريقة التسيير و خاصة فيما يتعلق باتخاذ القرارات و كيفية تطبيقها.إنفلاس المؤسسات العمومية و الأعباء المالية التي كانت تتحملها الدولة دفعها إلى تطبيق إصلاح آخر يستهدف استقلالية المؤسسة العمومية و بهذا انتقلت إلى مرحلة أخرى من الإصلاحات و تبنت نمط تسيير جديد.

3- مرحلة الاستقلالية (1988_ 1994) :

لقد تم وضع معايير عن كيفية ووقت تطبيق هذه المرحلة من الإصلاحات و يقوم نظام الاستقلالية حسب ماجاء في الميثاق الوطني 1986 على هدف أساسي، ألا وهو تحسين فعالية المؤسسات الاقتصادية على مستوى نموها الخاص أو على مستوى مساهمتها في عملية التنمية الاقتصادية و الاجتماعية بصفة شاملة، خاصة عن طريق احترام معايير الإنتاج و الإنتاجية و بالتالي ضمان تحكم أفضل في قواعد التسيير⁽¹⁰⁾.

و استقلالية المؤسسات تعني إعطاء حرية المبادرة لمسيري المؤسسات العمومية في اتخاذ القرارات الاقتصادية أي استقلالية المؤسسة في التسيير و

أصبحت هذه الأخيرة مستقلة تتعامل على أساس القوانين الاقتصادية و المالية و معرضة للتصفية و الإفلاس في حالة عجزها عن الوفاء بالتزاماتها.

ورغم هذه الإجراءات جاءت عملية تقييم مشروع استقلالية المؤسسات العمومية لتشير إلى فشل هذا النظام الجديد في تحقيق الأهداف المرجوة منه و فشله في تحسين المدرودية الإنتاجية و عدم تمكنه من بلوغ النتائج المالية المرغوبة و قد ارجع مسيرو مجموعة من المؤسسات الوضعية السيئة إلى قدم الآلات و المعدات، ضعف عمليات الصيانة بالمؤسسات التي أدت بدورها إلى ارتفاع حالات الأعطال، حيث شملت 90 ٪ من مؤسسات القطاع الصناعي العام⁽¹¹⁾. وقد أدت الوضعية المالية المتدهورة للمؤسسات العمومية التي دخلت بنظام الاستقلالية إلى لجوئها إلى البنوك قصد طلب قروض وهكذا ظلت المؤسسات تعيش صدمات متكررة و مشاكل لا تنتهي مما جعل الدولة تبحث من جديد في إطار إيجاد حلول تمثلت في ظهور بوادر جديدة للإصلاح و التغيير خصوصا و أن الوضع المالي للدولة في تازم و لم يسمح لها بالتكفل بالنتائج السلبية لهذه المرحلة .

المحور الثاني: تغيير نمط الملكية و الدخول في اقتصاد السوق :

عرفت العشرية الأخيرة من القرن الماضي أوضاع سياسية غير مستقرة أثرت بصورة سلبية على كل من الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للبلاد، حيث واجه الاقتصاد الوطني عدة عقبات نتيجة تخريب العديد من ممتلكات الدولة كحرق المصانع، هجرة الإطارات و الكوادر من جهة و إفلاس المؤسسات العمومية و غلقها و تسريح عمالها من جهة أخرى، كذلك التدهور في قيمة العملة إلا أن الدولة بقيت صامدة تحاول إتباع سبل جديدة لإخراج البلاد من الأزمة، حيث أدركت أن النهوض باقتصادها يتم عن طريق إتباع سياسة السوق الحرة و رفع يد الدولة عن العديد من الأمور الاقتصادية و التوجه نحو اقتصاد السوق أيا لمنافسة الكاملة عن طريق ضبط السوق بواسطة قوانين لتفادي وجود احتكارات.

و أهم مبدأ ترتكز عليه هو حق الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، كذلك الحرية الاقتصادية و تمارس على المستويين الوطني و الدولي، فالإصلاح الاقتصادي قد تحول إلى موجة عالمية واسعة ترتكز على تقليص دور الدولة إلى ابعدها الحدود و نقل ملكية القطاع العام إلى القطاع الخاص أي الخصخصة و تعرف هذا الأخيرة بأنها كل شكل من أشكال التحويل للملكية لمؤسسات الدولة إلى مساهمين آخرين مما يؤدي إلى تحكم فعال في الأنشطة الاقتصادية مستقبلاً، إن هؤلاء المساهمين يمكن أن يكونوا أشخاص معنويين أو اعتباريين، مستثمرين، محليين وأجانب.

و يرى تيمير THIEMEYER إن الخصخصة تمر بعدة مراحل أساسية، حيث تستهدف المرحلة الأولى تشجيع المنافسة من أجل تحقيق الفعالية بينما تستهدف في المرحلة المتقدمة خصخصة الاحتكارات العمومية.

و هكذا نجد أن هناك العديد من الاقتصاديين يبررون فكرة الخصخصة على أساسان الخواص قادرين على توفير إدارة مسيرة تمتاز بالكفاءة في استخدامها للموارد المتاحة و فعالية في تسييرها، بحيث توجه الادخار نحو المشروعات المربحة بالتالي فهي تساهم في تخفيضاً لأعباء المالية التي تتحملها الحكومة. فالانخفاض المستمر في أسعار البترول منذ 1986 خلق أزمة مالية حادة حرمت البلاد من موارد مالية هامة بالعملة الصعبة كانت مستعملة في مختلف المجالات الاقتصادية و بالأخص تمويل المؤسسات العمومية ماليا و تقنيا و هذا ما جعل هذه الأخيرة تعيش شللاً تاماً و بالتالي كان الحل الوحيد هو بيعها للتخلص من أعباءها المالية، بالإضافة إلى تغطية احتياجاتها و كانت تتميز بقلّة إنتاجها و عدم فعاليتها وهذا راجع إلى :

1. ضعف الأداء لأنه لا توجد رقابة صارمة.
2. غياب المنافسة و انعدام الكفاءة .
3. غياب الدافع إلى تحقيق الربح مادام العامل يتقاضى مرتبه الشهري .
4. تدخل الدولة في الإدارة مما أدى إلى تفشي البيروقراطية بسببها .

5. انعدام آليات التسيير الفعالة و غياب الثقافة الإدارية.

(1) أهداف الخصوصية:

إن خصوصية القطاع العمومي من شأنه ان يساهم في تحقيق أهداف هامة تدرج فيما يلي:

1. توسيع أسواق رؤوس الأموال و زيادة حجم الاستثمار ففتح المجال للاستثمار سواء كان داخليا يعتمد على إدارات جديدة حاملة لتكنولوجيات متطورة، فيؤدي ذلك لفتح الأسواق العالمية و الاستفادة منها و بالتالي تحسين و تدعيم ميكانيزمات السوق ، مما يترتب عليه استخدام أفضل الموارد المتاحة⁽¹²⁾ .

2. نقص الأعباء الإدارية و المالية و خفض النزف في الموارد من خلال تخلي الدولة عن مساعدة المؤسسات العاجزة أو ذات مردودية ضعيفة .

3. خفض الدين العام و تقليص حجم العجز الذي طال المؤسسات .

4. تنشيط و تطوير أسواق المال و يكون بين اقتصاديات المديونية التي تعتمد عليها الدولة لتمويل اقتصادها باللجوء إلى الوساطة البنكية على العملة المتداولة في السوق الاقتصادية⁽¹³⁾ .

5. تطوير المساهمة الشعبية و تحقيق الانضباط في السلوك، فالحرص على المنشآت الخاصة يكون أكثر من الحرص على المنشآت العامة، كذلك في طريقة التسيير و الحزم و بالتالي الانضباط أكثر في السلوك و التفكير.

6. خلق روح المنافسة الناتج عن دخول مستثمرين أجانب لأسواق جديدة أو محليين ، بحيث كلما زاد عددهم اشتدت حدة المنافسة و بالتالي تنتج خدمات و سلع أكثر جودة و فعالية و تنخفض معها الأسعار ، فالخصوصية إذن تساهم في تعزيز و دعم المنافسة و القضاء على الاحتكار⁽¹⁴⁾ .

7. رفع الكفاءة الإنتاجية و مستويات الأداء نتيجة لربط العملية الإنتاجية بالأهداف الاقتصادية المسطرة لها حيث أن السوق لا يجرم كل مترخ أو متكاسل و في ظل مبادئ المنافسة يكون البقاء للأصلح و الأقوى و عليه تركز المؤسسات الخاصة على مقدار و نوعية العطاء من العاملين و ليس على الاعتبارات الخارجة عن موضوع العمل كما يجري في المؤسسات العامة، مما

يفتح المجال إمام الكفاءات للبروز ، كما يفتح المجال للتخلص من العمالة الزائدة و الغير منتجة .

إن الهدف من اللجوء إلى الخصوصية لم تعد الغاية منه تحقيق التراكم المتزايد لرأس المال بل تحول إلى وسيلة تجمع من خلالها جميع الموارد و الإمكانيات من اجل تحقيق الفعالية الاقتصادية و نقل اقتصاد تتحكم فيه العلاقات الملكية لوسائل الإنتاج و المسيرة إداريا باستخدام قوانين التوجيه و التخطيط و التمويين إلى الاستثمار و الإنتاج و إلى التجارة و التوزيع في ظل منافسة حادة ، تمثل جوهر النظام الاقتصادي الحر .

ثانيا: أشكال الخصوصية و تقنياتها:

إن الطرق المتبعة في نقل الملكية من مؤسسات القطاع العام إلى القطاع الخاص عديدة و تعتبر انعكاسا لاختلاف وضعية المؤسسات و الظروف التي تمر بها الدولة كذلك قوى التغيير، من بين هذه الأشكال⁽¹⁵⁾:

1- التنازل عن طريق السوق المالية:

حيث يمكن أن يتم التنازل عن طريق بيع الأسهم و أما بغرض علني للبيع بسعر ثابت و مما تظافرا لأسلوبين معا .

2 - البيع عن طريق التراضي: و يتم اللجوء إلى هذه الطريقة عند بيع منشآت هامة في قطاع الخدمات العامة أو الصناعات الإستراتيجية، حيث يشترط في المستثمر الجديد القدرة على التطوير و التحديث في عملية نقل الملكية و تكون الشفافية مطلوبة في هذه العملية.

3- البيع عن طريق المزايدة:

يتم التنازل عن القيم و الأسهم المنقولة و كذلك التنازل الكلي أو الجزئي لأصول المؤسسات العمومية القابلة للخصوصية عن طريق المزايدة المحددة أو المحدودة أو المفتوحة وطنية كانت أو دولية⁽¹⁶⁾ .

4- التنازل المجاني لأسهم المؤسسات العمومية :

ويتم بموجبه توزيع الأسهم والأموال مجاناً للعمال و هذا يهدف إلى تطوير المساهمة الشعبية و من شأنه أن يزيد في فعاليتها، حيث لكل مواطن الحق في اكتساب 5 ٪ من الأسهم و الاستفادة من التسهيلات في الدفع و التخفيض بالنسبة للعمال 25 ٪ من القيمة الأصلية و تأجيل التسديد على فترة 3 سنوات، إلا أن هذه العملية شكلت عبئاً على العمال لضعف قدرتهم على التمويل و التجديد و التطوير للمنشآت التي ألتاليهم.

5- التنازل عن الأحوال المحلية لقاء الديون الخارجية:

و يطرح مبرراً لهذه العملية التخلص من الأعباء المترتبة على الديون الخارجية ولكن حق المستثمر الجديد في إخراج الأرباح و حصيلة بيع هذه الأصول من شأنه أن يشكل ضغطاً على حصيلة القطاع الأجنبي، عدا ما يحمله ذلك من خطر زيادة نفوذ رأس المال الأجنبي في الاقتصاد الوطني.

ثالثاً: مراحل تطبيق الخوصصة و أثارها:

لقد حددت ثلاثة مراحل أساسية لعملية الخوصصة و هي⁽¹⁷⁾:

1-مرحلة التحضير و التقسيم: بعد تحديد الوحدات المراد خصخصتها، يتم إعداد دراسات فنية و اقتصادية و مالية للشركات و المنشآت المطروحة للبيع لتقديم صورة وافية.ولإعطاء نوع من المصادقية تقوم جهات مستقلة بإعداد هذه الدراسات.

2-مرحلة إصدار القوانين و اللوائح التنظيمية:

و التي من شأنها أن تتيح عملية نقل الملكية.

3-مرحلة إعادة هيكلة المؤسسات العامة:

و الغاية من هذه المرحلة تخلص المؤسسات المطروحة للتخصيص من كافة القيود و الإجراءات التنظيمية و الديون و العمالة الفائضة و غيرها.و يسود

مبدأ الشفافية في عملية إعادة الهيكلة حيث يتم تجزئة المنشآت إذا كانت كبيرة الحجم، و العكس مع الوحدات الصغيرة و التي تمارس نفس النشاط. و قد أصدرت الجزائر مراسيم تسمح بخصوصية المؤسسات العامة لصالح رؤوس أموال وطنية و أجنبية و وضعت مشروع لخلق سوق ماليسهل عمليات إعادة الهيكلة.

إن التغيرات التي حدثت على مستوى المؤسسات الصناعية الجزائرية قد شملت مختلف الأبعاد التنظيمية كأساليب التسيير، بناء السلطة، المشاركة في اتخاذ القرارات، أنساق الاتصال كذلك تغيير حجم القوى العاملة، المشاركة في تنظيمات العمل و ذلك حسب الظروف الاقتصادية و الاجتماعية التي مر بها المجتمع الجزائري و سنلخص فيمايلي أهم الآثار الاجتماعية و الاقتصادية للخصوصية:

- تعتبر الخصوصية أداة هامة لتحويل النظم السائدة إلى نظم رأسمالية تقوم بمنح السيطرة الأجنبية و القضاء على الاحتكارات كتوفير الوظائف و زيادة الصادرات.
- وضعت الخصوصية حدا لاستنزاف أموال الدولة و تبديدها في عمليات إصلاحية.
- تحسين الإنتاج كما و نوعا وأصبح هناك استخدام امثل لليد العاملة. ساد الانضباط و النظام، فالخاص يعمل على التحكم في تسيير المؤسسة بطريقة حازمة.
- تتضمن الخصوصية بعض الآثار السلبية على مستوى الطبقات الاجتماعية من بينها التسريح الجماعي للعمال، وقد شكل التحدي الأكبر الذي واجهته السلطات البطالة و الفقر.
- تعتبر الخصوصية وسيلة هامة في إطار برنامج التصحيح الهيكلي، لا نستطيع أن ننتهي إلى حكم سلمي أو ايجابي بخصوصها فقد نصادف في كثير من

الحالات نتائج إجراءات معينة، حيث تكون سلبية في بداية الأمر و بعد فتره تبدأ النتائج الايجابية، كما يمكن أن يحدث العكس.

المحور الثالث: خطوات التغيير من أجل تسيير فعال:

كثيرا ما ينظر إلى التغيير على انه ضرورة خطية للعبور من وضعية غير مرغوب فيها إلى وضعية أحسن و أفضل لكن كورث لوين k.lwin يرى أن المفهوم أعمق من ذلك فهو ظاهرة تنظيمية تصاحب المنشأة باعتباره استجابة لتحولات و متطلبات البيئة وذلك من خلال ربط الحوافز بتغيير قيم الجماعة أو إحداث تعديلات في السياسة العامة أو الهياكل التنظيمية و التي تصب كلها في قالب واحد ألا و هو تحقيق أهداف المؤسسة و لا يتم ذلك إلا من خلال تسيير فعال يلم بجميع الجوانب التنظيمية داخل المنشأة. وعلى ضوء استراتيجيات التغيير التنظيمي هناك مراحل تمر بها عملية التغيير تملخص فيما يلي⁽¹⁸⁾:

1- مرحلة البدء والتخطيط: وهي أهم مرحلة من مراحل التغيير لأنها تتعلق بحالة النظام و مدى استعداده لممارسة التغيير و لا شك في أن نجاح أسلوب المنظمة في تسهيل بنية النظام و تغييرها يتأثر إلى حد كبير بالاستعداد الاجتماعي و النفسي وذلك من خلال تشخيص الوضع داخليا و خارجيا و الاستعداد للخطة اللاحقة زمنيا و تتطلب هذه الأخيرة اتخاذ القرار باعتبارها عمل ذهني يسبق الفعالية المراد تخطيطها، كما تسمح هذه الخطوة باكتشاف جوانب القصور الموجودة أو المحتملة.

2_ تحديد الهدف و التوجيه:

و المبدأ الذي تقوم عليه هذه الخطوة هي معرفة ماذا نستطيع فعله و ليس ما نريد، فقيادة الأفراد و الإشراف عليهم و توجيههم عن كيفية تنفيذ الأعمال و إتمامها و تحقيق التنسيق بين جهوداتهم و تنمية التعاون الاختياري بينهم من أجل تحقيق هدف مشترك، فيجب أن يتسم الهدف بالواقعية أي أن يراعى عند تحديده الإمكانيات المتاحة و الظروف المحيطة به، كذلك الوضوح، الدقة والمرونة.

3_ تحديد الطريقة:

أي تحديد المنطق الذي تراه الإدارة كفيلا بتحديد الهدف المسطر، بمعنى الجواب عن السؤال كيف؟

4_ تبليغ الهدف و الطريقة:

شرح الهدف و الطريقة أو تبريرها بمختلف الأطراف المعنية بما فيهم العمال على مستوى التنفيذ و يكتسي أهميته خاصة في سبيل تحقيق التحسين المنشود و في هذا الصدد ينبغي على المسير استخدام مختلف أساليب الاتصال و الإقناع في توصيل الهدف و أن يتم التركيز على توضيح الفرق بين الوضع الحالي و الوضع المرتقب و بالتالي إبراز المنفعة التي يتوقع جنيها من التغيير المنشود غير أن دور المسير هنا يشمل أيضا الاستماع إلى كافة المعنيين و أخذ اقتراحاتهم في عين الاعتبار اخذاً بمبدأ الإدارة المشتركة.

5_ تعبئة الموارد: أي تخصيص الموارد اللازمة لتحقيق الهدف و بالطريقة المختارة و قد تطلب الأمر اللجوء إلى خارج المؤسسة، توظيف بعض الفنيين أو إبرام عقود و خبرة مع بعض مراكز البحث و التطوير أو مكاتب الاستشارات.

6- التنفيذ: إن وضوح الهدف و الطريقة شرط ضروري و لكنه غير كاف، إذ لا بد من الحرص على متابعة التنفيذ خطوة بخطوة⁽⁷⁾.

التقييم:

زيادة على تقييم العاملين والمختصين وحتى استشارة بعض الخبراء من خارج المؤسسة بتعيين إجراء تقييم لاحق يهدف إلى المقارنة بين المحقق و المخطط و مدى الملائمة بالتالي اكتشاف الانحرافات و محاولة تجاوزها.

تعتبر العناصر السابقة مقومات لكل عملية تغيير تحدث داخل المؤسسة و إن إعطاء الأهمية اللازمة لكل عنصر من العناصر السابقة شرط ضروري لتحقيق

النجاح، فهي عناصر أساسية لمناخ التغيير و هي وحدها غير كافية إذ يتوجب وجود رغبة للتغيير من قبل الإدارة، فتجديد النظام التقني و التغيير في الهيكل التنظيمي مهام العمل يحتاج بطبيعة الحال إلى تبني استراتيجية إدارية فعالة لتحقيق أهداف المنظمة و لا تتحقق هذه الفعالية إلا من خلال الاهتمام بمنظمة العمل أيضا وذلك للتعرف على حاجاتهم، توقعاتهم و التفاعل معهم.

خاتمة:

من خلال دراستنا التي اهتمت بعملية التغيير في المؤسسة و ارتباطها مع مختلف الإصلاحاتو التطورات التي مرت بها المنشآت العمومية، حيث تبنت عدة انماط تسييرية لتحقيق أهدافها و تقوية القدرات التنافسية فيما بينها وفق الظروف الاقتصادية و الاجتماعية التي مرت بها البلاد.و يعتبر العنصر البشري من أهم العناصر التي تتأثر بعملية التغيير على مستوى السلوك و العلاقات أو على مستوى المعارف و الكفاءات كذلك نظام المعلومات، فإن تحقيق نتائج و أهداف المؤسسة المسطرة مرتبط بمدى فعالية التسيير المطبق في المؤسسات بالإضافة إلى الظروف المحيطة بهذه الأخيرة سواء كانت داخلية أو خارجية .

❖ هوامش البحث:

- (1) سعيد اوكيل و آخرون، استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 20.
- (2) عبد اللطيف بن اشنهو، التجربة الجزائرية في التنمية و التخطيط، (1962، 1982)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 11 .
- (3) يوسف سعدون، علم الاجتماع و التغير التنظيمي في المؤسسات الصناعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص 8 .
- (4) Mostapha Boutenfouchet, le socialisme dans l'entreprise, édition S.N.E.D, Alger, 1978, p 39.
- (5) يوسف سعدون، مرجع سبق ذكره، ص 19 .
- (6) يوسف سعدون، مرجع سبق ذكره، ص 23.
- (7) مصطفى عشوي، أسس علم النفس الصناعي التنظيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 235.
- (8) يوسف سعدون، مرجع سابق ، ص 24 .
- (9) Abdel hamidBrahimi , L'économie Algerienne ,O .P.U, Alger , 1991 , P 36
- (10) حزب جبهة التحرير الوطني، الميثاق الوطني، الجزائر، 1986، ص 142
- (11) يوسف سعدون، مرجع سبق ذكره، ص ص 34 35 .
- (12) يوسف سعدون، مرجع سبق ذكره ، ص 36 .
- (13) عطون مروان، الأسواق النقدية و المالية، البورصات و مشكلاتها في عالم النقد و المال، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 16.

- (14) سعيد النجار، التخصصية و التصحيحات الهيكلية في البلاد العربية صندوق النقد الدولي، 1988، ص 71 .
- (15) محمد رياض الابرش، نبيل مرزوق، التخصصية افاتها و أبعادها، دار الفكر، دمشق، 1966، ص 167 .
- (16) الجريدة الرسمية، ع 48 ، الجزائر، 1995، ص 8 .
- (17) محمد رياض الابرش، مرجع سبق ذكره، ص 170 .
- (18) بن زروق جمال (الاتصال التنظيمي و مسار التغير داخل المنشأة) مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، ع7، الجزائر، 2005، ص 210 .

تمكين العاملين (متطلباته وفوائده و مزاياه)

الدكتورة: سامية حميدي، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحثة: سليمة قشيدة، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

إذا كان التمكين هو توجيه الإدارة العليا بمنح الثقة والسلطة وحرية التصرف للمرؤوسين في مجال أعمالهم، باعتبار أن هذا التصرف يولد لهم شعوراً بالأهمية والكفاءة وتحمل المسؤولية، فإنه بذلك يهدف إلى استغلال الكفاءة التي تكمن داخل الأفراد استغلالاً كاملاً وجعلهم معتمدين على أنفسهم متحملين لمسؤولية نتائجهم وحل مشاكلهم وزيادة نفوذهم، وتحريرهم من أي قيد يكبل قدراتهم ويكبح عطائهم، ويعصف بمواهبهم الخلاقة، ووعيهم الكامل، وهذا ما يعزز قدرة المؤسسة على اتخاذ القرارات السليمة، ويساهم في تحريك الخيال الإبداعي لدى العاملين.

Abstract:

Since empowering is the direction of the supreme administration through giving confidence, freedom of acting for subordinates in their domains; because this behavior generates for them consciousness of the importance; the proficiency and taking responsibility. This aims to exploit the proficiency which exists inside the individuals in a full way and making them able to rely on themselves; able to take the responsibility of the outcomes, solving their problems, enhancing their power and freeing them from constraint. This enhances the ability to make good decisions and helps to move the creative imagination of workers.

مقدمة:

يعد الاستثمار في الإنسان وحسن إدارته كمورد هام ورأس مال بشري متميز، تُوجه الدول والمؤسسات على مختلف أنواعها الأمر الذي ساعدتها على إيجاد آليات الاعتناء به من حسن إدارة وإتقان توجيهه وقدرة تحفيزه، وجعل هذه الأمور مقدمة كأولوية عن كل الجوانب المتعلقة بالماديات إيماناً منها أن الإنسان كثرة هو المسئول عن إنجاح أو إفشال أي عمل.

لذا كان لزاماً عليها الانتقاء أولاً وفق مقاييس يجب أن تراعي القدرات من ناحية، وتعمل على تطويرها وتدريبها من ناحية أخرى، وتحسن استغلالها من ناحية ثالثة بما يتلاءم وطموحات الإنسان وخصوصيته الإنسانية، وإشباع النفسية سيكولوجية بمختلف الحوافز المعنوية والمادية، من تمكين وترقية وعلاوات، وما إلى ذلك مما يعزز العلاقات بينه وبين مرؤوسيه وغيرهم، ويفجر الطاقات الإبداعية التي يعود نفعها على الجميع، وما لم تصل المؤسسات والإدارات إلى هذا المستوى من الاعتناء بالعامل لا يمكن اعتبار نفسها تسير في الطريق الصحيح الذي يضمن بقاءها واستمرارها في العطاء.

وبناء على ما سبق ذكره فإن تطبيق مبدأ إعادة الاعتبار إلى الإنسان العامل وإعطائه المزيد من الحرية في اتخاذ القرارات المناسبة داخل المؤسسة التي يعمل بها من خلال تحقيق آلية التمكين يحتاج إلى إستراتيجية شاملة و خطة منهجية يعملان على إعادة بناء الإنسان من الداخل ليتقبل المسألة، و إلى إعادة النظر في القوانين الإدارية والقرارات السياسية والمواقف السلطوية. التي تقف حائلاً أمام تطبيق أي جديد يعمل على إحداث القفزة نوعية أو المواكبة موضوعية.

أولاً: تعريف التمكين

لغة :

وردت كلمة التمكين في لسان العرب بلفظ المكنة بمعنى المكن فيقال فلان ذو مكنة عند السلطان، أي ذو تمكن، ومكين عند فلان أي ذو منزلة وجمعها مكناء و التمكين أي الاستطاعة على فعل الشيء⁽¹⁾.

وفي اللغة الانجليزية: تعني كلمة empowerment إعطاء الشخص تحكما أكثر على فعل الشيء. كما يقال تمكن من الشيء و استمكن ، بمعنى الظفر، ومكناهم معناه ملكناهم، والرجل له مكنه فهو مكين أي قوي⁽²⁾.

اصطلاحاً:

وقد عرف التمكين: هو عملية تشمل من أسفل إلى الأعلى ولا يمكن أن يكون من أعلى إلى أسفل بمعنى يجب أن يشاركوا مشاركة كاملة في القرارات و العمليات التي تشكل أدائهم في المنظمات⁽³⁾.

عرف أيضا على أنه: إستراتيجية تهدف إلى سراح الطاقات الكامنة في الآراء، وتجعل المشاركة في عمليات بناء المنظمة، مع مراعاة نجاح يعتمد على مواءمة احتياجات الآراء مع رؤية المنظمة وأهداف بعيدة⁽⁴⁾.

عرف على أنه "عملية إعطاء الأفراد سلطة أوسع في ممارسة الرقابة، وتحمل المسؤولية، وفي استخدام قدراتهم من خلال تشجيعهم على استخدام القرار⁽⁵⁾.

وهذا ما يدل على ان إشراك العاملون في اتخاذ القرارات تؤدي إلى زرع الثقة بنفس العامل، وإشعاره بأنه عامل هام في تحقيق أهداف المنظمة ونمائها

وهناك من يعرفه: على أنه إتاحة درجة مناسبة من حرية التصرف للموظفين، فتوكل إليهم مهام يؤيدونها بدرجة من الاستقلالية مع مسؤوليتهم عن النتائج⁽⁶⁾.

نلاحظ من هذا التعريف أنه يؤكد على أهمية مشاركة العاملين في صنع القرارات وعلى إعطائهم المزيد من الحرية في العمل و التصرف.

ومن التعريفات التي أعطت معنى للتمكين أيضا هو : أنه فلسفة يقصد به إعطاء العاملين السلطة والأدوات و المعلومات التي يحتاجونها للقيام بأعمالهم بقدر كبير من الاستقلالية و الثقة بالنفس الضروريان للقيام بأعمالهم بكفاءة⁽⁷⁾.

ويرى cole أن التمكين عبارة عن عملية اكتساب القوة اللازمة لاتخاذ القرارات و الإسهام في وضع الخطط خاصة تلك التي تمس وظيفة الفرد و استخدام الخبرة الموجودة لدى الأفراد لتحسين أداء المنظمة⁽⁸⁾.

ونلاحظ من هذا التعريف ان فكرة التمكين العاملين وإشراكهم في إدارة المنظمة ووضع قراراتها تصب في اتجاه زرع الثقة في نفس العامل و إشعاره بأنه عامل مهم في تحقيق أهداف المنظمة و نمائها.

ويعرفه مورهييد وحريرين على أنه: تخويل العاملين صلاحيات وضع الأهداف الخاصة بعملهم، واتخاذ القرارات التي تتعلق بانجازه وحل المشكلات التي تعيق تحقيق الأهداف⁽⁹⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن التمكين يتسم بالخصائص التالية:

1. يهدف التمكين إلى استغلال الكفاءة التي تكمن داخل الفرد استغلال كاملا، فهم يمثلون ثروة هامة وقوة يجب توجيهها لصالح العمل.
2. يجعل التمكين الأفراد أقل اعتمادا على الإدارة في إدارة نشاطهم بإعطائهم السلطة الكافية، بالإضافة إلى مستوليتهم عن نتائج أعمالهم وقراراتهم.
3. يركز التمكين على القدرات الفعلية لأفراد في حل مشاكل العمل و الأزمات.

4. يحقق زيادة النفوذ الفعال للأفراد بإعطائهم المزيد من الحرية .
5. النظر إلى القوانين على أنها وسيلة مرنة لتحقيق غايات المنظمة و أهدافها وليست غاية في حد ذاتها وبالتالي يحرر الفرد ويعطيه الحرية في تحمل المسؤولية عن تصرفاته مما يؤدي إلى تحرير إمكانياته ومواهبه.
6. الشعور بالسيطرة و التحكم في أداؤه للعمل بشكل كبير.
7. الوعي و الإحساس بإطار العمل الكامل.

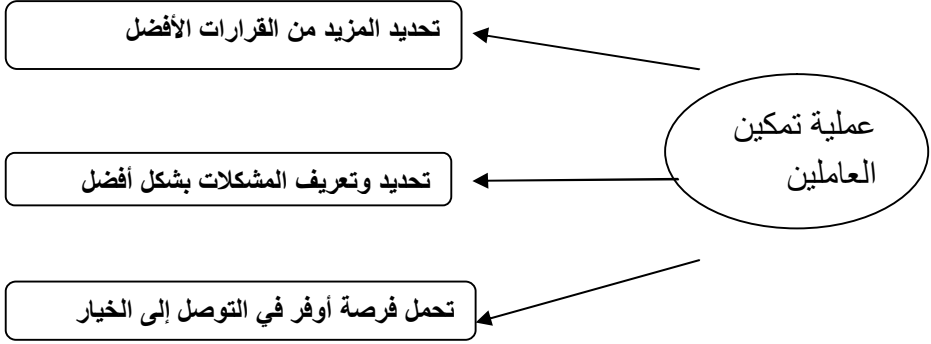
إن الهدف الرئيس لتمكين العاملين هو إيجاد قوى عاملة ذات قدرات فاعلة لإنتاج سلع و تقديم خدمات تلبي توقعات الزبائن أو تزيد عليها، كما يهدف التمكين إلى إيقاف محاولات حفز العاملين بحوافز خارجية المنشأ، و الاستعاضة عنها ببناء بيئة للعمل تحفزهم داخليا، أي بحوافز ذاتية داخلية المنشأ تنبع من ذات الأفراد العاملين كالانتماء و الاعتزاز بممارسة العمل فيها.

ثانيا: فوائد التمكين:

يمكن تلخيص أهم الفوائد التي تجنيها كل من المؤسسة و العامل من وراء التمكين وذلك من خلال :

1. جودة القرارات: لعل السبب الأساسي الذي يدفع المؤسسات إلى تشجيع تمكين العاملين هو أن التمكين يحسن من القرارات المؤسسية، وينطبق هذا الأمر بصورة رئيسية على القرارات المعقدة التي تمتلك التي يمتلك حيالها العاملون المعلومات المطلوبة، ويمكن لعملية تمكين العاملين أن تحسن من جودة القرارات بثلاث طرق وهي:

شكل يوضح الشكل فوائد التمكين بالنسبة للعاملين



المصدر: (جمال رامى اندوراس: 2004، ص 146)

✓ فتحديد وتعريف المشكلات بشكل أفضل يمكن أن تؤدي إلى التوصل إلى تعريف أدق للمشكلة، ذلك أن العاملين وعبر العديد من الجوانب يتحسسون بيئة المؤسسة.

✓ إن تمكين العاملين يمكن أن يحسن من عدد وجود القرارات التي تستهدف المشكلات المؤسسية، ففي الاجتماعات التي تخضع لتنسيق جيد، يستطيع أعضاء الفريق إيجاد التناغم من خلال دمج معلوماتهم ومعرفتهم بهدف تشكيل بدائل جديدة لا يمكن للعضو الواحد أن يتوصل إليها بمفرده.

✓ إن تمكين العاملين في القرارات يزيد من احتمالات التوصل إلى القرارات الأفضل. و بالطبع فإن هذا الأمر يظهر لأن هناك عدة أفراد يعملون معا نحو تحليل البدائل بشكل أدق كما يمكن أن يكون عليه الأمر في حالة العمل الفردي⁽¹⁰⁾.

2. زيادة ولاء العاملين للمنظمة: فالعامل الذي يشعر بالتمكن وحرية التصرف في العمل، يعلم بأن هذه الحرية جزء من علاقة ايجابية وصحية بين الإدارة و العاملين، وهذا بدوره يساهم في تحسين مستوى ولاء العاملين للعمل وانخراطهم فيه.

3. زيادة فرص الإبداع والابتكار: نتيجة لحرية التصرف وتشجيع العاملين على روح المبادرة و التفكير الخلاق وتقديم أفكار جديدة، فالنسبة للموظفين فإن السياسة توضع أمامهم فرصا جديدة لإثبات أنفسهم، وتطلق العنان لطاقت الموظف وتسلط الضوء على المواهب وإبداع الموظفين، وبالنسبة للإدارة فإن هذه السياسة تسهل العمل ويبدو الموظف أكثر نشاطا وحماسا. وينعكس الأمر كله بطبيعة الحال على المنظمة و العملاء، فيصبحون أكثر رضا بسبب قدرة الموظفين السريعة على الاستجابة لهم وحل مشاكلهم دون الرجوع في كل صغيرة وكبيرة إلى الإدارة، مما يزيد من الحصة السوقية للمؤسسة ويؤثر في نجاحها⁽¹¹⁾.
 4. مساعدة المنظمة في برامج التطوير و التجديد: الموظف الممكن أكثر رغبة في التغيير وتجده اقل مقاومة للتغيير، هذا ومن أصعب الأمور التي تؤدي إلى فشل مشاريع التغيير هي مقاومة التغيير من قبل الموظفين خوفا من التغيير ولأسباب كثيرة لا توجد لدى الأفراد الذين يتمتعون بالتمكين وحب التغيير و التجديد.⁽¹²⁾
 5. تعزيز قدرة المؤسسة على اتخاذ القرارات: وتعني كلمة القرار فصل أو حكم في مسألة أو خلاف وبغض النظر عن مدى سهولة أو صعوبة أي نموذج لعملية القرار فإن تعريفه يتركز على مبدأ عملية اختيار انسب وليس أمثل البدائل أمام المقرر، لإنجاز الهدف أو الأهداف المرجوة، أو حل المشكلة التي تنتظر الحل المناسب⁽¹³⁾.
- ويعتمد التمكين على فكرة منح الأفراد في المؤسسة السلطة في اتخاذ القرارات وذلك من خلال تزويد الموظفين بكل المعلومات اللازمة كي يتمكنوا من اختيار أحد البدائل المطروحة لاتخاذ القرار، وبالتالي فإن زيادة عدد من يقوم باتخاذ القرار في المنظمة، و الاعتماد على اللامركزية يزيد من احتمالات القرارات الصائبة في المنظمة.
6. تحقيق الديمقراطية في الإدارة: حيث يشترك أكثر من شخص في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمشكلات، وعلى ذلك تصبح الإدارة قريبة من أن تكون جماعية.

7. تسهيل التخطيط الإستراتيجي طويل المدى: حيث أن التمكين يعطي الوقت و الفرصة الكاملة للرئيس في المنظمة للتفرغ لمهامه الرئيسية و التي تشمل التخطيط الإستراتيجي.

8. زيادة الإنتاجية: حيث تفرغ للقيام بالأعمال التي تعمل على زيادة إنتاجية المنظمة وتحقيق أهدافها، كما أن المديرين سيكون لديهم الوقت الكافي لتعلم المهارات الجديدة. كما أن التمكين يحقق للمنظمة فوائد التالية⁽¹⁴⁾:

- زيادة قدرة المنظمة على الاستجابة للتغيرات البيئية.
- تخفيض دوران العمل (تقليص الأوقات).
- زيادة فاعلية الاتصالات.
- زيادة إدراك العاملين لحاجات المنظمة.
- إيجاد كوادر جديدة محفزة و راضية.

أما الفوائد التمكين بالنسبة لمدراء الأقسام (فرق العمل)هي كالتالي:

تعرف فرق العمل على أنها جماعة من العناصر البشرية يعلمون معاً لانجاز ما لا يمكن انجازه في حالة عمل كل منهم بمفرده، بما يضفي على روح العمل شيء من الاهتمام و الرضا، إلى جانب المتعة في الأداء.

فالفرق العمل تعد أهم ركائز نجاح و تقدم المنظمات في ضوء المنافسة الشديدة بينها ، وحرص كل منهم في تحقيق مستوى أعلى، فتحقيق الأهداف الآن يحتاج إلى التعاون و التكامل بين مختلف العاملين ذوي التخصصات المهنية المتعددة، و إلى قدرتهم على العمل الجماعي معاً. فتعتبر من الأدوات الفعالة لانجاز المهام المشتركة، فالإدارة التي تعني بالعمل و بالعاملين بقدر كبير و متوازن، تتطلب تشكيل فريق عمل يسهم فيها الأعضاء بآرائهم ومقترحاتهم في أمور الإدارة اليومية و التكتيكية بما يثري الأداء

ويسهم في تهيئة مدخل حيوي للتمييز و التفوق التنافسي في منظمات الأعمال بشكل خاص⁽¹⁵⁾.

وبالتالي تصبح الإدارة أكثر حماسا، ونجاحا وتتمكن من تحسين استخدام وتوظيف الموارد و الأفراد، وتستفيد الإدارة و الفريق من مجالات قوة كل فرد في الفريق.

أما بالنسبة للعامل فالفوائد التي يجنيها من عملية التمكين تتمثل فيما يلي:

1- تحقيق الانتماء: يساهم التمكين في زيادة الانتماء الداخلي بالنسبة للموظف كما يساهم في زيادة انتمائه للمهام التي يقوم بها وزيادة انتمائه للمؤسسة ولفريق العمل الذي ينتمي له، وتبين الكثير من أدبيات التمكين أن من أهم فوائد التمكين بالنسبة للموظف شعوره بالانتماء للعمل، وزيادة الانتماء هي محصلة لرغبته بالعمل ومناخ العمل، وينتج عن الانتماء تحسن في مستوى الإنتاجية وتدني مستوى التغيب عن العمل وتناقص في معدل دوران العمل.

2- المشاركة الفاعلة: تمكين العاملين يساهم في رفع مستوى مشاركتهم، و المشاركة الناجمة عن التمكين تتميز بمستوى العالي من الفاعلية و المشاركة الإيجابية التي تنبع من واقع انتماء الفرد وشعوره بالمسؤولية تجاه أهداف المنظمة وغاياتها إذن المشاركة الناجمة عن التمكين هي المشاركة الفاعلة و الهادفة وليست أي نوع آخر من أنواع المشاركة مثل المشاركة السلبية أو المشاركة دون هدف⁽¹⁶⁾.

3- اكتساب المعرفة و المهارة: إن نجاح برامج التمكين تتوقف على توافر المعرفة و المهارة و القدرة لدى العامل أو الموظف و المعرفة و المهارة لا يمكن أن تتحقق دون تنمية و تدريب، وهذا يتطلب في الكثير من حالات انخراط الموظف بدوران تدريبية

وندوات وورش عمل و مؤتمرات يكتسب من خلالها معرفة ثمينة تصبح ثروة يمتلكها اينما حل وأينما ارتحل، وحتى بعد مغادرته للمنظمة التي كان يعمل بها سابقا.

4- تطوير مستوى أداء العاملين: فتحسين مستوى أداء الموظف ورفع مستوى الرضا لدى الموظف من الأمور الأساسية التي تتمخض عن تطبيق مفهوم التمكين في الإدارة ففكرة تحسين أداء الموظفين هي فكرة ذات أهمية كقوة دافعة ومحصلة هامة تقف خلف برامج التمكين، فتحسين نوعية الأداء وخاصة في مؤسسات الخدمات بواسطة برامج التمكين، بحيث يعد عاملا من عوامل النجاح، فالموظف هو المستفيد الأول من برامج التمكين لان المؤسسة التي تحاول تمكين موظفيها تحاول أيضا أن تمنحهم ثقته و سلطتها وصلاحياتها ومكافأاتها وتحاول أن تمنحهم استقلالية وحرية التصرف⁽¹⁷⁾.

5- المحافظة على الموظف من قبل المنظمة: بناء على ما ذكر في النقطة السابقة فإن المنظمات الناجحة هي تلك التي لا تفرط بموظفيها الممكنين بسهولة فزيادة معرفة ومهارة الموظف وتطوير كفاءته وقدراته يحتم عليها زيادة التمسك به و المحافظة عليه لأطول فترة ممكنة، لأنها قدمت كل ما تم ذكره من مقدمات تدلل على حرص المنظمة على هذا الموظف وخطورة التخلص منه أو فقدانه لصالح منظمات منافسة سيكون حتما من أكبر الأخطاء.

6- شعور الموظف بمعنى الوظيفة: الموظف الممكن يدرك قيمة العمل بشكل أكبر من غيره وخاصة عندما يستشعر سيطرته على مهام العمل ويدرك قيمة نفسه ودوره في التأثير على النتائج ويشعر بأنه عنصر هام له دوره وله مساهمته التي تصب في مصلحة المنظمة، ويرى الأمور بنظرة شاملة وليس فقط من

زاوية ما يقوم به من عمل منفصل، وإنما يرى ما يقوم به حلقة ضمن حلقات أخرى تصب جميعها في تحقيق أهداف مشتركة، فيتغير بالنسبة له معنى العمل من معنى محدود في إطار ضيق إلى معنى أوسع وأشمل مما يساهم في تحقيق الذات وتحقيق التميز في العمل وإشباع الحاجات العليا المعنوية بدلا من العمل فقط لإشباع الحاجات المادية البحتة⁽¹⁸⁾.

- 7- إشباع حاجات الفرد من تقدير وإثبات الذات.
- 8- ارتفاع مقاومة الفرد لضغوط العمل.
- 9- ارتفاع ولاء الفرد للمنظمة.
- 10- إحساس الفرد بالرضا عن وظيفته ورؤسائه.
- 11- تنمية الشعور بالمسؤولية.
- 12- ربط المصالح الفردية مع مصالح المنظمة.

ثالثا: متطلبات التمكين

حتى يتم التطبيق الناجح لعملية تمكين العاملين يجب توافر مجموعة من المتطلبات الأساسية قبل وأثناء وبعد عملية التمكين يمكن تحديدها بالتالي:

1- صياغة وتطوير رؤية للمنظمة :

أن بناء الرؤية تمثل الخطوة الأولى نحو التمكين. فالرؤية تزود الموظفين بالإحساس "ما الذي سنقوم به لاحقاً، وبالتالي تقودهم للإبداع، وتسمح لهم باتخاذ قرارات تصب في الاتجاه الذي تعتقد القيادة الإدارية بأنه صحيح.

حيث يجب أن يتم دعم رسالة المنظمة بالقيم الأساسية التي تؤمن بها المنظمة. عن طريق إعطاء العاملين حيز ومتسع للقيام بالعمل وإعطائهم كذلك الثقة اللازمة لاتخاذ القرارات.

حيث يرغب الأفراد الذين يتم تمكينهم بأن يشعروا بأنهم على معرفة برؤية وإستراتيجية الإدارة العليا. فالتمكين يمكن أن يكون فعالاً في حالة ربطه بأهداف المنظمة. حيث تحتاج الإدارة العليا أن تخلق إجماعاً حول رؤية ورسالة المنظمة والقيم والأهداف التي تسعى لتحقيقها. فعند إيضاح رؤية ورسالة المنظمة للعاملين، فأنهم بلا شك سيشعرون بامتلاكهم القدرة على التصرف بجرية في عملهم بدلاً من انتظار الأوامر والتوجيهات من المشرفين. وتوفر رؤية المنظمة بالتأكيد تحدى للموظفين لبذل أقصى قدراتهم لتحسين أداء المنظمة وأدائهم .

2- الانفتاح وفرق العمل:

لكي يشعر الأفراد بأنة تم تمكينهم، لا بد أن يشعروا أنهم جزء من ثقافة الشركة التي تعتبر أن الأصول البشرية أهم موارد المنظمة. فالفرد الذي يتم تمكينه يجب أن يشعر إن الأفراد في إدارته أو وحدته يمكن أن يعملوا سوياً وبشكل جماعي في حل مشاكل العمل. وإن أفكار العاملين يتم احترامها وتؤخذ على محمل الجد . والإيمان بأعضاء الفريق يتضمن الثقة (Trust)، فالتمكين الحقيقي يتطلب "الثقة بالفرد" والعمل على إيجادها ليس فقط داخل أعضاء الفريق ولكن في كل أرجاء المنظمة كما أن حرية الوصول للمعلومات الحساسة تظهر درجة الثقة داخل المنظمة حيث تعتبر الثقة أحد المحتويات الأساسية لتمكين العاملين. ويدل توفر عنصر حرية الوصول للمعلومات الحساسة لزيادة الاتصال داخل المنظمة، هذا ويعتبر عنصر الانفتاح في الاتصال ضرورة لبرنامج تمكين العاملين.

3- النظام و التوجيه:

أفاد الأفراد الممكنين أن مؤسساتهم تزودهم بأهداف واضحة، وخطوط واضحة للسلطة، و مهام و مسؤوليات واضحة . فبينما يتمتع الأفراد بالاستقلالية، فإنهم في الوقت نفسه على وعي بالحدود المرسومة لحرية تصرفهم لاتخاذ القرار وهم كذلك على علم بمسؤولياتهم. فالأفراد يتم تمكينهم لديهم أهداف واضحة و مرتبطة بأهداف المؤسسة. فوجود نظام واضح للعاملين يجد من عدم التأكد و الغموض و الذي عادة ما يصاحب جهود التمكين. فعلى سبيل المثال، غياب تحديد الهدف قد يؤدي إلى تضارب في الهدف عبر العديد من أحاب المصالح. وغموض أو عدم وضوح الخطوط السلطة قد يخلق كذلك عدم التأكد عندما يحاول الأفراد إرضاء توقعات العديد من أصحاب المصالح في المؤسسة.

4- الدعم و الشعور بالأمان:

في سبيل أن يشعر الأفراد بأن النظام يوفر لهم بيئة تشجيع على التمكين، يحتاج أن يشعر الأفراد بوجود دعم اجتماعي من رؤسائهم، زملائهم في العمل، و المشرفين. فجهود الموظفين لأخذ المبادرة و المخاطرة يجب أن تعزز و تدعم بدلا من معاقبتها. ففي حالة فقدان أو ضعف الدعم الاجتماعي فإن الموظفين سيشعرون بالقلق بشأن الحصول على إذن قبل القيام بالتصرف بدلا من طلب الصفرح في حالة ارتكاب أخطاء. يجب أن تتوافر الاعتقاد لدى الأفراد أن برنامج التمكين الذي تتبناه المؤسسة سيشكل عملية دعم و مساندة للتعلم و التطوير لدى العاملين⁽¹⁹⁾ .

رابعاً: أساليب التمكين :

تتمثل أساليب التمكين في مايلي :

1- التمكين من خلال القيادة

يلعب القائد (أو الرئيس) دورا في تمكين الفرد أو الجماعة من خلال صياغة و توفير المحتوى و المناخ الثقافي لتنفيذ التمكين. و إن دور الرئيس تفويض السلطة للعاملين، و توفير التدريب اللازم، بالإضافة إلى توفير الإجراءات و النظم المعززة للتمكين (مثل بناء الفريق).

إن دور القيادة في عملية التمكين أكبر من مجرد التفويض، إذ يتطلب تحفيز الأفراد للاستجابة و قبول تحمل مسؤولية أكبر، و تعلم مهارات و معارف أكثر، و النمو و التطور. و يؤدي ذلك إلى ممارسة الأفراد لعملية اتخاذ القرارات لحل مشاكل الجودة في الوظيفة التي يقومون بها، و الإبداع و الانخراط في التحسين المستمر لتلبية رغبات و توقعات العملاء أو ما يفوقها، الذي ينعكس في شعور العملاء بالرضا⁽²⁰⁾.

إن التوجه للتمكين على مستوى الإدارة العليا (المستوى الإستراتيجي)، و الإدارات التنفيذية (المستوى التشغيلي) قد يؤدي إلى ظهور صورة "المنظمة الممكنة" التي تفوض فيها صلاحيات أكبر للمستويات الأدنى، كما يتسع فيها نطاق الإشراف فتبلغ نسبة العاملين التنفيذيين إلى مدراء أكبر مما هي عليه في المنظمات التقليدية، بالإضافة إلى وجود أفراد محفزين لتحمل المسؤولية. و إن التمكين في تلك المنظمات يشمل جميع العاملين من الإدارة العليا إلى أي عامل في أدنى مستوى تنفيذي.

2- أسلوب تمكين الأفراد:

يرى هذا الأسلوب على الفرد يهتم بما يسمى "تمكين الذات" و يبرز التمكين هنا بمدى توفر العوامل الإدراكية للفرد بالتوجه نحو تقبل المسؤولية و الاستقلالية في اتخاذ القرار. هذا و قد توصلوا بعض الباحثين إلى أن الموظفين الممكنين يمتلكون مستويات أكبر من السيطرة و التحكم في متطلبات الوظيفة، و قدرة أكبر على استثمار المعلومات، و الموارد على المستويات الفردية، وعلى الرغم من أن التمكين هنا ينظر له على أنه تجربة فردية في التحكم و السيطرة و تحمل المسؤولية، إلا أن هناك أساليب أخرى تقوم على التمكين الجماعي و تمكين الفريق⁽²¹⁾.

و بالتالي إن تمكين الفرد من شأنه أن يجعله أكثر سيطرة و تحكم في متطلبات وظيفته، و يجعل له قدرة أكبر على استثمار الموارد و المعلومات و وفقا لما أظهرته الدراسات.

3- أسلوب تمكين الفريق:

رأى بعض الباحثين أن التركيز على التمكين الفردي قد يؤدي إلى تجاهل عمل الفريق، إذا قاموا بإعطاء أهمية كبرى لتمكين المجموعة أو الفريق لما للعمل الجماعي من فوائد تفوق بكثير فوائد العمل الفردي. و قد بدأت فكرة تمكين الجماعي مع مبادرات دوائر الجودة في السبعينيات و الثمانينيات من القرن الماضي .

ويؤكد الباحثين أن تمكين الفريق ينسجم مع التغييرات الهيكلية التي تحدث في المنظمات، من حيث توسيع نطاق الإشراف و التحول إلى المنظمة الأفقية و التنظيم المنبسط بدلا من التنظيمات التقليدية الهرمية. ويرى أن تطبيق التمكين يعطي للفريق دورا كبيرا

في تحسين مستويات الأداء، لأن الاعتمادية المتبادلة بين الأعضاء الفريق تؤدي إلى زيادة استقلالية الفرد كما تحقق القيمة المضافة نتيجة تعاون أعضاء الفريق عندما تتحقق شروط المهارة لكل من أعضاء الفريق، وعندما يقدم كل منهم مساهمة تضيف شيئاً جديداً إلى القرار الجماعي بدلاً من الاعتماد على الرأي أو القرار الفردي الذي يكون عرضة أكثر للخطأ والقصور⁽²²⁾.

إن تحقيق شروط المهارة و المعرفة في أعضاء المجموعة أو الفريق، يجعل لكل منهم إسهاماً مفيداً في القرار الجماعي، الذي يكون أكثر مصداقية من القرار الفردي. كما أن هذا العمل التعاوني يساهم بدوره في تطوير قدرات الأفراد و تمكين كل منهم.

4- أسلوب الأبعاد المتعددة:

يرى البعض أن منهج أو أسلوب واحد من أساليب التمكين قد لا يكون كافياً لجعل التمكين فعالاً. ويرى الآخرون أن الجمع بين القيادة، و التثقيف، و الرقابة و الدعم، و إجراء التغيرات الهيكلية و الإجرائية أكثر مدعاة لنجاح التمكين. وإن على إدارة الموارد البشرية دعم تلك العناصر و العمل على ربط عملية التمكين بالرؤيا و الرسالة و الأهداف المنظمة الإستراتيجية. بالإضافة إلى تصميم نظم الدفع و نظم علاقات العمل و التغذية العكسية المناسبة و تفعيلها.

وفق هذا لأسلوب الجميع يعملون كشركاء و يأخذون زمام المبادرة بشكل جماعي، فالتمكين ليس شعوراً شخصياً و من المستحيل أن يتم دون مقومات و عوامل تنظيمية مناسبة، إضافة إلى ملائمة العلاقات بين المديرين و العاملين على أساس من الثقة و

الاحترام و التواصل، وتزويد الآخرين بالمعلومات الضرورية لكي يشعر الفرد و الفريق بشيء من المسؤولية تجاه نتائج الأداء المرغوبة.

5- الأسلوب الهيكلي:

إن المنظمة المتمكنة يكون لها هيكل واضح و مناسب، مع عدد أقل من المستويات الإدارية وذلك ليسهل عملية انسياب و تدفق المعلومات في اتجاهين.

وهذا الأسلوب يشير إلى أن المؤسسة الممكنة هي تلك المؤسسة التي تتضمن نطاق إشراف واسع، بمعنى أن نسبة الموظفين إلى المديرين نسبة عالية بالقياس إلى هذه النسبة في المؤسسات التقليدية ويرى أحد الباحثين أن هذا التوجه في التمكين له 3 عناصر مهمة هي:

- الوضوح و التناسق في أهداف المنظمة الخاصة بالإنتاج و بالتطوير، و توجيه كل مستويات النظم و الإدارة و العاملين اتجاه تلك الأهداف
- التقييم و التطوير المستمر للاحتياجات المهنية (المعارف و المهارات المتخصصة في مجال معين) للعاملين مع تعظيم إحساسهم بالملكية و تحمل المسؤولية.
- ضمان التوافق بين الأهداف المنظمة، وأهداف الإدارة، و أهداف العاملين في المنظمة.
- إن تحقيق العناصر السابقة لا يمكن أن يتم إلا بتحسين الاتصالات المنظمة الداخلية و الخارجية. وان استعمال القنوات الإلكترونية كالبريد الإلكتروني، و الانترنت مهم جدا لتحقيق الفاعلية في عمليات هذه النظم .

خامسا: مزايا التمكين:

هناك جملة من المزايا والإيجابيات التي يمكن أن تجنيها التغييرات التنظيمات عند تبني و تطبيق إستراتيجية التمكين داخلها، وذلك استنادا إلى عدد من الدراسات وهي⁽²³⁾:

- ✓ تشجيع الفرد على الابتكار والمبادر، والالتزام بروح الفريق، وحب المغامرة.
- ✓ اتخاذ القرارات في أنسب المستويات.
- ✓ تسهيل أداء الإدارة.
- ✓ رد فعل أسرع و أكثر مرونة لمتطلبات العميل.
- ✓ مستويات عالية من الثقة بالنفس، و الدافعية لدى العاملين.
- ✓ إدراك أكبر لاحتياجات التنظيمية مع احتياجات الموظفين.
- ✓ تقليص التكاليف من خلال الطبقة و أفكار الموظفين.
- ✓ تحسين نوعية، قياسات الفوائد و الإنتاج.
- ✓ استعداد المنظمة لتفاعل أسرع مع متغيرات السوق.
- ✓ زيادة رضا العاملين. من يوم ليوم.
- ✓ الزيادة في التحكم في العمل .

سادسا: معوقات تطبيق إستراتيجية التمكين

إن أسباب فشل التمكين تكمن في خوف المدراء من فقدان السلطة و القوة، فهم اعتادوا على أسلوب أكثر رسمية للإدارة، كما أن بعض المشرفين يواجهون صعوبة في تمكين المرؤوسين فضلا عن الإيمان بالأنموذج التدريب الإداري وعدم القدرة على استبداله بالنموذج القائم على أساس التوجيهي لماهية العمل. ويضيف هؤلاء الكتاب أن بعض العاملين لديهم صعوبة في تحمل المسؤوليات الكبرى التي يحتاجها التمكين.

وحدد بعض من الباحثين بعض المعوقات التي تواجهها المنظمات العربية والتي تحد من قدرتها على تطبيق التمكين ومن هذه المعوقات⁽²⁴⁾.

✚ التمكين هو التغيير:

هناك عبارة شائعة مفادها "أن المدراء يعملون ما يعرفونه بشكل أفضل كالأمر Command و الأمر Control" وإذا ما أخذنا بالحسبان أن التمكين يتطلب التخلي عن جزء من الرقابة، الأمر الذي يولد الخوف لدى المدراء جراء تفويضهم السلطة والمسؤولية خشية من اتخاذ القرارات الخاطئة أو السيئة من قبل الأفراد العاملين، كما أن المدراء سيشعرون بالتهديد من البرامج التي من شأنها أن تقلل قوتهم و مكانتهم الرفيعة بوصفهم قادة.

✚ التمكين يستغرق وقتا:

إن التحول من ثقافة القيادة و الرقابة إلى ثقافة التمكين يتطلب التزاما بعيد الأمد، ففي معظم الأحيان تمارس البدع الإدارية و الحلول السريعة في تطبيق التمكين دون إجراء التغيير للنظم و الهياكل الإدارية و القيم، فمن أجل نجاح عملية التمكين لا بد من النظر إلى التمكين كبرنامج بعيد الأمد لمشاركة العاملين و اندماجهم.

✚ مقاومة العاملين التمكين

اتخاذ القرار و السلطة يمثلان جزءا من نظام القوة السياسية في المنظمات، فالعاملين تكيفوا على إطاعة الأوامر. وعندما يتم منح الأفراد العاملين قدرا كبيرا من المسؤولية سيشعرون عندها بالخوف و عدم الأمان، فالعامل يريد الانتهاء من عمله و الذهاب إلى البيت.

ويرى باحثين آخرين أن من أسباب فشل التمكين هو تفضيل الأفراد العاملين لمدخل الأنموذج القديم من خلال المهام الموضحة بدقة و إن الثقافة التنظيمية القائمة على أساس التمكين غير مرحب بها، وأضافوا الباحثين معوقات أخرى تؤدي إلى فشل التمكين نتيجة لعدم قابلية الأفراد على فهم التمكين وتطبيقه بشكل صحيح من خلال الأتي⁽²⁵⁾:

- عدم وجود الدعم والالتزام من قبل الإدارة العليا.
- استعمال التمكين كأداة مناورة لحث العاملين على إنجاز مهامهم وواجباتهم دون فهم المسؤولية و السلطة الحقيقية.
- استعمال المدراء التمكين لتجنب المسؤولية و المسائلة عن المهام و يرحبون بأوسمة النجاحات و ينسبون الفشل للآخرين.
- استعمال التمكين كعذر لتجنب الاستثمار في تنمية و تدريب العاملين.
- إخفاق المدراء في تقديم التغذية العكسية و عدم الاعتراف بالإنجازات المرؤوسين

خاتمة:

ونستخلص في الأخير أن التعامل وفق هذا المفهوم مع العاملين سيعزز من مشاعر ملكية العاملين و إحساسهم تجاه المنظمة و ما سيولد ذلك من سيادة مشاعر الفخر و الانتماء، و بالتالي امتلاكهم القدرة على التعامل السليم مع زبائنهم و تحقيق رغباتهم و تحقيق الأهداف المشتركة للفرد و المنظمة.

❖ هوامش البحث:

- (1) ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1999، ص312.
- (2) Douglas Biber and all: dictionary of contemporary English, third Edition, Harlow, 1995,p450.
- (3) Zoe oxalis with Sally Baden: gendre and empowerment définition approches and implication for policis, raport N40,1997.
- (4) Ahmed.Y.M Arriqat and Ahmed. M. Zamil: Business administration department, Asian journal of Business Management N3,2011,p 195.
- (5) محمد محمود فاضل: تجديدات في الإدارة التربوية، دار حامد للنشر والتوزيع، 2011 الاردن، ص65.
- (6) سمير محمد عبد الوهاب، ليلي مصطفى البرادعي: إدارة الموارد البشري (المفاهيم و المجالات و الاتجاهات)، مركز دراسات و الاستشارات العامة، القاهرة ، مصر، 2007، ص205.
- (7) كمال محمد مغربي: السلوك التنظيمي مفاهيم أساسية لسلوك الفرد و الجماعة في تنظيم ، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمان الأردن، 2007، ص82.
- (8) عماد علي مهيرات: أثر التمكين على فاعلية المنظمة، دار المجلس الزمان للنشر ، عمان ، الأردن ، 2010، ص22.
- (9) محمود أحمد جودة: إدارة الجودة الشاملة و تطبيقاتها، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، 2006، ص139.
- (10) محمود حسين الوادي: التمكين الإداري في العصر الحديث، دار حامد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص136، 135.
- (11) محمد عبد الفتاح ياغي: مبادئ الإدارة، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن 2001، ص84.
- (12) عبد الله الطائي، عيسى قداة: إدارة الجودة الشاملة، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان ، الأردن، 2008، ص297.

- (13) محمد بن ابراهيم محمد الصقيه: التمكين وعلاقته بالرضا للوظيفي للعاملين، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم الإدارية، الرياض، السعودية، 2010، ص 20.
- (14) يحيى سليم ملحم: التمكين كمفهوم إداري معاصر، المنظمة العربية لتنمية الإدارية، القاهرة، مصر، 2006، ص 112.
- (15) محمود حسين الوادي: مرجع سبق ذكره، ص 130.
- (16) يحيى سليم ملحم: مرجع سبق ذكره، ص 130.
- (17) إحسان زهش جلاب، كاظم كمال طاهر الحسيني: إدارة التمكين الاندماج، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص 204.
- (18) عبد الله الطائي، عيسى قدادة: مرجع سبق ذكره، ص 244.
- (19) يحيى سليم ملحم، مرجع سبق ذكره، ص 165.
- (20) عماد علي مهيرات: مرجع سبق ذكره، ص 42.
- (21) رزق الله حنان: أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2009، ص 56.
- (22) هيثم محمد العاني: الإدارة بالحوافز و المكافآت، دار كنوز المعرفة، 2007، ص 140.
- (23) مؤيد نعمة الساعدي: إدارة الموارد البشرية، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 183.
- (24) جمال رامي أندوراس: مرجع سبق ذكره، ص 148.
- (25) مؤيد نعمة الساعدي: مرجع سبق ذكره، ص 184.

تحديات تطوير الخدمة العمومية وعلاقتها بالاتجاهات و المعايير

السوسيوقافية للموارد البشرية

الدكتور: بوبكر تيقان، جامعة التكوين المتواصل بدالي براهيم، الجزائر

الملخص:

إن المتتبع للوضع العام ولسوق العمالة لمختلف المنظمات الجزائرية الخدمائية على وجه الخصوص، يجد أن أغلب الموارد البشرية المتاحة في سوق العمل تمتلك وتتبع اتجاهات بعينها تقسم وتصنف وترتب الوظائف والمنظمات وفق مفهوم اجتماعي واحد في أغلبه، يوافق ما يعتقده المخيال الاجتماعي في ترتيبه وتصنيفه لهذه الوظائف وما يرتبط بها من مكانة ودور اجتماعيين، فنجد تصنيف واضح بين تلك الوظائف التي يقبلها ويتحها وفق الجنس أو الانتماء الاثني والقبلي أو أحيانا السياسي وتلك الوظائف التي لا يقبلها حسب ذات المعايير، كحال الولايات الداخلية على سبيل الذكر التي تتيح بعض الوظائف للمرأة كالتعليم أو التمريض - بدرجة أقل - مقابل رفضه لوظائف أخرى تناقض بعض المعايير والقيم الاجتماعية لما تخلقه من أوضاع ضمن بيئة العمل غير مقبولة اجتماعيا، هذا الوضع جعل من حراك الموارد البشرية عموما واقبالها واستجاباتها لعمليات الاستقطاب التي تمارسها هذه المنظمات الخدمائية متفاوتة وفق البيئة السوسيو-ثقافية لكل مجتمع أو فئة منه على الأقل وهو ما قد يؤثر مباشرة على أغلب الميكانيزمات الإدارية الخاصة بتنمية وتسير الموارد البشرية الجزائرية وفعالية أدائها وهو ما سنحاول توضيحه من خلال هذه الدراسة.

Abstract:

All those interested in the labor market in Algeria, finds that most of human resources depends on certain trends, subdivided and classified according to unique social conceptions These subdivisions obey membership, gender, ethnic, tribal and even politics. The interior areas are up to the award of certain jobs; such as education and health for women and some others refuse to purely social criteria. This design negatively influence the mechanisms that govern and control human resources and make e dependent on sociocultural factors. Our research will attempt to provide explanations to all these conceptions involved in the labor market in Algeria.

يعد الأداء الجيد هدف كل منظمة ومؤشرا لنجاحها و مقياسا لفعاليتها و فاعليتها من منظور كلي للأداء التنظيمي العام، الذي يتكون من مجموع أداء مختلف وحدات المنظمة و تفاعلها مع بيئتها الى جانب أداء أفرادها، الذي لا يمثل إلا جزء من الأداء التنظيمي العام للمنظمة، و بوجود مستويات مختلفة للأداء و الفعالية تختلف ميكانيزمات تقييمه و تقويمه حسب عدة مداخل نظرية تبحث في مواضيع الأداء والفعالية و التطوير التنظيمي، لأجل تحديد معالم مستويات فعالية المنظمة و نجاحها ضمن بيئة عملها و مدى توافقها مع قيمها السوسولوجية و الثقافية التي تحدد اتجاهات و قيم الموارد البشرية المتاحة في سوق العمل و التي قد تحدد جدوى عمليات الاستقطاب الخارجي و مختلف العمليات الادارية المرتبطة باستراتيجية المنظمة في مجال تنمية مواردها البشرية و استقطاب النخبة من المتاح خارجها بسوق العمل.

وهو ما يصعب من تحقيق الموازنة بين قيم و معايير افراد المجتمع و ضرورة تحقيق معايير الفاعلية التنظيمية التي لا تتوقف فقط على مستوى أداء أفراد المنظمة أو فرقها أو وحداتها ككل أو خصائص بيئتها التنظيمية الداخلية و ميكانيزماتها لتحسين الأداء، بقدر ما قد تتحكم فيها متغيرات كثيرة من البيئة الخارجية مرتبطة مباشرة باتجاهات و قيم الموارد البشرية، كما تزداد صعوبة هذه الموازنة صعوبة أكثر لما يتعلق الأمر بالمنظمات الخدمائية العمومية لما لها من خصوصية و مسؤولية اجتماعية خارج منطق الربحية و مبادئ الاقتصاد و التسيير.

1. العوامل المتحكمة في فاعلية و فعالية أداء المنظمات الخدمائية:

من المعلوم أنه لا يكون نشاط المنظمة و حركيتها بمعزل عن محيطها، حيث تتأثر المنظمة بمحيطها الذي يمكنها من الحصول على عناصر و محددات انتاجها أو خدماتها والتي لا يمكنها أن تتحصل عليها الا من خلال مجتمعها الذي تنتمي اليه، بالاضافة الى تعامل أفرادها معها في وضعية مستهلكين أو مستقبلين لخدماتها، كما ان

المحيط الطبيعي للمجتمع يمثل مصدر مواردها الاولية، والتي تشترك ايضا في تكوين وسائل الانتاج المستعملة.

وكل من هذه العوامل تلعب دورا في حياة المنظمة⁽¹⁾، كما أن أغلب المداخل الحديثة للتطوير التنظيمي وقياس الأداء الكلي للمنظمات تعتمد على مدى استجابة المنظمة لمتغيرات بيئتها الجزئية و الوسيطة و الكلية و مستوى استغلال الفرص المتاحة لها ومقدرتها على تفادي المخاطر المحتملة، باعتبار المنظمة أمام حتمية تفاعلها مع البيئة المحيطة بها، و التي تمثل كافة المتغيرات التي لها علاقة بأهداف المنظمة و تؤثر بالتالي على مستوى كفاءتها و فعاليتها، هذه المتغيرات منها ما يخضع لحد كبير الى سيطرة و تحكم المنظمة مثل مستوى أداء العاملين ومنها ما لا يخضع لسيطرة المنظمة مثل القرارات السياسية و الاقتصادية للدولة و عادات و تقاليد و معتقدات و ثقافة أفراد المجتمع⁽²⁾، وهو ما يجعلها أكثر تعقيدا، نظرا لكثرة العناصر الفاعلة و ضعف مستويات تجانسها، و هو ما ينعكس على فعاليتها و أداءها، حيث يعرف البعض بيئة المنظمة بمجموعة القيود التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على مستوى كفاءة المنظمة⁽³⁾.

و هو ما يوضح حجم التحدي الذي تشكله البيئة الخارجية للمنظمة الخدمائية العمومية خاصة.

أما عن البعد الثاني المتمثل في الاستقرار فهو يشير الى التغير في المكونات و العناصر البيئية، هذان العاملان المحددان لنتائج تحليل الأبعاد البيئية يحددان مستوى التأكد الذي يتراوح بين أربعة أصناف تتمثل في بيئة بسيطة ثابتة، بيئة معقدة ثابتة و بيئة بسيطة متغيرة وبيئة معقدة متغيرة⁽⁴⁾. كما يؤثر هذان البعدان في عملية اتخاذ القرار في المنظمة، حيث يمتد التغير البيئي من الوضع الساكن الى الوضع المتحرك، و كلما زادت ديناميكية تغير البيئة زادت الصعوبات في عملية تحديد الاحتمالات العديدة للقرار، فزيادة التعقيد تلزم المنظمة بضرورة التوجه نحو اللامركزية بغرض زيادة فعاليتها و التحكم في المتغيرات غير المتجانسة، و نحاول فيما يلي تناول جانبي بيئة المنظمة من داخلية و خارجية مع التركيز بشيء من

التفصيل على الجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع الذي تتضمنه البيئة الخارجية في شقها السوسولوجي على وجه الخصوص .

1.1 على مستوى البيئة الداخلية للمنظمة:

تتضمن العوامل الداخلية مجمل مؤشرات و تأثيرات ما يصطلح عليه بالبيئة الداخلية للمنظمة التي هي كل المتغيرات المحصورة والمتولدة و الفاعلة داخل اطار المنظمة، من عمليات و وظائف و استراتيجيات و معطيات مختلفة، بعضها له علاقات ارباطية ضعيفة بالبيئة الخارجية باعتبارها عمليات تقنية ادارية بحت، و بعضها الآخر مرتبط مباشرة بمعطيات و مضامين البيئة الخارجية للمنظمة كالجانب الاجتماعي و الثقافي و السياسي و بقية النظم الاجتماعية المرتبطة بالسلوك التنظيمي بالمنظمة، إلا اننا من خلال دراستها و للضرورة البحثية سنحاول التركيز أكثر على البيئة الخارجية، دون انتقاص لأهمية تأثيرات البيئة الداخلية للمنظمة عليها، حيث تفرض هي الأخرى قيودا في اغلب عمليات ادارة المنظمة، باعتبارها متغيرات ترتبط بطبيعتها و خصائصها، حيث تفرض في عملية التعامل الداخلي بين اطراف و وحدات المنظمة سياقاً بعينه يكون انعكاساً مباشراً لدرجة فاعلية و أنماط القيادة أو مستويات المشاركة الادارية أو نظم الاتصال و طرق اتخاذ القرارات و نظام الأجور و الحوافز⁽⁵⁾.

و طبيعة الهيكل التنظيمي و بمعرفة المنظمة لقدراتها و فعاليتها و امكانياتها تكون فكرة واضحة عن قدراتها و كفاءات التعامل مع متغيرات البيئة الخارجية، و هو ما يوضح العلاقة التي تربط بين البيئتين الداخلية و الخارجية للمنظمة والتي تعد بالقاعدة التي تنطلق منها المنظمة لبناء استراتيجية تحقيق التكيف.

2.1: على مستوى البيئة الخارجية للمنظمة:

تعمل المنظمة في بيئة متنوعة و معقدة من مختلف المتغيرات التي تقع خارج حدودها و التي تتفاعل مع بعضها البعض، و من هنا تؤثر على المنظمة بطرق مختلفة⁽⁶⁾، تفرض عليها جملة من الواجبات من ذلك الوفاء بكافة الالتزامات

الاجتماعية تجاه المجتمع الذي تعمل فيه، و من هنا فان معرفة ودراسة البيئة الخارجية للمنظمة من المتطلبات الاستراتيجية لنجاحها في تحقيق أهدافها، المتوقفة كذلك على مدى تكيفها مع البيئة الخارجية بطريقة تزيد من استفادتها من الفرص و تزيد من قدرتها على مواجهة التهديدات أو المعوقات التي تتضمنها، و ذلك بالإطلاع المستمر على متغيرات البيئة الخارجية للمنظمة أو محيط المنظمة كما تشير اليه بعض الكتابات، هذه المتغيرات المتنوعة اجتماعية و سياسية و اقتصادية وغيرها في تفاعل معقد و مستمر يلقي بنتائجه على المنظمة و مختلف عناصرها، هذا و يمكن تقسيم هذا المحيط أو البيئة حسب العديد من المقاييس و الاعتبارات كأن يفصل بين المحيط الاقتصادي و المحيط السياسي و الإجتماعي وهكذا الى بقية المحيطات أو بين الهيئات و مراكز القوة و التأثير كمتغيرات، و أيضا بناء على بعد المحيط من قربه للمنظمة كالمحيط القريب و المتصل أو البعيد⁽⁷⁾. إلا أننا نعتد هنا التقسيم الأكثر شيوعا بالاعتماد على طبيعة المتغيرات التي تتضمنها البيئة الخارجية للمنظمة.

وفي هذا السياق مثلا نجد أن البيئة الاقتصادية التي تمثل الوضع الاقتصادي العام القائم بمحيط المنظمة بمؤثراته و معطياته و متغيراته المختلفة لها تأثير في المنظمة على المستوى المحلي و العالمي، من خلال الدورة الاقتصادية التي تمر بها البلاد و معدل التضخم، السياسات الاقتصادية و المالية و متوسط الدخل الفردي، و البيئة السياسية و القانونية المتمثلة في القوانين و التشريعات الحكومية الي تحدد الفلسفة السائدة و العلاقات بين المنظمات و بين الحكومة و التوجه العام القانوني لبيئة المنظمة، كالعلاقات و الاتفاقيات الدولية و التحالفات الاقتصادية، المواصفات القياسية للجودة، الاستقرار السياسي، و الضرائب و الرسوم.

كما نجد كذلك البيئة التكنولوجية المتجسدة هي الظروف العامة لتطور التكنولوجيا و انتشارها و مستويات استخدامها و توافرها، إضافة الى تطور مجالات المعرفة، كذلك من بين المتغيرات المعتمدة في التقسيم نجد المنافسون الذين يمثلون المنظمات التي تعمل في نفس المجال و التي تشكل تهديدا للمنظمة في حالة تقدمها

في مستوى أداء الخدمة، وسوق العمل، وأخيرا الزبائن أو مستقبلي الخدمة الذين هم أساس و غاية وجود المنظمة، و عملية اشباع حاجياتهم و رغباتهم تبقى متوقفة على عملية معرفة توجهاتهم و انماط سلوكهم و مختلف الخصائص المميزة لهم و العوامل المؤثرة في ميولاتهم و سلوكياتهم⁽⁸⁾.

أما عن متغيرات البيئة الاجتماعية و الثقافية، فهي تلك التي تحكم سلوك الأفراد و المجموعات و تحدد انماط تعاملهم و سلوكهم اليومي في مختلف جوانب الحياة، التي قد تخلق للمنظمة فرصا للاستفادة منا كما قد تكون معوقات في حد ذاتها، لا بد من تفاديها عن طريق وظائف ادارية موضوعها متعلق بسلوك و ادراك و اتجاهات المجتمع المستهدف بالخدمة، و من أهم العناصر المكونة للبيئة الاجتماعية و الثقافية تلك المتعلقة بالتطورات الثقافية و الخصائص السكانية و المكانية و الحضارية و الثقافية السائدة في المجتمع، إضافة الى مستويات الوعي الاجتماعي و التعليم و الولاء للوطن، روح المواطنة، قيم النظم الدينية السائدة و الثانوية، الجماعات المؤثرة اجتماعيا، و كل ما يتعلق بنظم المجتمع و ثقافته معايير⁽⁹⁾.

كما نجد تقسيما آخرأ أكثر ارتباطا بمستوى إدراك كل فرد من المجتمع حسب موقعه و ثقافته و تجاربه الخاصة، حيث تصنف البيئة الى بيئة عامة و بيئة خاصة تمثل علاقات المنظمة ببقية المنظمات و المتغيرات التي تؤثر مباشرة في الأداء العام للمنظمة حسب طبيعتها و تخصصها و تصنف بقية المتغيرات الخارجة عن هذا الإطار ضمن البيئة العامة، أما عن التقسيم الثاني و المتمثل في البيئة الفعلية أو الواقعية و البيئة المدركة من قبل الادارة العليا فمؤشراتهما غير متماثلة، تكون بذلك البيئة المدركة لدى العاملين مثلا غير التي عند المديرين فمن يجد منهم بيئة المنظمة متوترة قد يجدها غيره من العاملين عكس ذلك، فتكون القرارات و التصورات ملائمة للبيئة المدركة و ليست الحقيقية، فتكون لكل منظمة بيئة خاصة تتفاوت في قربها أو بعدها من البيئة الحقيقية⁽¹⁰⁾.

و من خلال عمليات تقييم البيئة الخارجية للمنظمة تخلص المنظمة من خلال دراستها لمكونات و متغيرات البيئة الخارجية المتميزة بدرجات متفاوتة من التغير و التعقيد الى تحديد وجهة التهديدات التي تواجهها من جهة و الفرص المتاحة لها من جهة أخرى، لتتخذ كل ما يجب من اجراءات مسبقة لأجل تفادي التهديدات و استغلال الفرص التي هي متغيرات مواتية في البيئة الخارجية تؤثر ايجابيا على فعاليتها، بينما تمثل التهديدات تلك المتغيرات أو الظروف التي تحدث في البيئة الخارجية و تميل لأن تكون طويلة الأجل أو الوجود تؤثر عليها سلبا مع غياب أي تحركات من قبل المنظمة للتعامل معها لتخفيض تأثيرها فتشكل بذلك نقاط ضعف على الأداء التنظيمي للمنظمة ككل⁽¹¹⁾.

و نخص بالذكر هنا المتغيرات الاجتماعية و الثقافية و كل ما تحمله من انساق و انماط مختلفة من السلوك و التي في الغالب تتعلق بمستويات الوعي و الادراك و التي تؤثر بعضها مباشرة على مستوى الأداء التنظيمي للمنظمات الخدمائية أو العمومية والتي تتمثل في المرافق العمومية الحكومية، حيث تحاول هذه المنظمات تغيير سلوكيات بعضها من خلال العديد من الفعاليات ضمن وظيفة العلاقات العامة و أداة الإعلام بمختلف أشكاله، و من خلال ما سبق فانه من العوامل و المتغيرات السالفة الذكر من تمارس تأثيرا لافتا على المنظمة و مختلف عناصرها يصل الى درجة التأثير على هيكلها التنظيمي، باعتباره من اساسيات التنظيم.

و من بين النتائج التي توصل اليها البحث بخصوص كفاءات معالجة واقع بيئة المنظمة مثلا ما يتعلق بالهيكل التنظيمي الأمثل طبقا لطبيعة البيئة، لأجل تفادي التأثيرات السلبية، اقترح برنز و ستولكر في دراستهما حول تأثيرات بيئة المنظمة شكلين من الهياكل الإدارية الهيكل الميكانيكي المقترح للبيئات المستقرة و الذي يمتاز بالمركزية و اعتماد الرتبة في أداء العمل و السلوك المبرمج، بينما اقترحا الهيكل العضوي للبيئات المضطربة كونه يمتاز بالمرونة و قابليته للتكيف و اعتماده على الاتصالات الجانبية و العمودية مع الاعتماد على الخبرة و المعلومات أكثر من

سلطة الموقع الوظيفي مع لامركزية في اتخاذ القرارات، حيث وضع النموذجان انطلاقاً من اعتبار الهيكل الفاعل هو الأكثر تكيف مع متطلبات البيئة.

من جهة أخرى أضافت دراسة لورنس و لورش نموذجاً آخر للهيكل التنظيمي الأكثر فعالية في شكل هيكل تنظيمي متغير على مستوى كل وحدة أو قسم أو مستوى بالمنظمة، بناء على مدى مقابلة البيئات الداخلية للمنظمات ببيئتها الخارجية باعتبار ان المنظمات الناجحة هي التي تحقق تقابلاً أكثر، و تضمن قياسهم لحالات عدم التأكد معدل التغيير في البيئة الخارجية و مدى دقة المعطيات التي تجمعها المنظمة عن بيئتها الخارجية، بينما اعتمدا في قياس البيئة الداخلية على بعدي التمايز و التكامل واعتمدت بناء على درجة اختلاف مواقف العاملين والمديرين في وحدات و مستويات المنظمة كمقياساً للتعقيد، بينما يؤشر البعد الثاني على مدى التعاون والاعتماد المتبادل بين وحدات و أقسام المنظمة كمؤشر على مستوى توحيد الجهود و تحقيق الأهداف التنظيمية المشتركة، و هو ما يتيح اعتماد هيكل تنظيمي خاص مناسب لكل مستوى أو قسم يعكس خصوصية بيئته الفرعية التي يعمل ضمنها⁽¹²⁾.

وهو ما يترجم اعتماد بعض المنظمات على هيكل تنظيمي خاص ضمن استراتيجيتها لتحقيق فعالية أكثر و تكاملاً مع المتغيرات السوسولوجية و الثقافية في بيئة عملها على غرار عينة دراستنا عن المنظمات الخدمية العمومية المتمثلة في جهاز الشرطة، و بعد ما سبق عرضه من تأثير لمختلف متغيرات البيئة الخارجية للمنظمة و التي قد تكون جذرية بالنسبة للمنظمة و كيفية أداءها لوظائفها و طرق انتاجها أو تقديمها لخدماتها، تجدر الإشارة الى انه من خلال دراستنا سيكون التركيز على التأثير الذي تسعى المنظمة الى احداثه على المتغيرات و الأوضاع السوسيوثقافية للمجتمع التي تم عرضها و تبيان أهميتها والتي تعني المنظمة أو قد تشكل عائقاً أمام بلوغها درجات الأداء و الفعالية المطلوبين.

2.: أسس و مؤشرات فاعلية الأداء التنظيمي للمنظمات الخدماتية العمومية:

جعلت المؤسسات العمومية في الأساس لتلبية حاجيات اجتماعية ملحة لتوفير بعض الخدمات لأفراد المجتمع بشيء من الدعم وبدون مقابل و لا تتعلق بالتكاليف و مبدأ الرجحية أساسا، فالمنظمات أو المؤسسات العمومية تعود ملكيتها للمجموعة الوطنية أو المجتمع الذي يفوض هيئات و أجهزة الدولة لتمثيل مصالحه، وفقا لمبادئ الحوكمة العمومية، و يكون التسيير فيها بواسطة شخص أو أشخاص تختارهم الجهة الوصية، منها ما تكون تابعة لوزارات و تدعى بالمؤسسات الوطنية تخضع لمراقبتها تقدم لها تقارير دورية عن نشاطها و نتائجها ومنها التي تكون تابعة للجماعات المحلية كالتي تعمل في مجال النقل و البناء و الخدمات العمومية⁽¹³⁾.

كما تمتاز المنظمات العمومية بأهداف متعلقة بخدمة المجتمع و تحقيق أهداف على المستوى الكبير، خدماتها موجهة الى كل أفراد المجتمع، ذات تمويل ثابت مصدره الدولة، قراراتها محكومة بسياسة الدولة، كل موظفيها يتقاضون أجرا ثابت، تعيينهم و نقلهم يخضع لقانون العاملين بالوظيفة العمومية، لا يشجعون على العمل التطوعي إلا في حالات نادرة⁽¹⁴⁾.

و بذلك بنجد أن الاختلاف الموجود بين المنظمات الحكومية و الخاصة الاقتصادية و الخدماتية، وغيرها من الأشكال المتعددة التي تأخذها المنظمات و المؤسسات يجعل من تطبيق مفاهيم و أساليب الادارة و ميكانيزمات كسب الفاعلية و أحسن مستويات الأداء التنظيمي أمرا نسبيا يأخذ بخصوصيات المنظمات الحكومية و أجهزة الدولة.

و من بين ما شاع ك ممارسة بالمنظمات الخدماتية أن ادارتها العليا غالبا ما تقرر و تحدد الخدمات المطلوبة للجمهور كما و نوعا، كون منظمات القطاع العمومي هي الجهة الوحيدة التي تتولى تقديم هذه الخدمات، دون وجود جهات أخرى تقدم ذات الخدمة، مقابل ضعف وسائل الاتصالات بين الادارة العليا لهذه المنظمات و بين الجمهور المستفيد منها، مما يترتب عنه تدني مستويات الرضا لدى

الجمهور المستفيد من الخدمة في حالة تدني مستوى جودة الخدمات التي تقدمها، إضافة الى تأثير القرارات السياسية و الإدارية لما لها من أبعاد اجتماعية و ثقافية قد تلقى قبولا أو عدمه و هو ما ينعكس مباشرة على أداء هذه المنظمات الخدمائية، كذلك يؤدي عدم وضوح أهداف المنظمات لدى موظفيها و عدم اعطاء أهمية لعملية قياس و تقييم الأداء و نظام حوز موضوعي و فعال و غياب أنظمة معلومات فعالة مما يؤدي الى وجود حالة عدم التأكد في اتخاذ القرارات التي يترتب عنها مستوى مرتفع من حالة المخاطرة مما يؤثر سلبيا على عامل الكفاءة و الفعالية، كما يسجل على ادارة المنظمات الخدمائية عدم ايلاء أهمية لعملية تشجيع الابداع و الابتكار بسبب عدم تمتع الانظمة و القوانين بدرجة عالية من المرونة و الاستمرار في مركزة و تجميع القرار لدى الجهات الوصية حصريا⁽¹⁵⁾.

وهو ما يؤدي الى خلق فجوة بين المنظمات العمومية و جمهورها المستقبل للخدمة، و بالتالي ضعف مستمر في الفعالية و ظهور حالات من عدم الرضا وتدني المكانة و التعاون من قبل الجمهور المستقبل للخدمة أو الجمهور العام بما يحمله من خصائص اجتماعية و ثقافية.

3. المسؤولية الاجتماعية للمنظمات الخدمائية للقطاع العمومي تجاه المجتمع

تعد المسؤولية الاجتماعية للمنظمات الحكومية مجموعة الالتزامات التي تتعهد بها المنظمة لحماية و تعزيز المجتمع لذي تعمل في بيئته، أو على أقل تقدير تلتزم بحماية الحقوق العامة و عدم تعارض ممارساتها لقيم و عادات و معايير المجتمعات التي تعمل ضمنها، مع المساهمة في الرعاية الاجتماعية العامة كالمشاركة في الأعمال الخيرية و مساعدة النشاطات الخيرية و التضامنية، و هو ما قد يطلق عليه بادارة السلوك الأخلاقي، كما يمكن أن يكون للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات مسار يتجه نحو مسؤولية أكثر أو أقل حسب المواقف المعتمد من قبلها و التي في الغالب تصنف بين الموقف المعطل أي المناقض لقيم و قوانين المجتمع الوضعية و الاجتماعية و الموقف الوقائي الذي يتمثل في التزام بما هو قانوني و مقبول أخلاقيا بالنسبة للمجتمع دون الذهاب الى ابعد من ذلك، و الموقف الملائم

الذي يتجسد في المشاركة في برامج اجتماعية خيرية ذات قيمة أخلاقية تستحق الدعم و الاحترام و أخيرا الموقف الفعال المتمثل في أعلى درجات الاحساس بالمسؤولية الاجتماعية حيث تسهر المنظمة على الدفاع عن تحقيق المسؤولية الاجتماعية و تبحث دوما عن فرصا في هذا المجال لتساهم بها وتدعمها⁽¹⁶⁾.

يكمن بين الفوارق الجوهرية بين المنظمات الخدمائية الحكومية و الخاصة في طبيعة المستفيدين من الخدمة فتختلف بذلك مستويات المسؤولية الاجتماعية و حتى القانونية و الأخلاقية بالمنظمات الحكومية التي تلتزم بتوفير خدمات نوعية مرضية لكل طالبيها الذين يمثلون في كل الأحوال كافة أفراد المجتمع باختلاف مستوياتهم الاجتماعية و الأخلاقية و الثقافية، ففي الغالب ما تحدد هذه المنظمات مستويات الخدمات التي تقدم وليس أمام جمهور المستفيدين أي خيار آخر باعتبارها الوحيدة التي توفر هذا النوع من الخدمات⁽¹⁷⁾.

و ذلك ما يفرض الماما مطلقا لهذه المنظمات بخصوصية قيم و ثقافة و احتياجات افراد المجتمع الذي تعمل ضمنه و عمليات اعلامية و اتصالية و بحثية حديثة و هو ما ليس بالمتاح في أغلب المنظمات الحكومية الخدمائية على غرار الأمنية منها سابقا و بالتالي فان مستويات تحقيق الموقف الفعال للمسؤولية الاجتماعية يبقى رهين فهم ابعاد المسؤولية الاجتماعية التي تعد من أصلا من أساسيات ومنطلقات خلق هذه المنظمات منذ البداية، لذلك نجد أن المنظمات الأمنية من أولى المنظمات المنوط بها تحقيق أعلى فعالية في تجسيد و تنفيذ كل شروط المسؤولية الاجتماعية و الأخلاقية و الثقافية تجاه المجتمع الذي جعلت لأجله و تعمل ضمنه و لخدمته.

4. العلاقات العامة، الإعلام وفاعلية أداء المنظمات الخدمائية العمومية

تعرف وظيفة العلاقات العامة في المنظمة على أنها مجموعة من العمليات التطبيقية، تستفيد منها المنظمات في إيجاد التفاهم والتكيف بينها و بين جماهيرها داخليا و خارجيا⁽¹⁸⁾. كما تهدف الى رعاية العلاقات الانسانية السليمة بين أعضاء المؤسسة من جانب وبين المؤسسة و الجماهير من جانب آخر، وهي علم

من ناحية أنها تستند الى علم الاجتماع الانساني، و فن إذا نظرنا اليها من الناحية التطبيقية التنفيذية، تعمل لأجل الحصول على رضا الجماهير و ثقتهم و تأييدهم و مسندتهم⁽¹⁹⁾.

فهي تؤدي وظيفة هامة و حيوية و دعامة أساسية من دعائم إدارة المنظمة، باعتبار أن المنظمة ترمي من خلال أهدافها التي صيغت أساسا لأجل اشباع حاجيات لدى الجمهور المستقبل تعد الرابط بين المنظمة و جمهور بيئتها، لذلك فهي تسعى الى تعديل سياستها و أهدافها بما يناسب غاية تلبية هذه الحاجيات بعد الاطلاع على الحاجيات الحقيقية للجمهور و مدى فعالية و جودة الخدمات التي تقدمها و تصحيح الأفكار الخاطئة لديه عنها و عن حيثيات عملها و هو ما يستوجب جهاز اتصالي اعلامي قوي لدى المنظمة تجسده و تنفذه وظيفة العلاقات العامة عن طريق جملة من الأدوات أهمها الإعلام، الذي تستعين به في بث برامجها و تحقيق غاياتها بابرار سياساتها و المعلومات الهامة المجدية، حيث ينقسم الإعلام المؤسساتي الى قسمين داخلي موجه للعاملين بالمؤسسة و خارجي للجمهور مستقبل الخدمة.

كما تبرز أهمية العلاقات العامة في مجال المنظمات العمومية، بقيامها بدور تحسين العلاقات بين الأجهزة العمومية و الجمهور المستقبل للخدمة فعن طريقها ينمو الشعور بالمسؤولية لدى المواطنين فتتجه سلوكياتهم نحو التعاون و التفاعل الايجابي، و قد أصبحت ضرورة تفعيل وظائف العلاقات العامة أكثر الحاحا اثر التغير الكبير الذي حدث في المجتمعات الحديثة المميّزة بتسارع التغير و شساعته في تكوينها و طبيعتها من النواحي السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية خاصة منها زيادة نفوذ الرأي العام في المجتمعات الديمقراطية، حيث تعمل العلاقات العامة على دراسته و التعرف عليه و على خصائصه و توجيهه الوجهة الصحيحة بما فيه صالح المجتمع و منظماته و تعدل كل انحراف أو تشوه في ثقافة و سلوك المجتمع⁽²⁰⁾.

كما تهدف وظيفة العلاقات العامة الى التوعية بالأهداف العامة للمنظمة و أسلوب وكيفية نشاطها و ما أعدته من خطط و استراتيجيات لأجل إقامة علاقة و سمعة طيبة دعما لصورتها الذهنية و تصحيحها بزيادة فرص التفاهم و التأييد و الانسجام بين المنظمة و الجمهور و خاصة منها المنظمات الخدمائية التابعة للقطاع العام.

و تعمل المنظمة من خلال وظيفة العلاقات العامة الى تحقيق جملة من الأهداف كما أسلفنا الذكر، تترجم من خلال عمليات و غايات الحملات الإعلامية التي تتم في شكل تكاملي و وسط، يوفق بين حاجيات افراد المجتمع المتفاوتة و أهداف المنظمة، ضمن النسق الثقافي للمجتمع، باعتبار هذه الحملات نشاط انساني كبقية الانشطة تتم ادارتها من خلال البيئة الإجتماعية و الثقافية للمجتمع التي هي مجموعة القيم و العادات و المعتقدات و السلوكات و الأعراف و الاتجاهات التي يتميز بها المجتمع⁽²¹⁾.

و كذلك من خلال تعاملها مع الرأي العام و نظم المجتمع و تفاعلاته و عملياته الإجتماعية المختلفة ضمن نسق اجتماعي و ثقافي متغير بما يخدم المنظمة حسب متغيرات بيئتها الاجتماعية و الثقافية، بالابقاء و خلق الآراء و السلوكات الايجابية و بعث و تغيير السلبية منها التي لا تتفق و مصلحة المنظمة⁽²²⁾. مقومات كسب ثقة جمهور المنظمات الخدمائية العمومية:

خلص الباحث أحمد محمد موسى⁽²³⁾. الى جملة من المقومات الواجب الأخذ بها من قبل المنظمات خاصة الخدمائية منا التابعة للقطاع الحكومي عن طريقة وظيفة العلاقات العامة و الإعلام الخارجي لأجل كسب ثقة الجمهور و إقامة علاقات طيبة معه نوجزها فيمايلي:

أ- تلبية و احترام مصالح الجمهور:

تحاول المنظمة مطابقة أهدافها للتوفيق بين مصالحها و مصالح جماهيرها المستقبلية للخدمة، فيترجم مستوى خدماتها أهتمامها بتحقيق أهداف الجمهور و بالنظر الى طبيعتها العمومية فان النفع العام يفرض عليها تعميم الخدمة قد

الامكان كهدف أساسي للإدارة العامة، فتلتزم المنظمة بتقديم خدماتها بأسرع وقت ممكن و دون تعطيل أو تسويق أو مماطلة مع اختزال كل التعقيدات التي تهدر وقت ومصالح الجمهور .

ب- استخدام كل وسائل الاتصال لإعلام الجمهور:

من المعلوم أنه لا يقدر لأي منظمة خدمتية حكومية النجاح ما لم تعمل على خلق المشاركة الإيجابية للجمهور لها، ومن أجل الحصول على هذه المشاركة يجب العمل على إفهامهم بخططها وطموحاتها و غاياتها الخدمتية و الاجتماعية عن طريق و وظيفة العلاقات العامة و أداة الإعلام الخارجي الذي يجب أن يتناول الأمور التي تهتم الجمهور و يخاطبه وفق عاداته و خصوصيته السوسولوجية و الثقافية فاسحا المجال لرجع الصدى و فهم مايريده من خدمات من حيث النوع و كيف لضمان تأييد نشاط المنظمة و العمل على النجاحه، باعتبار أن أي موقف يمكن أن يتخذه الجمهور من المنظمة على ضوء معلومات خاطئة أو ناقصة تنقل إليه، من مختلف مصادر الدعاية غير الرسمية لا يلبث أن يتحول إلى مواقف أخرى غالبا ما تكون ضدها، لأن الجهل الذي يمكن حدوثه وسط الجماهير يؤدي إلى عدم اكتراثهم و إلى إساءة فهمهم أو إلى حدوث نوع من السخط العام، فبغض النظر عن حق الإنسان في العلم و المعرفة و باعتبار عرض الحقيقة هو أساس كل إعلام ضمن وظيفة العلاقات العامة يراد به كسب ثقة الفرد أو الجماعة، تجد المنظمة نفسها مجبرة على أن تعمل بشكل مستمر على إحاطة جمهورها بواقع الأمور لأجل رفع مستويات التفهم و الوعي و القبول.

ت- احترام الذات البشرية:

على العلاقات العامة للمنظمات الخدمتية ذات الطابع العمومي في مجال تعاملها مع الجمهور أن تراعي جميع الأمور المتصلة بذات الفرد وكرامته وقيمه الإنسانية. باعتباره كيان مصون، كما يشمل ذلك عدم الاستخفاف به فلا يكفي المنظمة التي تسعى إلى كسب ثقة جمهورها بأن تؤمن لهم الكفاية من الخدمات فقط بل عليها أن تراعي مشاعرهم و تحترم ذواتهم.

ث-السعي نحو تحقيق الصالح العام:

يقرن نجاح المنظمات الخدمائية في تحقيق أهدافها بقدر انتشار الشعور بأن المنظمة أو المؤسسة تعمل من أجل تحقيق الصالح العام، وهو ما يحقق التكيف الملائم للفرد في أبعاده لحدود مصالحه الشخصية و ييسر توجيه سلوكه نحو الإيجابية و التعاون، بعيدا عن أنانيته، لأجل المصلحة العامة للمجتمع ويتحقق الشعور بالصالح العام بنذ عادات التوصيات والاستثناءات والمحسوبيات وخلق الإيمان بالمحافظة على المال العام، وعدم الإسراف أو التبذير فيه، كل هذه الأمور وغيرها تنمي الشعور بالصالح العام وتعمل على كسب ثقة الجماهير.

ج- الالتزام المطلق بكل مضامين الخصوصية الاجتماعية و الثقافية و الدينية للجمهور:

من المعلوم أن الإعلام الناجح كأداة لوظيفة العلاقات العامة بالمنظمة يجب أن يكون بلغة المستقبل و يجسد كل خصوصيات المجتمع من حيث ثقافته و عاداته و تفاعلاته الاجتماعية بأبسط دقائقها و حيسثياتها لذلك من الضروري أن يكون مضمون الرسالة الإعلامية ملتزم بشكل حصري بمضامين الخصوصية الاجتماعية و الثقافية و الدينية للجمهور المشكل لبيئة الاجتماعية للمنظمة.

ح- التعامل بعدالة و مساواة بين كل أفراد الجمهور:

تتمثل أهمية العدالة في تعاملات المنظمة كونها إحدى الضمانات المتممة لقيام الثقة بين المنظمة وجمهورها، وإن التزامها بواجباتها إزاء الجمهور سيقابله وبنفس القدر والأهمية التزامهم بواجباتهم إزاءها، فتأتي الثقة نتيجة التزام الفريقين وترسخ بقدر ما يتعادل التزام كل منهم، كما أن العدل مطلوب للأفراد العاملين داخل المنظمة وهم جماهيرها الداخلية فإن وقع الظلم على العاملين أو الموظفين يؤدي الى عدم استطاعتهم العدل مع جماهير المنظمة ولاشك أن التزام العلاقات العامة بتحقيق العدل ورفع الظلم، يحقق لها ثقة جماهيرها و ولائهم.

خ- اشاعة روح التضامن و التأزر:

إن عمل المؤسسة أو المنظمة ككل نحو هدف واحد هو الضمان الوحيد لنجاحها، وتفكيكها ووجود روح الشللية والانقسام نذير فشل وانحلال، فالعمل داخل جو من التعاون والتضامن والايان بهدف وغاية واحدة يتيح للعاملين بالمؤسسة مجال الشعور بمسؤولياتهم تجاه بعضهم وتجاه المنظمة التي يعملون تحت لوائها، وهذا العامل يحقق بالطبع ثقة جماهير المؤسسة بها، وبما تقدمه من خدمات، كذلك يؤدي تحسيس و اعلام جمهور المنظمة بأهداف و غايات الخدمة العمومية و مقاصدها الى خلق جو من التعاون و الانسجام و التكامل بين المنظمة و بيئتها الاجتماعية.

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه، يبرز أن أغلب الاهتمامات النظرية، تنصب في جوهرها حول عمليات تحقيق أعلى درجات الفاعلية والفعالية للمنظمة، التي تتجسد في غالباً في مدى تمكن المنظمة من تحقيق الأهداف الموضوعية، ولكونها كذلك غاية كل منظمة و مبرر لوجودها، تصف حاضرها وترسم مستقبلها، لاسيما منها المنظمات الخدمائية التابعة للقطاع العمومي، التي لها من الخصوصية ما يجعلها وثيقة الارتباط بالبيئة الخارجية السوسيوثقافية بكل ما تتضمنه من متغيرات اجتماعية وثقافية و نظم و انساق ثقافية، مما يجبرها على محاولة تحقيق التكيف معها و الاستجابة لها أوحى التأثير فيها لتحقيق مستوى يكفي على الأقل لضمان الحد المقبول من التكامل والتناسق والانسجام معهالنيل رضا و ثقة ثم دعم الجمهور المستقبل للخدماتها من جهة و الاستفادة من جهة أخرى مما هو متاح من نخبة الموارد البشرية بسوق العمل لتخفيف ظاهرة الغزوف عن بعض الوظائف و المهن بعد تغير مفاهيم قيمة العمل لدى المجتمع بسبب قيم واتجاهات دخيلة يعتقد البعض أنها بحجة عالميتها فهي مبررة إلا أنها لا تخدم المجتمع و منظمات و مؤسسات الوطن.

❖ هوامش البحث:

- (1) ناصر دادي عدون، ناصر دادي عدون، ادارة الموارد البشرية و السلوك التنظيمي، دراسة نظرية و تطبيقية، دار المحمدية العامة، الجزائر، 2004، ص: 123
- (2) غول فرحات، الوجيز في اقتصاد المؤسسات، دار الخلدونية، الجزائر، 2008، ص 42
- (3) محمد عبد الفتاح الصيرفي، مبادئ التنظيم و الإدارة، دار المناهج الأردن، 2006، ص 33.
- (4) غول فرحات، مرجع سبق ذكره، ص 54.
- (5) محمد عبد الفتاح الصيرفي، مرجع سبق ذكره، ص 34.
- (6) غول فرحات، مرجع سبق ذكره، ص 41.
- (7) ناصر دادي عدون، مرجع سبق ذكره، ص 119
- (8) غول فرحات، الوجيز في اقتصاد المؤسسات، دار الخلدونية، الجزائر، 2008، ص 46.
- (9) غول فرحات، مرجع سبق ذكره، ص 45.
- (10) مؤيد سعيد السالم، نظرية المنظمة-الهيكل و التصميم، دار وائل ، ط: 3، الاردن، 2008، ص 112.
- (11) غول فرحات، مرجع سبق ذكره، ص 56
- (12) مؤيد سعيد السالم، مرجع سبق ذكره، ص 113.
- (13) ناصر دادي عدون، مرجع سبق ذكره، ص 89.
- (14) جابر عوض سيد، أبو الحسن عبد الموجود، الإدارة المعاصرة في المنظمات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2003، ص 67.
- (15) موسى اللوزي، التطوير التنظيمي، أساسيات و مفاهيم حديثة، دار وائل للنشر، ط 02، الأردن، 2003، ص 250.

(16) علي عباس، ادارة الموارد البشرية الدولية، ط01 اثراء للنشر، 2008، الشارقة، ص218.

(17) موسى اللوزي، مرجع سبق ذكره، ص 251.

(18) أحمد محمد موسى، العلاقات العامة من المنظور الاجتماعي، المكتبة المصرية، 2007، ص24.

(19) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلاقات العامة و الإعلام من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط04، 2004، ص121

(20) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص 140.

(21) علي عباس، إدارة الموارد البشرية الدولية، مكتبة الجامعة الشارقة، ط01، 2008، ص 245.

(22) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص 344.

(23) أحمد محمد موسى، مرجع سبق ذكره، ص219.

سوسيولوجية العولمة

(الدلالات والأبعاد التأثيرية ذات السياق الاجتماعي الثقافي)

الدكتورة: مليكة عرعور، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

العولمة ظاهرة اجتماعية تشير إلى تحول المجتمع الإنساني الكبير، الشاسع المترامي الأطراف، المتنوع والمتباين الخصائص الثقافية، الاجتماعية، التاريخية، الاقتصادية والسياسية إلى قرية صغيرة ذات ملامح ثقافية واجتماعي بسيطة متشابهة، وذات بنية اقتصادية سياسية تسير في اتجاه واحد وتعمل لحساب جهة واحدة، وذلك بفعل انتشار وسائل الاتصال الجماهيري الفضائية والشبكة العنكبوتية، التي تغلغت في البيوت الغنية والفقيرة، وعند كل الأشخاص الكبار والصغار، الإناث والذكور، عند ذوي التعلم العالي وبسيط، بمعنى آخر أن كل أفراد المجتمع الإنساني والجزائري حدث لهم إعادة تطبيع لقيمهم وأفكارهم، لطرائق تفكيرهم، لأساليب تفاعلاتهم، لرؤى التعامل مع الجنس الآخر، ومن ثمة تغيرت أنماط معيشتهم وبناءاتهم العلائقية، والأهم أنها غدت متشابهة في كثير من الملامح الاجتماعية والثقافية.

Abstract:

Globalization is a social phenomenon refers to the transformation of human society great, vast sprawling, diverse and contrasting characteristics of cultural, social, historical, economic and political to a small village with the features of a cultural and social simple similar, with the structure of economic policy going in one direction and working for one side, and so by the spread of mass communication satellite and the World Wide Web, which trickled in houses rich and poor, and when all people, young and old, male and female, when people with higher education and simple, in other words that all members of the human community and the Algerian happened to them re- normalization of the values and ideas, the ways of thinking, methods of interactions, visions dealing with the opposite sex, and there lifestyles have changed and most importantly it has become similar in many social and cultural features.

لقد تطور المجتمع الانساني بشكل كبير عبر التطور التكنولوجي الذي لمس جميع مؤسساته، نظمه، علاقاته، تفاعلاته، وثقافته... الخ، والذي ترتب عنه وصول المجتمع الانساني إلى مرحلة تطورية الفكرية، القيمة والعلائقية تكاد تتصف بالتعقيد والتشابك الكبيرين إضافة إلى تقلص الصلات الحميمة في مقابل ازدياد ارتباط الفرد على اختلاف الجنس والعمل والمستوي الثقافي له بالعالم الالكتروني الرقمي أكثر من العالم البشري الإنساني أي تحول المجتمع الانساني الرطب والمتنوع الخصائص والسمات إلى قرية صغيرة، يتبسط فيه الاتصال ومن ثمة تبادل المعلومات والخبرات وهذا التحول والتغير الاجتماعي أفرز تحويل كم معرفي وثقافي أي القيم، والأفكار والمعتقدات، موحد أو شبه ومن ثمة أصبح لها ذات الوتيرة التأثيرية.

إن انتشار ذات الأفكار وذات القيم في المجتمع الإنساني، يولد بالضرورة ذات العادات السلوكية، يتشكل ذات النمط العلائقية بين مختلف الزمر الاجتماعية داخل المجتمع الانساني، هذا الأخير الذي وجد منذ آلاف القرون على صفة التمايز والتنوع في الخصائص والسمات، الدلالات والمعطيات، حيث أدي ذاك التمايز والتنوع إلى الابداع والابتكار ونشؤ الحضارات كبرى منها الحضارة الصينية، الفرعونية، البابيلية، الاغريقية، الرومانية، الإسلامية وأخيراً الحضارة الحديثة وكل منها كان لها دور في تطور النوع البشري واتساع فجوة التشابه بينه وبين الحيوان، وإعطاء ثراء لغوي وفكري للإنسان في كل الأمصار على وجه البسيطة، مما نمي عند الانسان قوة ملاكات الاكتشاف والتقصي عن مسببات التنوع ومرجعياته في الأرض والإنسان ذاته، ومن هنا يتضح أن التمايز والاختلاف والتباين قضايا تعكس وجه الطبيعة الحقيقي، الذي ينعكس كذلك على طبيعة الوجود الاجتماعي والحياة الاجتماعية للإنسان، الذي عملت ظاهرة العولمة على الاخلال بتوازنه إن لم يكن وجوده.

إن ظاهرة العولمة ظاهرة فرضها التطور التكنولوجي للمجتمع الإنساني، فهي جعلت المعلومة الحديثة تنقل في لمح البصر على شعوب العالم برتمه وبكثافة مذهلة وبأبعاد أربع سمعي بصري وحركة وألوان لا يتمكن المتلقي من تمحيصها أو التحقق منها أو حتى التأني في استقبالها، ومن ثمة فالفقضية الخطيرة اجتماعياً أن المعلومة المنتشرة ليست كلها صحيحة أو ليست واقعية، كما قد تكون ملفقة أو قد تكون مروج لها والغرض منها إحداث فوضى اجتماعية عرقية أو دينية في مجتمع ما أو لإحداث تغير في بنية اجتماعية معينة نمط علائقي أو أنماط سلوكية معينة لم تكن موجودة فيه لتحويله من مجتمع له بنية ثقافية بطابع مختلف عما كانت عليه أو اخلال باستقرار دولة ما لم تتفق هي وأخرى سياسياً أو تستجيب لها في السيطرة فتحصنت بقوة شعبها وثقافته، ومن هنا فإن المتلقي مهما كانت قدرته في التمحيص وحصانته الثقافية فإن المعلومة في حالة تغلغل سريع للوعي، وبالتالي التغير في البنى الثقافية للمجتمع وتغير العلاقات الاجتماعية أكثر سرعة مما كانت عليه في القرن السابق.

إن العولمة ظاهرة اجتماعية تشير إلى تحول المجتمع الإنساني الكبير، الشاسع والمترامي الأطراف، المتنوع والمتباين الخصائص الثقافية، الاجتماعية، التاريخية، الاقتصادية والسياسية إلى قرية صغيرة ذات ملامح ثقافية واجتماعي بسيطة، وذات بنية اقتصادية وسياسية موحدة تسير في اتجاه واحد وتعمل لحساب جهة واحدة، وذلك نتيجة انتشار وسائل الاتصال الجماهيري الفضائية والشبكة العنكبوتية *réseau internet*، التي تغلغت في البيوت الغنية والفقيرة، وعند كل الأشخاص الكبار والصغار، الإناث والذكور، عند ذوي التعلم العالي وبسيط، بمعنى آخر أن كل أفراد المجتمع الإنساني والجزائري بالتحديد حدث لهم إعادة تطبيع لقيمهم وأفكارهم، لطرائق تفكيرهم، لأساليب تفاعلاتهم، لرؤى التعامل مع الجنس الآخر، ومن ثمة تغيرت أنماط معيشتهم وبناءاتهم العلائقية، والأهم أنها غدت متشابهة في كثير من الملامح الاجتماعية والثقافية.

من هذا المنطلق جاءت هذه البحث ذا المعالجة التصورية السوسولوجية بغرض إعطاء تصور عميق ودقيق حول تأثيرات ظاهرة العولمة من خلال قراءة سوسولوجية لدلالاتها وأبعادها التأثيرية الاجتماعية الثقافية في دفع الأفراد إلى تشكيل معطيات اجتماعية بلمامح معينة، وتمثل تلك المعطيات الاجتماعية في الأدوار، المكانات والعلاقات الاجتماعية.

1. تعريف العولمة:

يشير مصطلح العولمة أي Globalization بين الباحثين لغوي إلى تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله⁽¹⁾.

دون استثناء، وتعرف كذلك بأنها "مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي، وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة وإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل⁽²⁾.

أما من الناحية الاستمولوجية فإنه من الصعوبة بمكان الاتفاق على تعريف جامع مانع للعولمة، وذلك لتعدد الرؤى والمداغل، والتي تتأثر باتجاهات الباحثين ومواقفهم منها وانتمائتهم الايديولوجية والسياسية والدينية، ولكي توضع هذه المعالجة في مسارها التحليل السليم فإنها تنطلق بمناقشة تعريف مصطلح العولمة إطاره العام، وذلك بعرض بعض من تعاريف الباحثين والمهتمين به.

وفق التعريف الأول، العولمة هي الترجمة الحرفية للمصطلح الفرنسي Globalization ذات الجذر الأمريكي، وهي تعني إكساب الشيء طابع العالمية⁽³⁾، بمعنى تعميم الشيء أو صفته وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، أما التعاريف الموالي يقدر العولمة بأنها مشروع حضاري غربي متكامل البنيات، أوجده التلاقي بين التطلعات والحاجات الغربية من جانب، والإمكانات المادية الهائلة التي أوجدتها الطفرات النوعية الكبيرة في تقنيات الاتصال والمعلومات والصناعات المتقدمة من جانب آخر⁽⁴⁾.

وبالتالي غدى النموذج المعيشي الغربي يغلب على جل دول العالم ومجتمعاته، إضافة إلى النقل السريع للمعلومة، أما التعريف الثالث المقدم هنا هو يعتقد به غالبية المفكرين والباحثين، وهو يعرف مصطلح العولمة بأنها سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع الثقافات في العالم⁽⁵⁾.

وهذا النمط الثقافي هو النمط الغربي وبالتحديد الأمريكي، تعريفاً شاملاً بأنها " هي التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية⁽⁶⁾ ". وبالتالي فالعولمة هي انسلاخ المجتمعات الانسانية عدا المجتمع الأمريكي عن قيم ومبادئ وتقاليد وعادات الأمة وإلغاء شخصيتها وكيانها وذوبانها في الآخر، فالعولمة تنفذ من خلال رغبات الأفراد والجماعات بحيث تقضي على الخصوصيات تدريجياً من غير صراع إيديولوجي. فهي " تقوم على تكريس إيديولوجيا "الفردية المستسلمة" وهو اعتقاد المرء في أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه ، فتقوم بإلغاء كل ما هو جماعي ، ليبقى الإطار "العولمي" هو وحده الموجود⁽⁷⁾ .

فهي تقوم بتكريس النزعة الأنانية وطمس الروح الجماعية ، وتعمل على تكريس الحياد وهو التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية ، وهي بهذا تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري أي التطبيع والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري⁽⁸⁾ . وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، مما يفقد الهوية الثقافية من كل محتوى.

وعليه فإن تشير العولمة إلى وجود عالم دون دولة، دون أمة، وأخيراً دون وطن إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية⁽⁹⁾ . يقول عمرو عبد الكريم العولمة ليست مفهوماً مجرداً؛ بل هو يتحول كلية إلى سياسات وإجراءات عملية ملموسة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والإعلام⁽¹⁰⁾ .

بل وأخطر من ذلك كله هو أن العولمة أضحت عملية تطرح - في جوهرها - هيكلاً للقيم تتفاعل كثير من الاتجاهات والأوضاع على فرضه وتشبيته وقسر

مختلف شعوب المعمورة على تبنى تلك القيم وهيكلها ونظرتها للإنسان والكون والحياة⁽¹¹⁾. وهذا الطرح تعرف العولمة بأنها صياغة إيديولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم أجمع باستخدام الوسائل الإعلامية، والشركات الرأسمالية الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم.

2. أبعاد العولمة:

إن تغلغل العولمة وتشعبها في كل جنبات الحياة الاجتماعية لأفراد والجماعات، يلزم علمياً بضرورة التعرض إلى جميع الأبعاد التي تأثرت بها تلك الحياة، وهي أبعاد الاقتصادية، السياسية والثقافية، ومن منطلق الترابط المنطقي والتأثير المتبادل بينها بوسائل الاتصال والإعلامي، إذ أن هذه الأبعاد الثلاثة تتخذ من الإعلام والاتصالات الحديثة، وعلى رأسها وسائل الاتصال الجماهيري القنوات الفضائية والانترنت وسيلة أساسية لتجد طريقها إلى التغلغل والتطبيق.

1.2. البعد الاقتصادي: وهو البعد الأكثر بروزاً في أبعاد العولمة، إذ أن مفهوم العولمة قد كرسه اتفاقية اقتصادية هي الاتفاقية العامة للتجارة الدولية⁽¹²⁾، وبناءً على هذه الاتفاقية، يتم إلغاء الرسوم الجمركية، وغيرها من القيود ليصبح العالم سوقاً واحدة، ومن ثم يتسنى للشركات أن تقيم المصانع، وغيرها من الأنشطة التجارية في أي مكان شاءت من العالم، كما يمكن تحويل ملكية الدولة للقطاع الخاص، في إطار ما يسمى بـ (الخصخصة)، وتحرير أسواق المال والأوراق المالية من أي قيود، ومن ثم فإن هذه الاتفاقية تتيح للدول الغنية، وهي صاحبة رأس المال، أن تسيطر على الدول الفقيرة من خلال شركاتها العاملة هناك.

2.2. البعد السياسي: إن الحماية الاقتصادية التي تجدها الشركات الأجنبية داخل الدول، تنعكس على النظام السياسي لهذه الدول⁽¹³⁾، إذ تؤدي إلى تقليص دور الدولة وتراجعها أمام تلك الشركات الخاصة، التي تتحرك بدعم ومساندة القوانين الدولية، ومن ثم تتدخل الدول الأجنبية لحماية شركاتها في الدول الأخرى وهي عموماً دول العالم الثالث لزيادة إحكام السيطرة عليها، فظهر انعكاسات ذلك

على الأوضاع السياسية عامةً في تلك الدولة، التي تفقد استقلالها الذاتي تدريجياً، ويكون ذلك أكثر وضوحاً في دول العالم الثالث في الوقت الراهن، حيث أن المطالبة الديمقراطية في سياستها، الحريات العامة، حقوق المرأة وحرية الإعلام، إضافة إلى تحريك دور الأقليات في دول العالم الثالث للنشاط السياسي، وتفعيل أنظمتها تجاه الأقليات العرقية والدينية، المطالبة بحقوق الإنسان، تفعيل سياسة مكافحة الإرهاب فيها، وغير ذلك مما يسفر عن الأهداف والأبعاد السياسية جراً الاتفاقيات الاقتصادية⁽¹⁴⁾.

3.2 البعد الثقافي: إن الغاية الجوهرية للعولمة في هذا السياق هو سير المجتمع الانساني برمته على النمط الغربي، وفق تقليده وسلوكه، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في أنشطة المؤسسات الغربية في الدول النامية، وعلى سبيل المثال ما تقوم به هيئة المعونة الأمريكية، والمعونة الأسترالية، وسيدا كندا وهي تتبع للحكومة الكندية، ودانيدا الدنمارك، وفيندا فلندا، ونورادا النرويج، وسيدا السويد، وغيرها، والمؤسسات المذكورة توفر التمويل للجمعيات الأهلية النسائية في دول العالم الثالث، مستغلة ندره مواردها، ومما يشير إلى الاتجاه الاستغلالي لهذه المؤسسات، أن تمويلها قاصر على الدول الفقيرة، كدول شمال أفريقيا بما فيها الجزائر إضافة إلى كل من السودان وموريتانيا، ولإضفاء الهدف الثقافي لمؤسسات التمويل، فإنها لا تغيب عن النشاط الثقافي⁽¹⁵⁾. هذه الجمعيات، بل تنفذ للمشاركة في الأنشطة المختلفة كالمؤتمرات، والمعارض، والمحاضرات⁽¹⁶⁾، ومن الأنشطة التي تعتبر مظهراً من مظاهر السيطرة الثقافية أيضاً، مؤتمرات المرأة العالمية، كمؤتمر بكين الذي انعقد في عام 1995، والذي خرج بوثيقة مشهورة تدعو إلى جملة من النقاط التغييرية المرهونة بالدولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي التي عموماً تتناقض والبني الثقافية للمجتمعات المذكورة وأهمها⁽¹⁷⁾.

✓ إلغاء التحفظات التي تستند إلى أساس ديني أو حضاري:

✓ اعتبار أن الأسرة والأمومة والزواج من أسباب قهر المرأة، وأن حق

الإنجاب حق مكفول للأفراد والمتزوجين على حدٍ سواء .

✓ تغليب معايير الثقافة الغربية على المعايير المحلية القومية (18).

✓ التحدي الاجتماعي الثقافي للعولمة:

تشير الثقافة إلى مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وأنها تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة والإنتاج الاقتصادي كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات⁽¹⁹⁾.

وبالتالي فإن التحدي الثقافي الاجتماعي والإعلامي أو بعبارة أخرى التحدي الحضاري فإن للعولمة تأثيرات واضحة الملامح على البناء الثقافي والنسيج المجتمعي للبلدان العربية، ولعل من أبرز هذه الملامح⁽²⁰⁾.

ما يتعلق بالاختلال الذي طرأ على المنظومة القيمية، وبالتضارب الفاضح بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية نتيجة الهيمنة الثقافية والإعلامية لما يسمى بدول المركز التي استطاعت في أغلب الأحيان التسلسل إلى عقول وعواطف ومشاعر أفراد المجتمع لاسيما جيل الناشئة والشباب، وقدمت النموذج الغربي أو الأمريكي على وجه الخصوص بأنه النموذج الوحيد⁽²¹⁾.

للحياة الثقافية والاجتماعية الراقية. ولعل أبرز الأدلة لمدى سطوة هذا التأثير ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وأفلام ومسلسلات التي تعمل على تكريس ثقافة بقيم وتقاليد وعادات وخالفة تمام أو مناقضة في غالب الأحيان للثقافة الأم، التي تلقي رواجاً كبيراً لدى المتلقي العربي، ومن ثمة فقد أفرزت العولمة واقعاً جديداً للهيكل والنسق الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية⁽²²⁾.

سواء على مستوى الأسرة أو مستوى شرائح ومؤسسات المجتمع أو على مستوى العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة. كما أنها أصبحت تهديداً حقيقياً للهوية الثقافية، هذه مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية، فالعولمة تعني مزيداً من تبعية الأطراف لقوى المركز⁽²³⁾.

إضافة إلى والإنتماء الوطني أو المحلي ، وعاملاً رئيساً في هجران الإرث الحضاري القومي المبني على تاريخ الأمم وحضاراتها وأمجادها.

إن الدول والمنظمات العالمية تعتمد على الداعية، اترويج والإشهار العاملة لفرض ظاهرة العولمة تعمل على استثمار منجزات ثورة الاتصالات والتقدم التقني والتكنولوجي في نشر ثقافة جماهيرية واحدة وبقوالب محددة⁽²⁴⁾.

مسبقة الصنع عمودها الفكري الاستهلاك وهذا ما نجده في المحطات الفضائية والذي يستنتج المراقب كأنها مخصصة للإعلان وترويج البضائع الاستهلاكية، فالإعلان أصبح سيد الموقف في كل الفضائيات وشكلت المواد الإعلانية هذه الهاجس والمسيطر والبوصلة التي توجه الأجيال الجديدة في التفكير والتعامل والبيع والعرض والترويج وأسلوب الحياة بكاملها وبذلك فإن هذه العولمة ستؤدي إلى تغيير في القيم الحالية والخصوصية الموجودة في مجتمعاتنا وتؤدي إلى حدوث تغييرات اجتماعية عميقة⁽²⁵⁾.

إن المجتمع الغربي وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت بعد أن أصبحت الحاكم القوي في العالم أنها ستعمل على نشر القيم والسلوك الأمريكي ونمط الحياة الأمريكي في العالم كله وهو ما يفتح باب الغزو للشعوب وعقائدها وثقافتها فالعولمة بالرغم من الصبغة الاقتصادية لها فإنها تعمل من أجل أهدافا أخرى أكثر عمق، حيث تطل ثقافة الشعوب وهويتها القومية والوطنية ومصالحها وخصوصياتها في الصميم وترمي إلى تعميم نماذج وأنماط من السلوك والعيش وفرض منظومات من القيم وطرائق التفكير والتدبير⁽²⁶⁾.

وتكوين رؤى وأهداف تعمل في خدمتها ومن ثم فهي تحمل ثقافة تغزو بها ثقافات ومجتمعات أخرى وتؤدي إلى تخريب منظمات وقيم وإحلال قيم أخرى محلها ليست بالضرورة أفضل من القيم التي لحق بها التخريب فضلاً عن كونها لا ترتبط بخصوصيات الأمم وثقافاتهما ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والإرادة وجعلهما يعملان وفق أهداف المستعمر وفي إطار خطته ومصالحه مع تقييد قوة الدولة أو إنهاكها واستلابها وانتزاع مقومات

حضورها وتأثيرها الاجتماعيين وفرض نوع من الإدراك الواقعي مع إحقاق شلل بالوعي المنقذ والإرادة والقوة وطاقات الروح وبالإيمان وقدراته الخلاقة عند المؤمنين⁽²⁷⁾.

وهذا ما جعلنا نتذكر قول وزير الثقافة الفرنسي في مؤتمر المكسيك إن هذا الشكل من أشكال الامبريالية المالية والفكرية لا يحتل الأرض، ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش وهذا ما قاله الرئيس الأمريكي بعد حرب الخليج الثانية، إن القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم وأنماط العيش والسلوك الأمريكي وفي هذا نزوع استعماري لغزو الآخرين ولمهاجمة الهويات الثقافية والقومية وفرض التبعية عليها وإذابتها⁽²⁸⁾.

ومن هذا المنطلق يمكن القول، أن العولمة⁽²⁹⁾، تجاوزت في تأثيرها الأبعاد السياسية والجغرافية والاقتصادية لتصل إلى جوهر كيان التمايز والتخصيص إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية والفكرية والروحية وتأتي العولمة لتحقيق هذه الأهداف إن النظام الأمريكي يعمل على تدمير البنى الثقافية للبلدان النامية من خلال تدمير بناها المجتمعية وعزل الثقافة عن الواقع وتهميش الصفوة المثقفة في المجتمع والحد من فاعليتها في حياة مجتمعه، لذا فإن العولمة أصبحت تحمل في طياتها نوعاً آخر من الغزو الثقافي الدال على القهر الثقافي من المجتمع القوي للمجتمع الضعيف والتالي المتعرض للغزو، ذاك أن العولمة لا تعني مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات بل أنها توصي أيضاً باحتمال نشر الثقافة الاستهلاكية والشبابية عالمياً والخطورة في هذه الثقافة وبهذا تختلف العولمة عن العالمية والتي تعني إغناء للهوية الثقافية.

بينما العولمة تعني اختراقاً فالاختراق العولمي يعني إلغاء الحوار والتبادل الحضاري والحلول محله ويستهدف العقل والنفس والذين هما الأداتان التي بهما يتم التفسير والتأويل والتسريع وقبول ما هو مفيد ومحاربة ومواجهة ما لا يتناسب مع خصائصنا بحيث انتقل من السيطرة عن طريق الایدولوجيا إلى السيطرة عن طريق الصورة السمعية والبصرية التي تسعى إلى تسطيح الوعي⁽³⁰⁾.

يؤكد علماء الاجتماع في دراساتهم للمجتمعات التقليدية، أن من مسببات عدم تفكك المجتمعات التقليدية، التي ظلت متماسكة وقوية برغم محاولات تفكيك بنيتها التقليدية بكافة السبل والوسائل، هو تماسكها بالدين والعادات والتقاليد الضاربة أطنابها في عمق ووجدان الشعوب، وقد حالت دون تلاشيها وتفككها على عكس المجتمعات الهشة التي كان من السهولة بمكان تفكيكها، وقد يمكن حصر ملامح تأثير المجتمع العربي والاسلامي في نقاط ثابتة ومحددة، وهي (31).

✓ التراجع التدريجي للعلاقات الأسرية والعاطفية الجياشة وتلاشي ما يسمى بالأمن العاطفي عند المرأة والرجل وبطبيعة علاقاتهم مع الأطفال وبقية أفراد الأسرة والآخرين .

✓ زيادة معدلات حالات الطلاق وخصوصاً في المواقع الحضرية
✓ تراجع أدوار الأسرة والمرأة خصوصاً في تربية الناشئة (خاصة المرأة العاملة) حيث ينخفض إهتمام الأطفال، وتعلقهم بأمهاتهم، والعكس صحيح، وهذا يؤثر على مسألة العاطفة الأسرية والترابط العائلي، حيث يتم الإرتكاز على المربيات أو وضع الأطفال في مؤسسات التنشئة الاجتماعية، والتي لا يمكن أن تحل محل الأسرة وبالتحديد محل الأم في تنشئة الأطفال.

✓ ضعف درجة التماسك الأسري يؤدي لا محالة إلى تسلسل السلوكات المنحرفة في الأسرة ومن ثم تهدد هذه السلوكات الأمن الإجتماعي .
✓ تزايد معدلات الطلاق وخاصة في إطار الأسر المتعلمة أو في صفوف المرأة المتعلمة، وسهولة الزواج التلقائي بعيداً عن المسؤولية العائلية والأخلاقية والقيمية .

✓ زيادة حدة الإستهلاك غير العقلاني في إطار الأسر المقتدرة، حيث يتم التبذير بالنقود واللهمث وراء المشتريات وإقتناء الجديد في عالم الموضة والأدوات المنزلية والترفيهية وأدوات التجميل، وخلق وعي إستهلاكي

زائف يلقي بضلاله على الأسرة والمجتمع لمزيد من التميع والفوضى والتبذير وبعيداً عن الحصافة والتدبير المنزلي السليم.

خلق وعي إجتماعي وثقافي زائف لدى المرأة عن الحرية والتقدم والتحضر إلى درجة من الإسفاف، فحرية المرأة لا تعني وضعها في موقع غير محتشم ولا تعني دوس كل القيم الاجتماعية التقليدية على إعتبار أنها رجعية . فليس كل ما هو قديم رجعي وليس كل ما هو جديد تقدمي ومفيد ... فحرية المرأة ومشاركتها في التنمية، وجعلها عنصراً تنموياً حقيقياً، هو أبعد بكثير من اللهث وراء الموضة ومحاكاة الممثلين، وإستخدام أدوات التجميل، والتفنن في طهي الأطعمة، وتحضير ألوان الأشربة، هي أبعد من مسألة الخروج من المنزل والذهاب إلى الجامعة أو الأسواق أو إلى مؤسسات الأشغال والحداث وأندية التسلية والترفية ومجالس القات النسائية⁽³²⁾.

إن مع حرية المرأة ومساواتها بالرجل، لكن الحرية التي تجعل من المرأة كائناً إجتماعياً محترماً له وزنه الاجتماعي في المجتمع العربي الشرقي ومكانتها الاجتماعية، الحرية التي توقرها كعقل وفاعل إجتماعي مشارك في صياغة نسيج الحياة اليومية والحضارية للمجتمع⁽³³⁾.

✓ ولقد جاء التركيز على المرأة لأن المجتمع الغربي وسياسيه يعون الدور الجوهري والقطبي في تكوين الأجيال التي تورث قيم المجتمع العربي وتقاليده.

خاتمة:

إن العولمة تسهم في زيادة التباعد والتفاوت الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي والمعرفي بين الناس، كما تخل بالأدوار الاجتماعية للوحدات الأكثر تأثير في المجتمع وهم المرأة والأسرة، كما أن الآثار الاقتصادية المترتبة عن العولمة قد تدفع الحكومات في العالم الثالث إلى خصخصة بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالإعلام والتعليم أو على الأقل بعض المؤسسات التعليمية، وبالتالي تحجيم الرؤى التربوية، وفوق كل شيء تحديد رؤية الأهداف التربوية، إذ تصبح الأهداف الإنسانية والثقافية والاجتماعية للتعليم على وجه الخصوص ثانوية بالنسبة للمعايير ذات الطابع الاقتصادي، ومثل هذه التحولات إضافة إلى انفجار ثورة الإعلام والمعلومات والتدفق الحر للأخبار والمعلومات والصور والرموز عبر الحدود، سيؤدي إلى إضعاف بعض الأدوار التي كانت تقوم بها الدولة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، من هنا تبدو أهمية الاهتمام ببحث ودراسة أبعاد ووسائل دعم وتطوير دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية في ظل العولمة.

❖ هوامش البحث

- (1) عمرو عبد الكريم، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد، مجلة المنار الجديد، العدد 3
- (2) عبد الصبور شاهين، العولمة جريمة تذيب الأصالة، مجلة المعرفة، العدد 48.
- (3) صالح خليل أبو إصبع، الاتصال الجماهيري، دار الشروق، 1999، ص 33
- (4) أحمد عثمان التويجري، الدين والعولمة، المجلة العربية، العدد 273، فبراير 2000، ص 38
- (5) بربر علوي السادة، العولمة طريق الهيمنة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 409، جانفي 2000، ص 6
- (6) عمرو عبد الكريم، مرجع سابق
- (7) حسني إبراهيم عبد العظيم، مقدمة في سوسيولوجيا الاتصال، مكتبة دار الكتاب الجامعي، 2011، ص 34
- (8) نصر الدين ليعاضي، وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، دار القصة، الجزائر، 1999، ص 57
- (9) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية وعشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، العدد 248، أكتوبر 1999، ص 13
- (10) عمرو عبد الكريم، مرجع سابق
- (11) صالح خليل أبو إصبع، مرجع سابق، ص 45
- (12) جمال الدين عطية، العولمة، مجلة المسلم المعاصر، العدد 90، السنة 23، نوفمبر / ديسمبر 1999م، ص 5
- (13) المرجع السابق، ص 7
- (14) المرجع السابق، ص 8
- (15) حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سبق ذكره، ص 46.

- (16) سهيلة زين العابدين، المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة، مجلة المنهل - الإصدار السنوي الخاص، فبراير 2000، ص 84
- (17) المرجع السابق، ص 89
- (18) جمال الدين عطية، مرجع سبق ذكره، ص ص 6 - 10.
- (19) علي عقلة عرسان، "العولمة والثقافة"، مجلة الفكر السياسي، العددان (4 - 5) ص 225
- (20) نصر الدين لعياضي، مرجع سبق ذكره، ص 59.
- (21) حسني إبراهيم مرجع سابق، ص 96.
- (22) تركي صقر، الإعلام العربي وتحديات العولمة، وزارة الثقافة، دمشق، 1998 ص 204
- (23) حسن حنفي، "الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية"، مجلة الفكر السياسي العددان (4 - 5) ص 248
- (24) تركي صقر، "الإعلام العربي وتحديات العولمة"، وزارة الثقافة، دمشق، 1998 ص 204
- (25) المرجع السابق، ص 207.
- (26) نصر الدين لعياضي، مرجع سبق ذكره، ص 124
- (27) صالح خليل أبو إصبع، مرجع سبق ذكره، ص 204
- (28) سعيد يعقوب "الصهيونية والعولمة"، مجلة الفكر السياسي، العدد السادس عشر، 2002، ص 264.
- (29) حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سبق ذكره، ص 135.
- (30) محمد أحمد السامرائي، "العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي"، مجلة الفكر السياسي العدد 14 ص 118
- (31) صالح خليل أبو إصبع، مرجع سبق ذكره، ص 179.

(32) سمير عبدالرحمن الشميري، المرأة والتعليم العالي والتغير الاجتماعي، مؤتمر التعليم العالي ولأهلي صنعاء، جامعة الملكة أروى، 30 مايو - 1 يونيو 2000، ص 100

(33) فاطمة عبد الرحمن عبد الله، مهددات الأسرة المعاصرة، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 9، 2004، ص 324

وضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني

الأستاذ: بشير طلحة، جامعة الأغواط الجزائرية

الملخص:

تسعى هذه الورقة إلى تقديم حالة تشخيصية لوضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني الذي تشهده مدننا سواء من الناحية المرفولوجية أو من الناحية التركيبية، والتي أفرزت ازدواجية في المنظومة العمرانية نتج عنها تقلص مجال التراكيب العمرانية التقليدية التي كانت تميز جزءاً كبيراً من فضائنا الصحراوي على حساب الأشكال العمرانية الجديدة، رغم أن هذا الوضع لم يفضي إلى الغياب الكلي لتلك التراكيب والتي أصبحت تشكل إرثاً حضارياً بما يحمله من عناصر ورموز عمرانية وقيم اجتماعية تعكس مرحلة مهمة من تاريخ مجتمعاتنا وذاكرتها الجماعية، بدأت تتلاشى بفعل الإنسان والزمان.

Abstract:

This document aims to provide a statutory diagnosis of Saharan Ksour, in the urban development of our cities that ca either morphological or structural side, which resulted in duplication of physical system producing narrowing of the traditional urban architectural space, which characterizes an important part of our desert at the expense of new urban forms, although this has not led to the overall lack of such compositions that became a cultural heritage, with all the elements, urban symbols and social values that reflect a historical part of our collective memory, and companies, which may disappear by the fact of man and time.

مقدمة:

إن وضعية القصور الصحراوية تعبر عن أزمة حقيقية تمر بها مجتمعاتنا وان كانت تبدو في ظاهرها أزمة عمران فهي أزمة عميقة تعكس موقف الإنسان من مقوماتها الأساسية لارتباطه الحضاري الذي تشكل ضمن حقب تاريخية متتالية، أفرزت للوجود عبقرية التناغم مع المكان والزمان معا، كما حفظت على طول المرحلة الزمنية عناصر وجوده الاجتماعي وشخصيته التاريخية .

إن مبررات اختيارنا لهذه الدراسة من خلال هذه الورقة هي الوضعية المحرجة التي تعيشها القصور الصحراوية في ظل التغيرات متعددة الأبعاد والأشكال التي تشهدها بلادنا ولاسيما الجزء الجنوبي منها، و ما ستؤول إليه القصور في ظل هذا التغير، وماهي الميكانزمات التي تتعامل بها السلطات مع وضعية القصور في بلادنا ؟ وماهي الحلول المقترحة لذلك ؟ والأهم من ذلك كله ما هي نظرة السكان للقصور ؟ وهل تغيرت ؟ وكيف يتصور سكان القصور وضعيتها ؟ وما أسبابها ؟

هذه الأسئلة وغيرها المهمة في تشخيص وضعية القصور كانت نابعة من رغبة في دراستها بعدما تم طرح قضية ترميم القصور في الكثير من المناسبات وعلى مستوى الدوائر الرسمية والشعبية كحل مثالي للوضعية التي ألتاليها ، وان كنا نرى بأن هذه القضية هي جزء من حل إلى أنها لا تمثل الحل الأمثل وخاصة عندما تطرح قضية ما بعد الترميم ، أو لصالح من نرسم القصور ؟ وهل ستعود القصور بعد عملية الترميم الى سالف عصرها ؟ وهل تمثل حلا مناسباً للقضاء والتخفيف من أزمة السكن ؟

هذه الأسئلة تم طرحها على عينة دراستنا التي مثلت قصرين مهمين من قصور منطقتنا وهما قصر تاجموت والحويطة، واقتصرت الدراسة على هذين

القصرين نظرا لمحدودية إمكانياتها المادية والزمنية، إضافة إلى أن الدراسة تنتمي للدراسات الميدانية التي توظف التقنيات والوسائل الميدانية في جمع المعلومات رغم صعوبتها، كما أن الدراسة ألزمت الباحث المكوث في حقل الدراسة مدة أسبوع كامل تم خلاله الالتقاء بالسكان والمهتمين بالمنطقة لكلا القصرين، وعليه فإنه لولا وجود بعض العوائق المنهجية والعملية لكانت نتائج العمل أكثر مردودية من ما توصلت إليه، إلى أننا نعتبر هذا العمل بادرة تفتح المجال لأعمال أكثر اتساعا وشمولية في الزمان والمكان .

ويمكننا تقديم هذا العمل وفق الخطوات التالية :

مفهوم القصر

مكوناته

الدراسة الميدانية ونتائجها

1- مفهوم القصر :

إذا كانت الواحة تشكل نظاما فإن القصر هو احد مكونات هذا النظام⁽¹⁾، فليست الواحة هي خصوصية صحراوية بل النظام الواحي ككل هو خصوصية صحراوية، بكل مكوناته بما فيها القصر الذي يعتبر خاصية صحراوية مغاربية إن لم نكن مبالغين في ذلك، فما هي مدلولاته ؟ ومكوناته ؟ وأين يمكننا تصنيفه ؟

يعد مفهوم القصر من بين المفاهيم الأكثر غموضا نظرا لأنه يرتبط بتحديدات واقعية صبغت المفهوم بصبغة خاصة تختلف عن ما درج طرحه في الأدبيات والتحديدات اللغوية المتعارف عليها في القواميس والمعاجم .

فالقصر لغة كما جاء في القواميس هو اسم وجمعه قُصُور، وفي احد معانيه (القَصْرُ) هو البيت الفخم الواسع، كما يقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول

والشائع في المصادر التاريخية ، حيث يقصد به "مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته، وكان يطلق عليه في بداية العهد الإسلامي كلمة بلاط"⁽²⁾.

أما اصطلاحاً فهو "مصطلح صحراوي، يعني تجمع، قرية، أو مدينة صغيرة"⁽³⁾، و هو تجمع مجموعة من المنازل حسب كابوتري التي تشكل القصر والذي يطلق عليه في المناطق الشمالية مصطلح دشرة، كما أن تجمع مجموعة من القصور يشكل لنا واحة مثلاً واحة بني عباس تتكون من ثلاث قصور هي (بني عباس، قصيبة، وارورات)، بينما واحة فقيق تتكون من سبع قصور"⁽⁴⁾.

كما يمكن تعريفه بأنه " قرية محصنة أو تكتلات سكانية متلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية وطبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك مدعما بأبراج، وفي أحيان يعوض هذا السور بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور، ويدعم من الخارج بدعامات نصف هرمية الشكل"⁽⁵⁾.

كما يمكن تعريفه بأنه "ذلك الفضاء المشترك المغلق و المقسم الى مساحات موزعة توزيعاً نوعياً الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتواء به عند هجوم العدو"⁽⁶⁾.

تشير مجمل هذه التعاريف إلى المكونات الأساسية للقصر والتي تحدد معناه على ضوءها، ويمكننا إجمالاً حصرها في العناصر التالية: المسجد، الزاوية، الساحات، البرج (الحصن) ، السوق .

1-1 : المسجد: يتوسط القصر في الغالب ويسمي المسجد العتيق، وهو واضح في قصور غرداية التي توحى بالطابع الإسلامي لتصميم تلك القصور، إلا انه سجلنا وجود المساجد في بعض القصور عند مدخل القصر، وهذا يرجح حسب بعض المختصين إلى أن تأسيس القصر ربما سابق للفترة الإسلامية⁽⁷⁾.

1-2 : الزاوية : تعد الزاوية مؤسسة دينية اجتماعية ذات قيمة كبيرة بالنسبة للمجتمعات المغاربية، حيث يرجح ظهورها خلال القرن الخامس عشر أين سادت المعتقدات المرتبطة بالولاء والصلاح وانتشرت بذلك الممارسات المرتبطة بها، ولا تحتل الزاوية مكانة اجتماعية فقط بل تشغل حيزا مكانيا مهما من القصر حيث تنافس في بعض الأحيان المسجد بل يتم التداخل بين مقر الزاوية والمسجد، كما هو ملاحظ في قصر عين ماضي مقر الطريقة التيجانية، وهذا يعبر عن انتقال السلطة من المسجد لصالح الزاوية فهو لا يمثل دور عبادة بقدر ما يمثل مؤسسة دينية اجتماعية سياسية في كثير من الاحيان يتم فيها اتخاذ العديد من القرارات التي تهم سكان القصر، ومع ظهور الزوايا وانتشارها تقلص دور المسجد بالنسبة للعديد من الوظائف، وقد يتمايز المسجد عن الزاوية مجاليا، كأن يتوسط المسجد القصر بينما يحتل مقر الزاوية جزءا كبيرا خاصة عند مدخل القصر، لأنها في الغالب مقصد العديد من الزوار الغرباء عن القصر ولكي لا يتم انتهاك حرمة الداخلية .

1-3 : الساحات : أو الرحبات كما اشتهرت تسميتها بالنسبة لسكان الصحراء الجزائرية، وهي عبارة عن فضاءات اجتماعية اقتصادية تتم فيها المبادلات التجارية بين السكان داخل القصر فقط، وتتحول في المساء الى ملتقى لسكان القصر او تمارس فيها العديد من المناسبات والاحتفالات، وهي من الناحية العمرانية " ملتقى للأزقة تتنفس من خلاله الأحياء السكنية المتراسة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات " (8).

وتسهل عملية الحركة وانسيابية الهواء ، كما ترتبط في الغالب الرحبات بالمسجد الجامع الكبير لامتنصاص عدد المصلين ، بينما الرحبة أو الساحة التجارية تحتل موقعا بعيدا عن المجال المقدس للمسجد كما هو بالنسبة لقصر غرداية .

1-4 : الحصن أو السور : وهو عنصر رئيسي في القصور الصحراوية نظرا للدور الذي يؤديه في حماية السكان من التدخلات الأجنبية وخاصة خلال الفترات التاريخية التي شهدت عمليات غزو خارجي وهذا ماكان سائدا خلال القرون الوسطي لدول المغرب العربي فاقتصادها يرتكز أساسا على الغزو وما يحققه من مغام ، لذلك تولى أهمية بالغة للحصون وأبراج المراقبة في هندسة القصور الصحراوية كما يساعد موقع القصر على أعالي المرتفعات إلى لعب نفس الدور في حمايته ففي الغالب القصور الصحراوية تقع في مواقع منيعة ومحصنة طبيعيا، قصر المنيعة مثلا أو قصور الاغواط، أما بالنسبة للقصور التي تقع في السهول فيتم حمايتها بتقوية الحصون أو استعمال الخنادق لمنع العدو من الاقتراب (قصر تاجرونة مثلا في الاغواط عرض الحصن يفوق المترين) .

1-5 : السوق : يعتبر السوق من العناصر الأساسية لتشكيل المدن، إلا أن معظم القصور الصحراوية تفتقد للسوق الذي يضمن المبادلات الخارجية، فالرحبة تتم فيها المبادلات الداخلية فقط المتعلقة بسكان القصر، وبالتالي فالسوق لا يتواجد الا في المدن الكبرى .

لقد تم التركيز على العناصر المادية اي العمرانية في تحديد مفهوم القصر غالبا وهذا لا يُمكننا من فهم وإعطاء المعنى الحقيقي لهذا النمط العمراني ، فيجب للاقتراب أكثر من هذا المفهوم عدم إهمال الجوانب والأبعاد الاجتماعية، فتخطيط المجال يخضع للقيم الاجتماعية والدينية والرؤى المرتبطة بالتصورات الفكرية والايديولوجية، فالعناصر العمرانية المادية تبدو عناصر مشتركة بين البشرية جمعاء .

لقد تم مناقشة هذه القضية لدى المختصين عندما تطرقوا للمدينة الإسلامية فاعتبروا أن العناصر العمرانية موجودة في الحضارات السابقة وبالتالي الحضارة الإسلامية لم تأتي بالجديد، بل أعادت إنتاج ما كان موجود في الحضارات

السابقة بل قلدها ، وهذا الحكم كان ناتج عن إهمال القيم الاجتماعية والدينية المرتبطة بتقسيم المجال .

وعليه فانه يمكن النظر إلى القصر على أساس انه مرحلة انتقالية بين حياة البداوة وحياة المدينة، فهو لا يرقى للمدينة بالمعنى الحقيقي للكلمة، كما انه يختلف عن البادية التي يتواجد بها أو يرتبط بها ارتباطا وثيقا، فلقد أسست بعض القصور لتضمن استمرارية الحياة البدوية كانت وظيفتها تخزين المحاصيل الزراعية والحيوانية التي يقوم البدو بإنتاجها .

هذه العلاقة التي لا يمكن فهمها إلا في إطار فهم جدلية البدو والحضر فلا يمكن تصور بادية بدون قصور والعكس صحيح، فالحضور متلازم هنا، يضمن البدو الحماية للقصور وتزويدهم بالمواد الأساسية، فيما يضمن القصوريين المستودعات والراحة للبدو الرحل، ونشير هنا إلى أن هذه العلاقة لم تكن تسير بوتيرة واحدة وعلى نمط واحد بل كانت تتجاوزها تغيرات حسب المراحل الزمنية لتطور هذه القصور، فالمركزية في البداية كانت لصالح البادية أي بمعنى أن السيطرة التامة كانت لصالح البدو الرحل، فالطبقة المالكة للثروة تتواجد في البادية وليس في القصور، لتتغير بعد ذلك العلاقة لصالح القصور وخاصة بالنسبة للقصور التي استبحرت في العمران وأصبحت اقرب للمدن منها للقصور .

2- العلاقة بين القصر والمدينة :

تبدو عملية تصنيف القصور الصحراوية ضمن الأنماط العمرانية المتعارف عليها مهمة صعبة حتى بالنسبة للمتخصصين، نظرا لخصوصيتها وارتباطها بمجالات جغرافية خاصة، ولكن اقرب الطروحات كانت تلك التي حاولت البحث عن نقاط الشبه والاختلاف بين المدينة العربية الإسلامية (médina) والقصور⁽⁹⁾.

وهذا من خلال الرجوع إلى أهم خصائص المدينة التقليدية والتي اختصرها "كلود شالين" في العناصر التالية⁽¹⁰⁾:

- ✓ التركيز الجغرافي للأنشطة التجارية والإنتاجية في منطقة السوق.
- ✓ كثافة النسيج المبني.
- ✓ الحضور الديني من خلال دور العبادة وأماكن التعليم.

✓ براعة الاستجابة الحضرية والمعمارية للعوامل المناخية وارتفاع درجات الحرارة والتي تتمثل في الطرق الضيقة والمساحات المفتوحة الداخلية والأسطح... الخ .

هذه العناصر والتي يشكل السوق أهمها تغيب في القصور الصحراوية مما جعل "كوزمين" ينفي أية علاقة بين المدينة التقليدية والمدن الصحراوية بل اعتبر أن "المدن الصحراوية الجزائرية لم ترقى في يوم من الأيام إلى مستوى المدينة (médina) بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل هي امتداد وتوسع مجالي للقصور، فبسكرة تشكلت من خلال تجمع سبع قصور، فيما غرداية تشكلت من خمس قصور، وبالتالي المدينة انطلاقاً من العناصر السالفة الذكر لم تتواجد بالصحراء الجزائرية⁽¹¹⁾.

يبدو هذا الحكم وان كان في ظاهره اقرب إلى الصحة إلى انه من الناحية الواقعية بعيد نوعاً ما عن الحقيقة، صحيح أن المدن الصحراوية تشكلت عبر الزمن من تلاقي مجموعة القصور ولكن خلال بدايتها الأولى ومع تطورها برزت المدينة بجميع مكوناتها وخصائصها، بل برزت فيها العديد من العناصر المهمة كالسلطة السياسية التي تعتبر أساس نشأة وتكون المدينة في نظر ابن خلدون، فمدينة ورقلة وتقرت شهدت تاريخياً سلطنات مستقلة واعتبرت مراكز للحكم خلال تاريخها، بل برزت فيها عناصر المدينة العربية الإسلامية حتى من الناحية المرفولوجية والمعمارية يصف الوزان مدينة ورقلة خلال القرن الحادي عشر بأنه كان يديرها "أمير يشرفونه كالمملك، يعيل نحو ألف فارس من حرسه، ويحيي إليه من إمارته مائة وخمسون ألف مثقال"⁽¹²⁾.

كما يصف مدينة تقرت بأنها تضم عدة قصور وقري وأماكن أهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام وأربعة، كلها خاضعة لأمير تقرت، الذي أصبح يجي منها مائة وثلاثين ألف مثقال، ولهذا الأمير حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق، يعطيهم أجرا مناسباً⁽¹³⁾، بل يؤكد ابن خلدون في صدد حديثه عن ورقلة بأنها بنيت في بدايتها "قصورا متقاربة ثم استبحر عمرانها فصارت مصر".

إن إشكالية التصنيف ترجع إلى عمليات المقارنة الآلية والمجحفة التي يلجأ إليها بعض الباحثين ولاسيما الباحثين الغربيين، فالمدينة العربية نتعرف عليها من خلال مقارنتها بالمدينة الغربية الأوروبية وهي بالتالي بعيدة عن مفهوم التمدن نظرا لافتقارها لبعض خصائص المدينة الغربية، ونفس الشيء يقال عن المدينة الصحراوية هي بعيدة عن المدينة التقليدية لأنها تفتقد لبعض خصائصها، وعليه فإن القيام بأي تصنيف يجب أن يأخذ بعده الشمولي والعملي بالاعتماد على الخصائص الواقعية التي تتخذ صبغة محلية، وتجدد الإشارة هنا إلى العملية التصنيفية فائقة الدقة والواقعية التي قام بها ابن خلدون خلال القرن الرابع عشر اعتمادا على مؤشرات واقعية، ومنه فانه صنف المدن إلى ثلاثة أنواع.

انطلاقا من المدن الرئيسية أو المدينة الدولة (العاصمة) وهي التي يتمركز فيها الحكم " فاستقرار سلطان الدولة داخل المدينة يفضي إلى وصول المدينة إلى حالة متطورة، فتصبح المدينة الدولة مدينة حضارة، وهذا بعدما تستحكم فيها عوائد الحضارة"⁽¹⁴⁾.

وهناك المدن المتوسطة وأخرها المدن البدوية وهي التي يغلب عليها طابع البداوة وتفتقد للحمامات والأسواق والصنائع"⁽¹⁵⁾.

كما ينعكس ذلك على عمرانها وطرق ومواد تشيدها، و استنادا لهذا التصنيف يمكن اعتبار المدن الصحراوية مدنا بدوية بتعبير ابن خلدون.

3- الدراسة الميدانية :

1-3 مجال الدراسة :

تمثل عينة الدراسة قصرين من بين حوالي أربعين قصر متواجدة بالمنطقة تم إحصائهم من طرف الهيئات المختصة وان كان معظم هذه القصور تأتي في المرتبة الثانية من ناحية الأهمية بالنسبة للقصور المأهولة بالسكان والحديثة عهدا تقريبا مقارنة بالقصور التي هجرت قديما و أصبحت عبارة عن أطلال قد تشكل أهميتها دراسة للمختصين في علم الآثار، ويمثل النموذجين حالة دراسة للجهة الغربية ممثلتا بقصر تاجموت بينما الجهة الوسطي بقصر الحويطة .

3-1-1 قصر الحويطة :

يرجع تأسيس القصر إلى حوالي منتصف القرن السابع عشر، حيث يرجح أن تكون بعض البطون من " قبيلة اولاد يعقوب هي التي اتجهت من مكان سكنها واستقرت في المكان الذي يعرف به القصر حاليا، وهذا حوالي سنة 1650 ميلادية (16)، بالنسبة لقصور المنطقة، إلا أن " ذياب بن غانم من اجل الحفاظ على صغار الإبل من سطو اللصوص أحاطهم بسياج صغير ، هذا السياج يسمى باللغة العامية الحويطة " (17)، بالنسبة لقصور المنطقة، إلا أن " ذياب بن غانم من اجل الحفاظ على صغار الإبل من سطو اللصوص أحاطهم بسياج صغير هذا السياج يسمى باللغة العامية الحويطة " (18).

و قد احتل القصر مكانة هامة انطلاقا من موقعه بالنسبة للجهة الغربية حيث يعتبر نقطة وصل بين قصور الاغواط وقصور جبل العمور وكذلك مركز عبور لقبائل الاغواط الغرابية، أين كانت تربطه بهم علاقة وطيدة وخاصة قبائل اولاد يعقوب واولاد سيدي عط الله و أولاد زيان .



الصورة رقم (01): منظر داخل قصر الحويطة الصورة رقم (02) : منظر خارجي لقصر الحويطة

3-1-2 قصر تاجموت :

" على الجهة المقابلة لقصر الحويطة ، أي شمال شرق مدينة الاغواط وعلى بعد 32 كيلو متر من القصر سابق الذكر يقع قصر تاجموت " (19)، وهو يعد من بين أهم قصور المنطقة نظرا للأحداث المتعاقبة التي سجلت سواء في التاريخ القديم أو الوسيط ، وتعود أصل كلمة تاجموت حسب الرواية الشفوية لسكان القصر كما ترويها الأسطورة إلى أن معناها مستمد من " تاج الموت حيث كانت ملكة تحكم المنطقة قبل دخول الإسلام ، وكلما حكمت على شخص بالموت فإنها تضع التاج على رأسها " (20)، ولكن بالنظر إلى مدلول الكلمة والتي تعود إلى الأصول الامازيغية والتي تتكرر في كم من موقع من الجزائر واصلها حسب الأستاذ حملاوي " تاجنوت والتي تعني البئر المتسعة والعميقة (21).



الصورة رقم (03): منظر لقصر تاجموت وبساتينه

2-3 مجتمع البحث واختيار العينة :

يتكون مجتمع البحث من اجمالي عدد السكنات الخاصة بالقصرين (الحويطة وتاجموت) والمقدرة بحوالي 316 مسكن منها 68 مسكن بقصر الحويطة و248 مسكن بقصر تاجموت وبالتالي هناك عدم تكافؤ في حجم القصرين ، من حيث عدد السكنات والمساحة ، فحسب الحالة التقنية لقصر تاجموت فان اغلب النسيج العمراني في حالة جد متدهورة ، فالمباني المنهارة تمثل ما نسبته 29.41 % والمنهارة جزئيا تمثل اقل من 3% أما المباني التي هي في حالة جيدة لا تبلغ سوى 3% (انظر الشكل رقم 01)، هذا فيما يخص حالة قصر تاجموت أما الحالة التقنية لقصر الحويطة فان نسبة المباني المنهارة تمثل 33% والمنهارة جزئيا 11% و التي في حالة جيدة 17% من مجموع المباني (انظر الشكل رقم 02).

هذه الوضعية صعبت لنا طريقة اختيار العينة ، بما أن جل سكان القصرين ليسوا متواجدين في القصر فإننا عزمنا على اختيار عينة بحجم 136 مفردة موزعة مناصفة بين القصرين واخترنا الحد الأدنى لإجمالي عدد سكنات قصر الحويطة أي 68 مفردة ، ولكن كانت نسبة استلام الاستثمارات قليلة خاصة بالنسبة لقصر الحويطة حيث استلمنا 34 استمارة وتم رفض بعض الاستثمارات نظرا لعدم اكتمالها ، فيما استلمنا حوالي خمسين استمارة في قصر تاجموت تم قبول منها 34 استمارة لتتم عملية المقارنة بشكل مقبول بينها وبين عدد الاستثمارات الموجهة لقصر الحويطة ، وكان شرط توزيع الاستثمارة هو توفر ملكية السكن داخل القصر القديم كشرط أساسي لتوزيع الاستبيان ، وبالتالي فحجم عينتنا مثل ما نسبته 21.51% من إجمالي مجتمع البحث .

واعتمدنا على العينة العرضية وهي من ضمن العينات غير الاحتمالية المتعارف عليها ، ولم تواجهنا صعوبات في توزيع الاستبيانات بقدر ما واجهتنا صعوبة في جمعها ، كما احتوى الاستبيان على حوالي 33 سؤال نظرناها وفق التالي :

3-3 وضعية القصور :

تحدد وضعية القصر انطلاقا من وضعيته القانونية للسكنات مما يعطي صورة واضحة عن الارتباط بالسكن داخل القصر والذي سيتحدد عنه الكثير فيما بعد ، وهذا ما يمثل السؤال رقم 15 والمتضمن ملكية المسكن لمن تعود كما هو موضح في الجدول التالي :

الجدول رقم 01 : يمثل نوع ملكية المسكن داخل القصر

النسبة	التكرار	نوع ملكية المسكن
17.64 %	12	ملكية شخصية
77.94 %	53	ملك للعائلة
4.41 %	03	اخر
100 %	68	المجموع

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن 77.94% من العينة المدروسة أجابت بان ملكية سكناتهم المتواجدة بالقصر تعود إلى عائلاتهم وهي نسبة معبرة مقارنة مع الذين أجابوا بأن ملكية السكنات الموجودة بالقصر تعود لصالحهم بنسبة 17.64% أي بفارق 60.3% وهي نسبة كبيرة توضح بان أغلبية السكنات المتواجدة في كلا القصرين تعود ملكيتها للعائلة مما يصعب اتخاذ أي إجراء فردي اتجاهها ، ولعل هذا مايدعمه الجدول التالي :

الجدول رقم 02 يوضح وضعية السكن

النسبة	الحويطة		قصر تاجموت		وضعية السكن
13.23%	00%	00	26.47%	09	معروض للبيع
7.35%	8.82%	03	5.88%	02	معروض للكراء
11.76%	17.64%	06	5.88%	02	في حالة تنازع بين الورثة
47.05%	58.82%	20	35.22%	12	مهمل
20.58%	14.70%	05	26.47%	09	اخر
100%	100%	34	100%	34	المجموع

يتضح من خلال الجدول أن 47.05% من إجمالي العينة المدروسة أجابوا بأن وضعية سكناتهم مهملة وهي نسبة تقارب نصف العينة المدروسة ، وإذا ماقارن بين الإجابتين في كل من القصرين كما هو موضح في الجدول نرى بان أفراد العينة الذين أجابوا بان وضعية سكناتهم مهملة في قصر الحويطة اكبر من الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم مهملة في قصر تاجموت حيث مثلت النسبة الاولي 58.82% بينما النسبة الثانية مثلت 35.22% ، ومنه فان عدد وضعية السكنات المهملة في قصر الحويطة أكثر منه في قصر تاجموت ، فيما مثلت نسبة الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم معروضة للبيع بـ 13.23% وإذا ما قارن بين القصرين نجد أن نسبة الذين أجابوا بان وضعية سكناتهم معروضة للبيع مثلت في قصر تاجموت 26.47% بمقابل قصر الحويطة لم تعرض السكنات للبيع ولعل هذا

ما يدعم ملاحظتنا الميدانية إذ لاحظنا كثرت تردد كلمات للبيع بمنازل قصر تاجموت فيما لم نلاحظ هذه الظاهرة في قصر الحويطة .

كما سجلت إجابات المبحوثين مانسبته %11.76 من إجمالي العينة وضحو أن وضعية سكناتهم في حالة نزاع قانوني بين الورثة ويظهر ذلك في قصر الحويطة أكثر منه في قصر تاجموت ، فيما سجلت نسبة الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم معروضة للكرء %07.35 من إجمالي العينة المدروسة وتكاد تتقارب النسب بين اجابتي العيتين لكلا القصرين في هذه الحالة ، بينما مثلت نسبة الذين لم يوضحوا وضعية سكناتهم داخل القصر ب%20.58 من إجمالي العينة .

نستنتج من خلال هذا الجدول أن وضعية السكنات غير متكافئة للقصرين فالقابلية لاستغلال السكنات مازالت قائمة في قصر تاجموت منه في قصر الحويطة ولعل هذا ما يبرر نسبة عرض السكنات للبيع بالقصر ، فيما أشارت الإحصاءات بالنسبة لقصر الحويطة أن أكثر من نصف سكناته مهملة بالإضافة إلى أن نسبة معتبرة متنازع عنها بين الورثة ، ولعل هذا ما يعبر عن الوضعية العامة التي يعيشها القصر انطلاقاً من وضعية سكناته .

إن الوضعية التي أليلها كلا القصرين أثارت انتباه السكان بحيث أجامعظم أفراد العينة أن وضعية القصر أثارت انتباههم بنسبة %95.58 من إجمالي العينة فيما أجاب %4.41 بعدم الاهتمام بوضعية القصر، كما هو موضح في الجدول رقم 03 .

الجدول رقم 03 : يوضح اهتمام السكان بوضعية القصر

هل اثار انتباهك؟	التركرار	النسبة
نعم	65	95.58%
لا	03	4.41%
المجموع	68	100%

هذا الاهتمام سيولد رد فعل لدي السكان للتصرف اتجاه الوضعية التي أليها القصر والتي على ضوءها ستتخذ الإجراءات المناسبة انطلاقا من هذه الوضعية ، وهذا ما يوضحه الجدول التالي :

الجدول رقم 04 : يوضح رد الفعل المتخذ من طرف سكان القصر اتجاه وضعيته

النسبة	التكرار	ماكان رد فعلك ؟
40.18%	43	طلبت من المعنين إعادة ترميمه
30.84%	33	تكلت مع الأصدقاء حول وضعيته
13.08%	14	بادرت بفعل معين اتجاهه
15.88%	17	اللامبالاة
100%	107	المجموع

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 41.18% من العينة بادرت بطلب من السلطات المعنية بترميم القصر، فيما اكتف مانسبتهم 30.84% منهم بإثارة موضوع القصر مع الأصدقاء بينما أجاب مانسبتهم 15.88% باللامبالاة اتجاه الوضعية التي أليها القصر فيما أجاب مانسبتهم 13.08% بمبادرات فردية اتجاه وضعية القصر .

يتضح من خلال الجدول مدى الوعي المتشكل لدي سكان القصر حول وضعية القصر بحيث أن سكانه لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل بادروا بإسراع صوتهم للسلطات المعنية من اجل إعادة ترميمه أو اثار الموضوع مع الأصدقاء كحل أخير ، فيما اخذ بعضهم زمام المبادرة من تلقاء نفسه فهناك وعي بالوضعية التي أليها القصر لان أمرهيعنيهم لكن تبقي مبادرة إصلاحه مرتبطة بالسلطات أي بالمبادرات الخارجية .

ويترجم هذا الاهتمام بالقصر ووضعيته ، وجود أسباب موضوعية أدت إلى العزوف عن السكن به وهذا ما يوضحه الجدول رقم (05) :الذي يوضح أسبابالتخلي عن السكنبالقصر

النسبة	التكرار	أسباب تخلي عن السكن بالقصر
30.88%	21	انهيار المباني
4.41%	03	انعدام النظافة
50%	34	غير صالح للسكن
14.70%	10	الانتقال الى مكان افضل
100%	68	المجموع

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 50% من المبحوثين أجابوا بان أسباب تخليهم عن السكن بالقصر راجع إلى عدم صلاحية السكنات به، فيما أجاب 30.88% منهم أن أسباب تخليهم عن السكن راجع لانهيار المباني به، بينما أجاب 14.70% منهم ان سبب تخليهم راجعة الى الانتقال لاماكن افضل من القصر ، بينما فضل 4.41% هجرته لعدم توفر النظافة به .

نستنتج من خلال الجدول أن 80.88% من المبحوثين أجابوا بان تخليهم عن السكن كان لأسباب واقعية ترتبط بوضعية سكناتهم والمتمثلة بالانهيار وعدم صلاحيتها وكذا وضعيته المزرية وهي إجابات تمثل الأغلبية، بمقابل 14.70% فقط استحسنوا السكن خارج القصر، ومنه نستخلص أن وضعية السكنات هي من بين الأسباب المنفرة للسكن بالقصر .

وأمام هذه الوضعية التي يعيشها القصر فقد تم البحث عن الحلول التي يراها المبحوثين مناسبة لهذه الوضعية ، كما هو موضح بالجدول التالي :

الجدول رقم 06 : الإجراء المناسب لوضعية القصر

النسبة	التكرار	الاجراء الذي تراه مناسباً
11.76%	08	تهديمه
88.23%	60	ترميمه
100%	68	المجموع

وكما هو ملاحظ من الجدول فان 88.23% من المبحوثين أجابوا بان الحل الأمثل لهذه الوضعية هو ترميمه، بمقابل 11.76% الذين أجابوا بهدمه، إنالأغلبية ترى عملية الترميم هو الإجراءالأفضل وهي تعني الإبقاء على القصر والتشيث به و إدخال عليه تعديلات بينما هدمه وان كان حلا مطروح بالنسبة للمختصين وغير المختصين فان سكان القصر لا يفضلونه .

وأمام هذه الإجابات التي قدمها المبحوثين والمتعلقة بالترميم ، فقد تم استجوابهم عن الجهة المستفيدة من عملية الترميم ، وهذا ما يوضحه الجدول التالي : الجدول رقم 07 : الترميم لصالح من ؟

النسبة	التكرار	الترميم لصالح من؟
35.29%	24	سكان القصر
51.47%	35	الجانب السياحي
13.23%	09	بدون اجابة
100%	68	المجموع

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة 51.47% من المبحوثين أجابواأن الترميم يجب أن يذهب لصالح الاستثمار في الجانب السياحي ، فيما أجاب 35.29% انه يجب أن يستفيد من عملية الترميم سكان القصر ، فيما فضل 13.23% عدم الإجابة على هذا السؤال ، ومنه نستنتج أن نصف العينة المدروسة ترى بضرورة توظيف ذلك الترميم لصالح الجانب السياحي ولعل هذا ما حدث في العديد من القصور التي تم ترميمها ، كما تعبر هذه الإجابة عن مدى الوعي بالجانب السياحي والاستثمار فيه ، ولكن هذه الإجابات لم تمنع وجود نسبة ترى بضرورة توظيف هذا الترميم لصالح سكان القصر وهو حل من شأنه أن يقضي على احتياجات السكن ، ولعل هذه الرغبة في الاستفادة من ترميم سكنات القصر لفائدة سكانه تؤكدها الرغبة في الرجوع للسكن داخل القصر بحيث أجابوا في سؤال طرحناه على المبحوثين ومضمونه ، هل فكرت في الرجوع للسكن داخل القصر؟، فكانت إجابتهم بأن 55.88% منهم يرغبون للعودة للسكن داخل القصر

وهي نسبة تمثل أكثر من نصف العينة المدروسة، بمقابل 33.82% الذين أجابوا بعدم الرغبة بالعودة للسكن داخل القصر.

إن هذا الاهتمام بحالة القصر ووضعيته تترجمه الحالة الشعورية التي يحملها سكان القصر عنه ، وهي حالة تم الكشف عنها من خلال طرح السؤال التالي كما يوضحه الجدول :

الجدول رقم 08 : ماذا يمثل لك القصر ؟

النسبة	التكرار	ماذا يمثل لك القصر ؟
63.23%	43	ذكريات الطفولة
25%	17	ارث حضاري يجب المحافظة عليه
11.76%	08	بدون إجابة
100%	68	المجموع

إذا نستنتج من خلال الجدول أن ما نسبته 62.23% من العينة المدروسة يمثل لهم القصر مخزون لذكرياتهم الطفولية إذ ترتبط هذه الذكريات بالمجال القصوري الذي عايشوه وهي نسبة معبرة تفوق نصف العينة المدروسة بـ 12.23% ، فيما أجاب ربع العينة 25% أن القصر يمثل لهم إرثا حضاريا يجب المحافظة عليه وحمایته ، فيما فضل 11.76% عدم الإجابة على هذا السؤال .

إن الذكريات حالة وجدانية تعبر عن الارتباط العاطفي للأشخاص بالقصر. كما تعبر عن القيمة الحقيقية التي يحتلها القصر بالنسبة لسكانه، ولكن رغم ذلك لم تخلوا إجاباتهم من وعي ثقافي إذ يمثل القصر جزءا من ثقافتهم وائتمائهم الحضاري وعنصرًا إضافيًا لشخصيتهم التاريخية.

خاتمة :

تشير النتائج المحصل عليها من خلال استجواب المبحوثين إلى التوافق مع واقع القصور الموزعة على كامل تراب الولاية وخاصة تلك التي بدت أنها أفضل حالا من مثيلاتها التي أصبحت أطلالا، والتي تعكس إلى حد ما مستقبل تلك القصور إن لم تتخذ الإجراءات اللازمة لتدارك وضعيتها أين يتفق السكان مع المسؤولين على ضرورة ترميمها بعد صيانتها طبعاً، ولكن هذا الحل يعتبر من بين الحلول الباهظة و المكلفة لخزينة الدولة في ظل وجود قضايا أكثر أولوية في رزنامة عمل المجالس البلدية ، وخاصة منها قضية السكن التي تطرح بجدة .

إن عملية ترميم القصور تبدو لدى السكان وسيلة غير مجدية للتخفيف من أزمة السكن بل يجب الاستفادة منها واستثمارها في الجانب السياحي، وهذا الحل يجب أن يخضع لتقديرات المتخصصين في الجانب السياحي للنظر في مدى صلاحية تلك القصور لهذه العملية ، فقد مكنتنا زيارتنا المختلفة لبعض المناطق والاطلاع على نماذج القصور التي أجريت عليها عملية الترميم بهدف استغلالها في الجانب السياحي طرحت العديد من المشاكل .

ويمكن ذكر كل من قصر موغل بولاية بشار حيث أقدمت جمعية القصر على ترميمه وفتحته أمام السياح الوافدين على المنطقة رغم أن سكانه فضلوا السكن في سكنات جديدة، ونفس الشيء بالنسبة لقصر بوسمغون بولاية البيض أين تم ترميمه من طرف مجلس البلدية الذي بذل مجهود كبير في هذه العملية إلا أن مشاكل عملية تقنية طرحت نتيجة غياب الوظيفة الاجتماعية للقصر فأصبحنا نتكلم عن هياكل عمرانية بدون روح ، وهذا ما انعكس على الوضعية العمرانية للقصر فهو محتاج للصيانة باستمرار مما قد يضعف قدرة أي مؤسسة على التكفل بهذا الجانب .

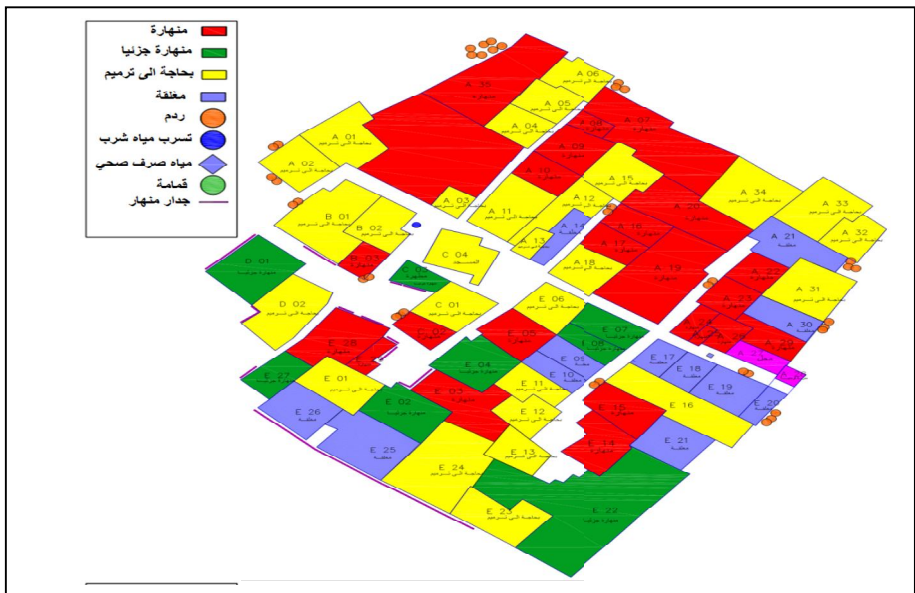
إن الوضعية التي ألت إليها القصور كانت ناتجة عن أسباب واقعية تعكس رغبة السكان في هجرانها(الجدول رقم 05) والاتجاه نحو سكنات أكثر ملائمة

لمتطلبات الحياة الراهنة ، مما يطرح إشكالات عملية لا تتعلق فقط بإعادة إنتاج نفس الأنماط العمرانية بل التفكير في تطويرها لكي تتوافق و المتغيرات الجديدة للسكان وهذا بدوره يحتاج إلى جهد كبير من طرف العديد من المتخصصين في مجالات مختلفة .

إن الوضعية التي ألت إليها القصور لا يمكن تداركها إلا بأخذ في الحسبان عامل الزمن كعامل مهم في الحفاظ على استمراريتها ووجودها إذ وفي نفس الوقت الذي نتكلم فيه عن حالتها تشهد كل يوم تقريبا تدهورا مستمرا واندثار لأهم معالمها، بل استعملت في كثير من الأحيان كأسطبات لمربي المواشي و أمكنة لرمي النفايات .

كما تتطلب وضعيتها سياسة واضحة نابعة من واقعها ومتطلبات سكانها و الإمكانيات المتاحة لإعادة بعث تلك المنظومة العمرانية التي ارتبطت لفترة من الزمن بوجودنا ومقومات شخصيتنا .

الملاحق :



الشكل رقم 02 : الحالة التقنية لقصر الحويطة

❖ هوامش البحث:

- (1) Yaël Kouzmine, Dynamique et Mutations Territoriales du Sahara Algérien vers de Nouvelles Approches Fondées sur L'observation, thèse de doctorat, Université de France – comté, école doctorale , 2007 ,p54.
- (2) على حملاوي، نماذج من قصور منطقة الاغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2006، ص 16.
- (3) Marc COTE , **Signatures sahariennes** , Presses Universitaires de Provence , Aix –Marseille université , 2012 , p 90 .
- (4) Robert CAPOT-REY, **le Sahara Français** , puf , paris , 1953 ,p 234 .
- (5) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 18
- (6) المرجع السابق ، ص 22
- (7) صاحب هذا الرأي هو الأستاذ محمد الطيب عقاب أستاذ بقسم علم الآثار بجامعة الجزائر ، في إحدى زيارته لقصر عين ماضي، سنة 2009 .
- (8) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره، ص 29 .
- (9) يؤيد هذا الرأي الأستاذ حملاوي في الصفحة ، 39 .
- (10) Yaël KOUZMINE, op.cit ., p 57 .
- (11) Ibid, p . 11 .
- (12) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 137
- (13) المرجع السابق ، ص 136 .

(14) سلامى باهي و بشير طلحة ، المدينة في الفكر الخلدوني، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، اكتوبر 2009، قسم علم الاجتماع ، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، ص 111 .

(15) المرجع السابق ، ص 108 .

(16) Jean Méliá , **LAGHOUAT ou les Maisons Entourée des Jardins** , libraire Plon , paris , 1923 , p217 .

(17) Ibid. , p .217.

(18) Ibid., p217.

(19) Ibid.,p219 .

(20) خديجة بوخلخال، قصر تاجموت دراسة اثرية ومعمارية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، معهد علم الآثار، 2011، ص 13 .

(21) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 13.

الدراسات النفسية والاجتماعية

الطب الشعبي والطب الحديث من منظور نفسي اجتماعي

الدكتور: عادل قايد، جامعة تيارت، الجزائر

الدكتورة: عبيدة صبطي، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

يتناول البحث الطب الشعبي والطب الحديث اللذين يمثلان في الوقت الحاضر طرفين مهمين في أرض الواقع في المجال الصحي والعلاجي فلكل منهما أهميته الاجتماعية وأسلوبه العلاجي وطرائقه التي يركز عليها ويتبعها في علاج الأمراض والإصابات، لهذا سنحاول إيجاد المسافات التي تفصل بينهما والحدود التي تجمعها معاً، وهل أن للطب الشعبي مستقبلاً سيشهد تقدماً أم تراجعاً أم إقبالاً عالمياً؟.

Abstract :

This article deals with traditional medicine and modern medicine that represent at present the parties are important in the soil in the area of health and therapeutic everyone has a social meaning and style and therapeutic modalities on which followed in the treatment of diseases and injuries. For this, we will try to find the distances between them and the border met, whether that of traditional medicine in the future will see the progress or decline or universally popular?

تعيش المجتمعات اليوم في حالة من التطور والتقدم التكنولوجي الذي إنعكس على جميع ميادين الحياة الاجتماعية، والذي ترك عليها العديد من التأثيرات وأجرى العديد من التغييرات ولكنه لم يحدث تغييرات جذرية مع كل هذا التطور والتقدم. وإن كان الأمر متعلق ببعض ميادين الحياة وجوانبها ولعل الميدان الطبي هو أهمها لما له من علاقة قوية بالمحافظة على صحة الأفراد في المجتمع.

حيث تطور مفهوم الصحة كما تطور مفهوم المرض والكشف عن أسبابه من فترة تاريخية لأخرى، هذا ما أدى إلي زيادة الكشف عن الأساليب العلاجية للمرض نظرا لتراكم الدراسات وتنافسها للوصول إلى الحل الأنسب والأسهل للتخلص من الأمراض أو الوقاية منها، وصاحب هذا التطور مجالات الصحة والمرض والعلاج تنوع في المعارف والتصورات الخاصة بالصحة والمرض والعلاج، فاتبعت بوتقة المعرفة الخاصة بفهم المرض من حيث نوعه وأسبابه وأعراضه، بين المعتقدات والتصورات القديمة والحديثة، بين التوجه العلماني والطرح الديني للمرض، وبين العلاج الشعبي والتقني الحديث... مما صعب على الشخص عملية الفهم والإدراك للأساليب الناجعة لمواجهة المرض.

1. مشكلة البحث

لقد أثبتت الدراسات الحديثة في الطب الشعبي أن الصراع بينه وبين الطب الحديث صراع متواصل، على الرغم من المنجزات العلمية والتكنولوجية التي يحققها الطب الحديث، فهناك مشتركات بين الطب الشعبي والطب العلمي. لقد اشارت منظمة الصحة العالمية (WHO) إلى أن 65% - 80% من سكان العالم يعتمدون على الطب البديل شكلا أساسيا للرعاية الصحية، وهناك من يرى أن الطب البديل هو طب المستقبل بينما يرى آخرون أنه ليس طباً، وبالتالي لا يصلح أن يكون بديلا وأن المسألة لا تعدو كونها خلطا للأوراق⁽¹⁾.

وسنحاول في بحثنا الموسوم بالطب الشعبي والطب الحديث إيجاد المسافات التي تفصل بينهما والحدود التي تجمعها معا .

2. هدف البحث

✓ محاولة تحليل العلاقة بين النسق الطبي العلمي الحديث والنسق الطبي الشعبي.

3. تحديد المفاهيم

يعد الطب من الأمور المهمة التي تلقى اهتماما خاصا من أفراد المجتمع كونه الطريقة الوحيدة للحفاظ على الحياة بالقضاء على مسببات الموت. وتمتاز المهنة الطبية بنبهها وشرفها لأنها تتعامل مع الإنسان مباشرة وتسعى إلى وصف ما يحتاج إليه من غذاء ودواء ونصيحة وقد مر الطب بمراحل وحقب متوالية ومتداخلة فيما بينها إلى أن وصل إلينا اليوم بصورته الحالية التي تتخذ وتتواجد بشكلين مهمين هما: الطب الشعبي والطب الحديث. وقبل بيان ما يعنيه الطب مفهوما واصطلاحا لا بد من توضيح بعض مسميات نوعي الطب (موضوع البحث).

فالطب الشعبي له مسميات عديدة منها (الطب التقليدي) على أساس قدمه وطرائقه العلاجية التقليدية أو القديمة، كما اطلقت عليه تسمية (الطب البديل) حيث أن بعض طرائقه العلاجية ذات فائدة وأهمية ترجع امكانية حلها محل الطب الحديث، أما تسمية طب العرب فقد جاءت من الشهرة التي كان العرب وبخاصة سكان القرى غالبا ما يتمتعون بها في مجال التطبيب والعلاج الشعبي، وعلى أساس أنه مرحلة مكملية إلى جانب الطب الحديث أطلقت عليه تسمية (الطب التكميلي أو الاستكمالي) كل هذه التسميات تشير في النهاية إلى الطب الشعبي الذي ينقسم اليوم بصورته الرئيسية على ثلاثة أقسام هي الطب الشعبي الديني أو الروحاني، الطب الشعبي الدوائي، والطب الشعبي الجراحي⁽²⁾.

كما أن للطب الشعبي مسمياته فللطب الحديث مسمياته كذلك، فقد سمي الطب الحديث بالطب العلمي كونه يعتمد على الأجهزة الطبية العلمية الحديثة التي أنتجتها التكنولوجيا، وأطلق عليه كذلك تسمية الطب الأكاديمي حيث أن يتبع طرائق علمية مدروسة في علاج الأمراض والإصابات، ولحدائثة طرائقه العلاجية وظهورها بصورتها الحالية أطلقت عليه تسمية (الطب الحديث) (3).

أ. تعريف الطب الشعبي

الطب الشعبي هو مجموعة من المعتقدات الشعبية و الممارسات العلاجية التي استخدمت منذ أزمان بعيدة في كل الثقافات القديمة لمعالجة الأمراض بواسطة مجموعة من الأشخاص ممن يعتقدون أنهم يملكون القدرة على معالجة الناس، ويعد نظاما غير رسمي في البناء الصحي، على الرغم من أنه قد يتم تدريب المختصين فيه في مراكز تدريب مهنية رسمية، ويمارس بواسطة ممارسين من خارج المؤسسات الطبية الرسمية، وتكون وسائله إما وسائل جيدة مستمدة من موروثات سامية قديمة، أو قد تكون وسائل علاجية رديئة كالتى تعالج بها المجتمعات البدائية نفسها، بدلا من العناية الطبية المدربة (4).

أما (سوليبيان) فيرى بأن الطب الشعبي يتعلق بالمعتقدات والتقاليد والممارسات الخرافية حول أمراض الإنسان وكيفية الشفاء منها بالاعتماد على الأشخاص التقليديين الذين يقومون بالعلاج، ولا يجب أن ننظر إلى الأشياء على أنها قديمة أو غريبة، ولكن ندرسها من موقف افتراضي هو أن كلاهما ارتكز على أساس معين في وقت ما (5).

كما تنظر منظمة الصحة العالمية (WHO) إلى الطب الشعبي على أنه شكل من أشكال الطب التقليدي، و تعرفه أنه يشير إلى الطرق والوسائل التي وجدت قبل ظهور الطب العلمي الحديث. أما الجمعية الطبية الأمريكية (American Medical Society) فقد عرفت الطب الشعبي على أنه مصطلح

كثيرا ما يستخدم في المراجع العلمية بالتبادل مع مصطلح الطب البديل (Alternative Médecine) ومصطلح الطب المكمل.

يحفظ الطب الشعبي بين الشعوب البدائية ويتناقل بالتراث الشفهي، بوصفه جزء من التقاليد الاجتماعية والأدب الشعبي. ومن أنواعه الرقية، التعاويذ، الكمادات، والحجامة، واستعمال دودة العلق، والكلي، والتدليك، كما عرفت الجراحة منذ آلاف السنين وتقتصر على التجبير، وتتكون الأدوية المحلية في الأغلب، من أشربة ومراهم محضرة من الأعشاب والبذور⁽⁶⁾.

وانطلاقا مما سبق نستنتج بأن الطب الشعبي هو إستعمال الأساليب التقليدية لعلاج مختلف الأمراض. مثل إستعمال الأعشاب الطبيعية وبعض الممارسات مثل الكلي والحجامة وهو مرتبط ببعض الأفكار والتصورات المتوارثة اجتماعيا حول الصحة والمرض.

ب. الطب الحديث

ونعني به المدخل الذي يفسر تلك العلاقة الجدلية من خلال نظرة آلية يعزل فيها مفهومي الصحة والمرض عن الشخص المريض ومحيطه الاجتماعي والثقافي، ويعتمد أساسا على الرصيد والمخزون التجريبي للأدوية والعقاقير الكيميائية غالبا في مواجهة المرض، ما يفقد تلك النظرة في كثير من الأحيان جوانبها الحسية وعمق مشاعرهما الاجتماعية والإنسانية وخلفياتها الثقافية المتصلة بالنظرة للصحة والمرض؛ وتتضمن هذه الممارسة مجموعة الأدوار النظامية التي تطبق العلم الطبي على مشكلات الصحة والمرض والتحكم في المرض نفسه، كما تضم تخصصات متعددة تضطلع بتقديم الخدمات الصحية كالتخصصات الطبية الدقيقة (طب الأسنان، والتمريض، والخدمات المعاونة كالأشعة والتحليل...)، وهي تخضع لمتغيرات النمط كالإنجاز والعمومية والتخصص الوظيفي والحياد الوجداني الذي حددها "بارسونز"⁽⁷⁾.

فالطب يوجد في نقطة تلاقي العلم والتقنية، كما يشرح ذلك مؤرخ الطب (جون ستارووينسكي) الطب الذي يستند على أسس علمية وتقنية في علاج المرض، وهو حصيلة التقدم العلمي، ويحتاج الطبيب خلال عملية التعلم الطبي مرحلة تعليمية وثقافية يكتسب بواسطتها وجهة النظر بالنسبة للمرض، ويعتمد في فروضه على العقلانية العلمية أن الطب الحديث موجه بالدرجة الأولى نحو استنتاج وقياس المعلومات الكيميائية والفيزيائية عن المريض بدلا من العوامل الوجدانية والاجتماعية، وهو رديف العلوم الطبيعية الأخرى كالفيزياء والكيمياء والبيولوجي والتكنولوجي، ويتطور بتطورها⁽⁸⁾.

وعليه يمكن أن نعرفه على أنه العلم الذي يدرس أسباب وآثار الأمراض على حيوية وفاعلية جسم الإنسان ويدرس طرق وتقنيات علاجها والتحرر من آثارها السلبية⁽⁹⁾.

فالطب الحديث إذن هو إستعمال الأساليب العلمية الحديثة في علاج مختلف الأمراض. وقد ظهر نتيجة تطور البحوث العلمية في مجال الطب. والمعالج في الطب الحديث هو شخص يخضع لتكوين أكاديمي نظري وتطبيقي يؤهله لممارسة مهنة الطب.

1. الجذور التاريخية للطب الشعبي

يعد الطب من أقدم المعارف التي سعى إليها الإنسان ولا شك في أن أول صرخة ألم انطلقت من غضون الغابات وظلمات الكهوف كانت نداء إلى طبيب، وقد اختلف المؤرخون والباحثون والعلماء في تحديد بدايات نشوء الطب، فيرى فريق منهم أنه قديم قدم البشرية وينادي آخرون بجدائته كما يختلفون في تحديد أول من أسس علم الطب ومن الذي أوجده وكل يعزوه إلى بني جنسه، ويعد ذلك انعكاسا لاختلافهم في تحديد نقاط بدايات الاكتشافات الطبية والعمق الزمني للظاهرة (موضوع البحث)، إلا ان اغلبهم ينوه إلى أن جميع وسائل وأساليب العلاج البدائي مستمدة من المحاولات المتكررة عن طريق التجربة والخطأ

والاعتماد على الخبرة في التركيز على التجارب العلاجية الناتجة عن هذه المحاولات في الحالات المرضية المتشابهة⁽¹⁰⁾.

وعليه نجد أن الطب البدائي يعد المصدر الأول الشعبي و الذي كان يعتمد أساسا على الدين والسحر كما كان يتضمن أيضا استخداما للأعشاب الطبية والمنتجات المعدنية وإن كانت الأمراض تعالج بواسطة(الشامان) الكاهن أو الطبيب الساحر أو بواسطة بعض الممارسين الشعبيين الآخرين الذين لديهم القدرة على طرد الأرواح الشريرة. لذا يرى الباحثون أن الطب البدائي هو طب سحري ويؤكد (جيمس دافيز games davis) أن التطبيب و الدين ارتباطا معا، وعندما عزا الفرد الأمراض للأرواح كان السحر هو الشكل المناسب لضبطها والتحكم فيها. وسيطر هذا الاتجاه على المدينة الغربية إلى أن أوجد اليونانيون والتفسير الطبيعي للأمراض، وتوضح الدراسات الحديثة أن أصول الطب القديم ترجع إلى معلومات دينية وطب وخرافات اامتزجت معا وكونت الطب الديني، والطب الحقيقي، وهذا يؤكد أن المعرفة الطبية الشعبية كانت منتشرة بدرجة كبيرة بين الحضارات القديمة خاصة في مصر الفرعونية، ثم تتابعت مراحل تطورها خلال النهضة الاغريقية⁽¹¹⁾.

وخلال الفتوحات الإسلامية لمصر وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، تأسست المدرسة الطبية الإسلامية في المشرق أواخر القرن التاسع وحتى منتصف القرن الثالث عشر و التي اشتهرت بأسماء علماء أمثال (الرازي وابن سينا وابن النفيس والأنطاكي) وتبعتها المدرسة الإسلامية في بلاد المغرب من أمثال (الزهرابي وابن زهر وابن رشد)، وازداد الطب العربي الاسلامي ازدهارا أيام العباسيين وأيام الحضارة العربية في الأندلس، ومن السمات الواضحة في الطب الاسلامي تحرره من مفاهيم السحر والجان وسيادة الجانب الروحي على ممارساته واحتوائه على جوانب شعبية وأخرى علمية⁽¹²⁾.

وفي بداية القرن التاسع عشر ومع ازدهار علم الكيمياء أصبح باستطاعته تحليل الأعشاب ومعرفة المواد الفعالة فيها واستخراجها أو معرفة تركيبها

الكيميائي، وبهذا الانحياز العلمي، انتقل التداوي من الاعشاب مباشرة إلى التداوي بالمساحيق والأقراص والأشربة المستخلصة من الأجزاء الفعالة من الأعشاب ومن المواد الكيميائية وغير العضوية⁽¹³⁾. بعد ذلك مر الطب بمراحل وحقب كما نوهنا، تلونت في إحدى مراحلها بالسحر والشعوذة والطقوس العقائدية المختلفة، وفي مرحلة لاحقة بالدين والأدعية والتلاوات الدينية، حتى وصل عبر مراحل التفكير الإنساني إلى ما هو عليه اليوم بالزي المعاصر للطب الشعبي.⁽¹⁴⁾

3. بين الطب الشعبي والطب الحديث

يهدف كل من الطب الشعبي والطب الحديث إلى وقاية جسم الإنسان من الأمراض قبل وقوعها وذلك من خلال عملية النصح والإرشاد التي تتمظهر في مجال الطب الحديث في حملات التوعية والندوات الصحية حول العادات السليمة التي ينبغي أن يتبعها الفرد في حياته حتى لا يصاب بالمرض، وذلك بالتركيز على الغذاء السليم، كما يهدف إلى علاج الأمراض أثناء حدوثها، أما في الطب الشعبي فتظهر في النصح والإرشاد الذي تقدمه الأم أو كبار السن للمريض حتى يتعافى من مرضه من خلال تقديم بعض الأكلات أو الأعشاب المفيدة لصحته⁽¹⁵⁾.

كما يستخدم كل من الطب الشعبي والطب الحديث النباتات والأعشاب الموجودة في الطبيعة والتي ثبتت نجاعتها وفعاليتها في التخفيف من حدة الأمراض أو علاجها بشكل كلي، والاختلاف بينهما يكمن في طريقة إعدادها لتكون صالحة للعملية العلاجية.

ويتفق كل من النسقين الطب الشعبي والحديث حول مفهوم البرودة المسببة للمرض إذ نجد الكثير من أفراد المجتمع يعتقدون أن بعض الأمراض يكون سببها تعرض الإنسان للبرد، وتتعدد أنواع الأمراض التي يكون سببها البرد في كل

المعتقدات كالتهاب المفاصل، كذلك الملابس غير الملائمة لحالة الطقس والنظام الغذائي غير المتوازن وغيرها تعد أسبابا فاعلة في الإصابة بالبرد.

كما يعتمد الطب الحديث على بعض الوسائل والأساليب العلاجية القديمة والتي استخدمت في عصور وحضارات قديمة كالحضارة الصينية التي اعتمدت على الإبر كأحد أهم الوسائل العلاجية ونشير هنا أن هذه الممارسة تحتاج نوعا من الخبرة والتدريب، وقد كانت محل العديد من الأبحاث والدراسات من قبل منظمة الصحة العالمية، الأمر الذي جعلها ترسل بعثات لاختبار مدى فعالية هذه الممارسة وضرورتها للعلاج، إن هذا الاهتمام سهل من عملية انتشارها من قبل أطباء يعالجون بهذه الطريقة التي تعالج عددا من الأمراض كالربو، والجيوب الأنفية، كما وتعالج القولون والروماتيزم والسمنة وغيرها من الأمراض.

فضلا عن العلاج بالقوة المغناطيسية الذاتية: أو ما يعرف بالقوة الحيوية الشخصية، وهي ذات منشأ ديني وتسمى (برانا) وتعالج هذه الطريقة أمراض المعدة والأمعاء، والضعف العام، والأعصاب، وذلك من خلال وضع المعالج يده على مكان الداء أو الألم لمدة معينة فيحدث الشفاء، " ويفسر العلماء ذلك بأن المعالج يرسل بعضا من فيض قواه الحيوية إلى الجزء المعتل بتوجيهها بقوة إرادته، فيقوى الجزء المريض ويعود إلى حالته الطبيعية.

وفي الوقت الحاضر يقوم عدد كبير من الخبراء في المجال الطبي على المستوى العالمي بمحاولات نشيطة لدمج الطب الصيني التقليدي مع الممارسات الطبية العلمية الحديثة، مثال على ذلك العلاج بالوخز بالإبر الصينية والعلاج الاستبطني، كما نجد أيضا توجهها لدراسة الطب النبوي وتطبيق العديد من أساليبه العلاجية في عدد من المستشفيات العالمية كالعلاج بالحجامة، ناهيك عن العلاج ببعض الأعشاب كالعلاج بـ الداتورا DATORA، والكوكا COCA، والكينونا CINCHONA، والصبار والساجرادا وغيرها، والتي يجري تصنيعها حاليا

كمستحضرات دوائية يتم وصفها من قبل الأطباء كدواء الراءوليفيا الذي يوصف كعلاج لضغط الدم.

وفي العصور القديمة كان يعتقد الناس أن المرض يحدث بسبب مخلوقات لا يمكن رؤيتها كالأرواح الشريرة والشياطين التي تدخل جسم الإنسان حينما يكون غير محصن، ونفس الشيء يقال الآن من أن المرض يحدث بسبب مخلوقات لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة تدخل الجسم البشري ويطلق عليها فيروسات وجراثيم.

وعليه يكتسب الطب الشعبي أهميته أيضا بوصفه أحد أشكال الطب البديل (Alternative Medicine) التي يشترك معها في العديد من السمات والخصائص التي تميزه عن الطب الحديث فهو يمارس منذ زمن بعيد مثل الطب التقليدي، وينظر الطب الشعبي إلى الجسم الإنساني ككل متكامل ليشمل الأبعاد الروحية والاجتماعية والعقلية والجسمية مثل الطب الكلي، وهي وثيق الصلة بحياة وثقافات جماعات معينة من الناس مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعة والمادة الطبيعية مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعة مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعة مثل الطب الطبيعي، وعلى الرغم من أنه قد يكون لكل من هذه الأشكال الطبية سماتها وخصائصها الخاصة بها فهي تشترك مع الطب الشعبي في هذه الصفات البارزة وخصائصها الخاصة بها فهي تشترك مع الطب الشعبي في هذه الصفات البارزة التي تميزه عن الطب الحديث وتتخلص هذه السمات في (16) :

➤ تشترك هذه النظم في أن مفهوم الصحة بالنسبة للفرد هي السعادة في كل الجوانب الروحية والاجتماعية والعقلية والجسمية، بينما يتعامل الطب الحديث مع الجسم البشري كحالة، بمعنى أن تركيزه يقع على النواحي الفيزيائية من الحياة.

➤ يؤكد نظام الطب الشعبي في المحافظة على الصحة، وبالتالي أنماط حياة صحية، بمعنى أنها تؤكد على اتباع نظام تغذية مناسبة وممارسة التدريبات

الرياضية، وإقامة العلاقات الإنسانية والسلوكيات الإيجابية والبيئية
النظيفة، وعلى القيم الروحية والأخلاقية.

➤ يعمل الطب الشعبي على تجنب الجسم الإنساني تناول العقاقير الفعالة
والصعبة، ومعاونة التشخيص والتدخل الجراحي غير الضروري حيث
يعتمد على نباتات طبية تزرع في نفس البلد الذي يمارس فيه.

و هناك حقيقة معروفة عند كل الأطباء أن الإيمان والثقة غالبا ما تعالج
المرض حينما يعجز الطب الحديث عن تقديم العلاج.

يتضح أن الإهتمام بدراسة الطب الشعبي ليس مجرد قضية علمية تستحق
العناية ولكنها أيضا قضية مجتمعية تستحق التوقف عندها. ولفت النظر إليها، وقد
أثبتت الدراسات الحديثة في الطب الشعبي أن الصراع متصل ولم يتوقف على
الرغم من كل المنجزات العلمية التي يحققها الطب الحديث.

وتوجد مشتركات علاجية بين الطب الشعبي والطب الحديث، فهناك
أعشاب متشابهة لتلك الأعشاب الطبية تستخدم عقاقيرا في الطب العلمي الحديث
وهناك محاولات نشيطة لدمج الطب الصيني التقليدي مع الممارسات الطبية
العلمية الحديثة، فهناك عددا من الأدوية الشعبية التي كانت تستخدم في الماضي،
ويجري تصنيفها حاليا كمستحضرات دوائية نباتية، ويتم وصفها بمعرفة
الأطباء⁽¹⁷⁾.

أما عن أوجه الاختلاف بين نسق الطب الشعبي والطب الحديث: فيمكن أن نوجزها في
الآتي:

فعند التدقيق في الأمر نرى أن الطب الشعبي بأنواعه ينظر إلى جسم
الإنسان (human body) على أنه وحدة متفاعلة لا مجال للفصل بين أي عضو من
أعضائه، لكن الواقع المشاهد اليوم يؤكد أن الطب الحديث يفصل بين أعضاء
الجسم من خلال كثرة تخصصاته إذ أصبح لكل عضو من أعضاء جسم الإنسان
طبيبا خاصا يعالج فقط العضو المتضرر، وهذا بسبب التطور في مجال الطب

الإنساني، فلم يعد هدف معظم الأطباء الاهتمام بالمرضى (patient) قدر اهتمامهم بالمرض (disease) ⁽¹⁸⁾.

كما يتضمن الطب الشعبي أنواعا من العلاج وهذا تبعا للتصنيفات التي صنف إليها حيث صنف إلى:

أ. الطب السحري أو الغامض:

ويرتبط هذا المفهوم بمرحلة تمر بها المجتمعات والثقافات يطلق عليها "مرحلة ما قبل العلمية"، ويسود فيها نوع من الطب الشعبي الاجتماعي، وتعتمد طرقه وأساليبه العلاجية على ممارسات السحر والشعوذة والغيبيات، مما أدى إلى ظهور مسميات محلية مثل الشامات، أو الطيب الساحر والمعالجين الروحانيين، وغيرهم ⁽¹⁹⁾.

ب. العلاج بواسطة طقوس الزار:

يشير اصطلاح أو مفهوم الزار من خلال الشعائر والطقوس التي ارتبطت بممارسته، إلى أن هناك بعض الأرواح الشريرة تلتصق أو تتواجد مع بعض الأفراد، وتأخذ تلك الكائنات الغيبية بمسميات متعددة مثل إبليس، والجن والشيطان، والعفريت وهم خوارق غيبية تسبب الأمراض واعتلال صحة للأفراد تحت ظروف صحية ونفسية معينة يمرون بها في حياتهم، مما تتطلب حالتهم المرضية ضرورة علاجهم عن طريق إقامة حفلات الزار، ويمارس الزار "شيوخ الزار" وهم رجال أو نساء على السواء، حيث كان يطلق على الشخص المسلم القائم بطرد الأرواح الشريرة "اسم شيخ الزار".

بينما يطلق على رجل الدين المسيحي "كاهن الزار"، لهم مقدرة على الاتصال بالغيبيات، وهم يتمتعون بثقة الناس في وظائفهم التي يقومون بها، من أجل تخليص المرضى من تلك الأمراض المستعصية. يقدم فيها الأضحيات والقربان لتلك الأرواح الشريرة، ولهذا كان النوبيون يقبلون على إقامة تلك الحفلات كأسلوب علاج لتخليص المرضى من الحالة النفسية المعتلة التي ألت

بهم، ويخبر الشيخ أو الكاهن الأفراد الحاضرين بمدى استجابة الجن لطلباته من أهل أسرته كشروط التخلي عنه، وهذه الطلبات من الجن التي ينقلها بواسطة شيخ الزار كأن يرتدي المريض مثلاً ملابس معينة ذات ألوان خاصة أثناء حفلة الزار الراقصة⁽²⁰⁾.

ج. العلاج بواسطة زيارة الأولياء الصالحين:

الأولياء في المعتقد الشعبي هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتفوق عادة ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاء، والأولياء في المعتقدات الشعبية لديهم كرامات، ويستطيعون ممارسات ألوان وأصناف عديدة من المعجزات من بينها: شفاء المرضى وتلبية دعوة من يلوذ به من الناس في أي أمر من الأمور⁽²¹⁾؛ ومن أشهر الأمراض التي من أجلها يذهب الناس إلى أضرحة الأولياء التماساً للشفاء، الحمى بأنواعها، العقم والأمراض الجلدية والأمراض العصبية والنفسية وأمراض العيون.. الخ⁽²²⁾؛ هذا بالإضافة إلى تلبيته لحل المشاكل الاجتماعية المختلفة.

د. الطب الشعبي الطبيعي «العلاج بالأعشاب والمواد الطبيعية الأخرى»:

ويشتمل العلاج بالأعشاب إلى كل العناصر التي تتيحها الطبيعة من نباتات وحيوانات وكلها أشياء عادية قد تستخدم كما هي، أو تعالج على نحو معين قد يكون شديد التعقيد أحياناً، وليس من الضروري أن يستخدم العنصر النباتي أو الحيواني كله بل أن الأمر يقتصر كما هو الحال عند استخدام عنصر من حيوان ما، أو نوع من إفرازاته، إلا أن هذه العناصر النباتية أو الحيوانية لا تستخدم في الغالب كما هي بحالتها الطبيعية، وإنما يتطلب الأمر تقيدها بعدد من الظروف والقواعد أو الإجراءات الفنية مثلاً القيد الزمني الذي يعمل على زيادة فاعلية الدواء وضمان تأثيره، كأن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها كذلك ألوان معينة، أو الكمية اللازمة المحددة... وغيرها من الشروط⁽²³⁾.

هـ. العلاج بواسطة عمليات الجراحة التقليدية:

في حقيقة الأمر أن هذا النوع من العلاج متعدد الأنواع والنماذج وهذه النماذج من هذا العلاج بالذات تختلف باختلاف الثقافات، فالعمليات التي تعرف في المجتمعات العربية تختلف عنها في المجتمعات الهندية والصينية والأوروبية، فمثلا المجتمعات الأوروبية خاصة تعرف العمليات الجراحية الروحية التي لن نسمع عنها في مجتمعاتنا نحن.

كما أن هذا لا يعني أن هناك نماذج مشتركة من الممارسات العلاجية بهذا النوع بين مختلف المجتمعات النامية، نذكر منها: مثلا العلاج بالإبر الصينية الذي شاع استخدامها في مختلف أنحاء العالم، والعلاج بالكي والحزم، والرزم، وتجير الكسور والحجامة بأنواعها، ... إلخ.

وقد أثبتت هذه العمليات جدارتها وجدواها في معالجة العديد من الأمراض مثل الصداع النصفي والربو الشعبي، وعرق النساء، وآلام المفاصل والظهر، ونتيجة لازدياد المترددين عليها أخذ الأطباء العرب يتدربون عليها من قبل المتخصصين في الصين أو مناطق أخرى من العالم⁽²⁴⁾.

كما أن القائم بالعملية العلاجية في الطب الحديث معالج يطلق عليه اسم الطبيب وله شهادة معترف بها لمزاولة مهنته هذه مستخدما في ذلك أدوات ووسائل متطورة وأشعة وغيرها للفحص والعلاج، أما في الطب الشعبي فالأمر مختلف حيث نجد الشخص القائم بهذه العملية يطلق عليه عدة تسميات بحسب المنطقة التي وجد فيها فقد يطلق عليه الطبيب الشعبي كما يطلق عليه المعالج الشعبي، أو الطالب، الشامان وغيرها من التسميات النابعة من عمق البيئة السوسيوثقافية التي وجد فيها المعالج الشعبي، هذا الأخير الذي يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة في البيئة المحلية والتي بإمكان المريض تحضيرها بنفسه كما أنه يعتمد بشكل كبير على الخبرة ووراثة الممارسات العلاجية ممن سبقوه من المعالجين⁽²⁵⁾.

كما يذهب العديد من الناس وخاصة في المجتمعات التي تستخدم الطب الشعبي بكثرة إلى عدم وجود أضرار جانبية من ممارسة الطب الشعبي مقارنة بالطب الحديث الذي قد يسبب إصابة مواطن أخرى من جسم الإنسان في الوقت الذي يتم فيه معالجة عضو ما،

وانطلاقاً من نقاط التشابه والاختلاف بين الطب الشعبي و الطب الحديث سنحلل طبيعة العلاقة بين النسقين الطبي الحديث والشعبي بالاعتماد على ما توصلت له بعض الدراسات الميدانية من خلال الآتي:

أ: اعتماد الطب الحديث على الطب الشعبي في بداية ظهوره وتكوينه:

ونقصد بذلك هل فعلاً اعتمد الطب الحديث على الطب الشعبي؟ وإذا كان كذلك فهل كان ذلك بشكل كلي أو جزئي أو بنسب ضئيلة؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقودنا إلى العودة إلى تاريخ الحضارات القديمة التي اعتمدت على الطبيعة بكل موجوداتها لتحقيق الصحة والقضاء على المرض كاستخدامها للأعشاب والنباتات الطبيعية وأعضاء بعض الحيوانات والحيات وغيرها، والطب الحديث يؤكد أن أغلب العقاقير الطبية ما هي إلا مستخلصات زيوت الأعشاب كما أن سُم الأفاعي والحيات يدخل في تركيبة بعض الأدوية، فضلاً عن وجود بعض الحشرات التي تستخدم في بعض العمليات الجراحية كدودة العلق، وفي دراسة عراقية⁽²⁶⁾ توصلت إلى أن 86,7% من أفراد العينة وهم من الأطباء يؤكدون اعتماد الطب الحديث على الطب الشعبي في بداية نشأته وهي نسبة ليست بالقليلة وأن هذا الاعتماد يكمن في استخدام طرقه العلاجية التي تم تطويرها فيما بعد حتى تواكب العصر بالإضافة إلى استخدام الأعشاب والنباتات الطبية التي استخدمت قديماً والتي عمل الطب الحديث على دراسة وتحليل مكوناتها مخبرياً وجعلها كعقاقير طبية بالشكل الذي هي عليه الآن، غير أن إجابة العينة بهذه النسبة لا تعني إطلاقاً أن الاعتماد كان بشكل كلي بل يؤكد أفراد العينة أن الاعتماد قد تم جزئياً فقط بنسبة 53,8% من إجابات العينة وهذا يدل على أن الطب الحديث قد أخذ من الطب الشعبي ما يفيد الصحة فقط.

ب: ما الدور الذي يمكن أن يؤديه الطب الشعبي إلى جانب وجود الطب الحديث في الوقت الحالي وما المستقبل المتوقع منه؟

اعتقد البعض من المهتمين بمجالات الطب والثقافة الصحية، وغيرهم من الشرائح الإجتماعية أن الطب الشعبي (Folk Médecine) سيواجه الانقراض أو الانحسار وذلك بسبب التقدم المذهل في التقانات الطبية الحديثة، والتطور الهائل الذي حدث في الطب العلمي، غير أن الواقع أثبت أن هذه الفكرة باتت خاطئة، فازداد الاهتمام بدائل الطب الحديث وازداد الانتشار الكبير لثقافة الطب البديل الذي بدأ يستحوذ على الاهتمام العام، والاهتمام الطبي، ففي التسعينات من القرن العشرين أصبح اعتراف عام بأن الطب البديل (Alternative Médecine) أضحى منافسا شديدا للطب الرسمي وازداد انتشار الطب الشعبي ولم ينقرض بتطوير الطب الحديث⁽²⁷⁾.

وإن ظهور الطب البديل وإزدياده المطرد على الرغم من المعاندين له والمستغلين، فإن له دلالة واضحة على أنه يندرج ضمن دورات العلم التي يحتاجها العالم والمجتمع الانساني مع مرور الزمن، فهذه دورة طبيعية للتطور الإنساني على مر العصر، ولا مبرر لمهاجمته من قبل البعض اتهامه جزافا بتهم هو برئ منها، بل ينبغي التعامل معه من منطلق مصلحة المريض الذي لا ينام الليل ولا يهنا بالنهار، ويتداوى من طيب إلى طيب، ومن مستشفى إلى أخرى رغبة العافية دون جدوى، فلا نحرمة طرقا أخرى من العلاج قد يكون له فيها الشفاء والراحة والسعادة، فيعود فردا منتجا ناجحا في مجتمعه⁽²⁸⁾.

على الرغم من التقدم الحضاري والثقافي الذي تعيشه هذه الأيام فإننا لا نزال نواجه في المجال الصحي مشاكل لا حصر لها، فكأنما هذا التقدم الحضاري المتمثل في العديد من المستشفيات الحديثة المجهزة بأحدث الوسائل يقابله تخلف معرفي من ناحية الوقاية السلبية لكثير من الأدوية على صحة الانسان.

وهكذا بدأ الناس في البحث عن أساليب علاجية طبيعية جديدة ليست لها هذه الآثار الجانبية الخطيرة، فلم يعد هناك بد من الرجوع إلى الطب البديل الأسلم لكثير من العلاجات الكيماوية، وهروبا من مافيا شركات الأدوية التي لا يهمها سوى الربح المادي.

يحمل التطبيب الشعبي عناصر إيجابية تفيد في استخلاص المنطلقات، المعاصرة من الطب الحديث، وخاصة بايجاده اللغة الطبية الاجتماعية المشتركة بين الطبيب والمريض.

خاتمة:

انطلاقاً مما تقدم يمكن القول أن الطب الشعبي والطب الحديث يمثلان في الوقت الحاضر طرفين مهمين في أرض الواقع في المجال الصحي والعلاجي فلكل منهما أهميته الاجتماعية وأسلوبه العلاجي وطرائقه التي يركز عليها ويتبعها في علاج الأمراض والإصابات.

وعليه نجد أن هناك علاقة قوية ومتداخلة بين الطب الشعبي والطب الحديث فيؤكد المعنيون بشؤون الطب الحديث أن معظم الأعشاب والنباتات تدخل طواعية في تركيب الأدوية الحديثة في الوقت الحاضر كما تكشف ابتكارات الصيدلة العرب أن أغلب الأدوية الكيماوية والحبوب العلاجية تحتوي على خلاصة المواد الفعالة من النباتات فضلاً عن اعتراف علماء الطب الحديث بفاعلية الطب التقليدي وتوجيه أو تحويل بعض الحالات المرضية المستعصية في المستشفيات الحديثة إلى المعالجين التقليديين الذين يثقون في قدراتهم ومهاراتهم العلاجية ولعل هذه الاكتشافات والاختراعات والاعترافات هي الدليل الثابت والواضح الذي يكشف عن الترابط والتداخل بين نوعي الطب في ميدان المعالجة والتطبيق.

❖ هوامش البحث:

- (1) عبد الفتاح محمد المشهداني، الطب الشعبي والطب العلمي دراسة وصفية تحليلية، مجلة دراسات موصلية، العدد 34، سبتمبر 2011، ص 3.
- (2) عبد الرزاق صالح محمود: الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث، (دراسة ميدانية في مدينة الموصل)، مجلة دراسات موصلية، العدد 18، تشرين الثاني 2007، ص 127.
- (3) المرجع السابق، ص 127.
- (4) عبد الفتاح محمد المشهداني: مرجع سبق ذكره، ص ص 4-5.
- (5) لطرش أمينة: الأعشاب الطيبة ممارسات وتصورات مقارنة انثروبولوجية بقسنطينة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، لسنة 2011/2012، ص 30.
- (6) عبد الفتاح محمد المشهداني: مرجع سبق ذكره، ص 5.
- (7) نخبة من أعضاء هيئة التدريس: إشراف محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص 277.
- (8) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص 5.
- (9) عبد المجيد بوناب: تجارة الدواء في الجزائر بين جهل المستهلكين وضمير المعنين، مجلة العلم والإيمان، العدد الخامس، مؤسسة المعالي للنشر والإعلام، الجزائر، 2007، ص ص 24-25.
- (10) عبد الرزاق صالح محمود : مرجع سبق ذكره، ص 128.
- (11) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص 7.
- (12) المرجع السابق، ص 7.
- (13) المرجع السابق، ص ص 7-8.

- (14) عبد الرزاق صالح محمود : مرجع سبق ذكره، ص 128.
- (15) ميلود سفاري، سعيدة شين: العلاقة بين الطب الشعبي والطب الرسمي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة بسكرة، العدد 5 ، مارس، 2013، ص ص 195، 220.
- (16) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص ص 9-10.
- (17) المرجع السابق، ص 10.
- (18) المرجع السابق، ص 11.
- (19) نخبة من أعضاء هيئة التدريس: مرجع سبق ذكره، ص ص 219-222.
- (20) محمد الجوهرى: علم الفلكلور دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص ص 43-47.
- (21) المرجع السابق، ص ص 81-82.
- (22) محمد الجوهرى، مرجع سبق ذكره، ص ص 479-480.
- (23) المرجع السابق، ص 91.
- (24) جوزية بن قيم: الطب النبوي، ط5، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 9.
- (25) ميلود سفاري، سعيدة شين: مرجع سبق ذكره، ص ص 195، 220.
- (26) المرجع السابق، ص ص 195، 220.
- (27) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص 11.
- (28) المرجع السابق: ص ص 11-12.

الدراسات النفسية والتربوية

اثر برنامج تدريبي قائم على السلوك التوكيدي في رفع مستوى التوكيدية لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة-دراسة ميدانية بمتوسطة أبو بكر مصطفى ابن رحمون -بسكرة-
الأستاذ الدكتور: محمد بلوم، جامعة بسكرة، الجزائر
الباحثة: فايضة حلاسة، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

إن التدريب التوكيدي للأفراد الذين يعجزون عن التعبير عن مشاعرهم السلبية في المواقف التي تستوجب ذلك وخاصة المراهق، يعتبر أمراً مهماً جداً للأفراد اللذين يعانون من تدني توكيد الذات، الذي ينتج عادةً بعض الآثار السلبية كأن يزداد إحساسهم بالوحدة والشعور بالقلق، وهم غالباً ما يتخذون إجراءات متطرفة ليتجنبوا قلقهم على شكل سلوك سلمي غير مؤكد للذات، ومن شأن القدر المنخفض من توكيد الذات أن يزيد من احتمال التورط في أداء أنواع من السلوك المنحرف عن المعايير نتيجة الخضوع لمحاولات الآخرين لفرض وجهات نظرهم عليه وعجزه عن قول كلمة لا، ولذلك فنحن في حاجة للتعرف على كل ما يتصل بالمراهق وبطبيعة المرحلة التي يمر بها وبالحقائق الأساسية الخاصة بنموه وما يطرأ عليه من تغيرات نتيجة هذا النمو والتي من شأنها أن تؤثر على سلوكه بشكل عام.

Abstract:

The affirmative training for individuals who are unable to express negative feelings in situations that require it, especially the teenager, both are considered to be very important for individuals who suffer from low self-assurance, which usually results in some negative effects if increasing their sense of unity and a sense of Anxiety. They often take extreme measures to avoid concern in the form of uncertain with negative behavior, The low level of self-affirmation that increases the likelihood of getting involved in the performance of types of deviant behavior as a result of the criteria Undergo attempts of others to impose their views upon his inability to say the word no, so we need to know everything about the nature of the teenager and the stage through which the basic facts own mental development and its changes as a result of this growth, which That will affect the behavior in general.

مقدمة:

تعتبر المهارات الاجتماعية مكون متعدد الأبعاد يتضمن مهارة إرسال واستقبال و تنظيم و ضبط المعلومات الشخصية في مواقف التواصل، سواء أكان هذا التواصل لفظيا أو غير لفظيا، والتي يتدرب عليها الفرد إلى درجة الإتقان والتمكن، وذلك من خلال مواقف التفاعل الاجتماعي اليومي، وأن الافتقار إلى مثل هذه المهارات يجعل الفرد ضعيف الشخصية، غير قادر على الدخول في إقامة علاقات مشبعة مع الطرف الآخر، في محيط مجالته النفسي والاجتماعي، ثم تبدأ مشاكل الشعور بالعزلة، والابتعاد عن الآخرين، بالظهور إلى حيز الحياة الشخصية، لذا لا بد من تعليم الأفراد لهذه المهارات الاجتماعية منذ الصغر، ولكي يتعلم ذلك لا بد من توفر شرطين أساسيين، هما الثقة بالنفس وعدم الاعتزال عن الآخرين.

كما تشير المهارة التوكيدية إلى ثقة الفرد بنفسه، والقدرة على تعبير عن مشاعره الإيجابية (تقدير - ثناء) والسلبية (غضب - احتجاج) بصورة ملائمة ومقاومة الضغوط التي يمارسها الآخرون لإجباره على إتيان ما لا يرغبه أو الكف عن فعل ما يرغبه والمبادرة ببدء والاستمرار في أو إنهاء التفاعلات الاجتماعية والدفاع عن حقوقه ضد من يحاول انتهاكها شريطة عدم انتهاك حقوق الآخرين (1).

ونظرا لخصائص المرحلة العمرية التي يمر بها المراهق من ضغوط جماعة الرفاق، والصراع مع السلطة الوالدية، والبحث عن معالم شخصيته بطرق سلمية دون ان يقع في مواجهة مع الأطراف السالفة الذكر، وفي هذه الحالة فان المراهق بحاجة إلى أن يتحلى بقدر لا بأس به من التوكيدية، التي تعبر عن قدرة الفرد عن تعبير عن ذاته وما يحمله من آراء، دون انتهاك للقيم والمعايير الاجتماعية السائدة.

ولذلك ونظرا لأهمية متغير التوكيد فان التدريب التوكيدي يمر بثلاث مراحل هامة ورئيسية، أولا مرحلة الفهم ويتم فيها زيادة وعي الفرد بطبيعة الضغط الواقع عليه، من خلال جمع المعلومات حول المخطط المعرفي للمشكلة،

بالإضافة إلى التركيز على العبارات الذاتية السلبية حول الموقف الضاغط، والمشاعر التي تتولد من جرائها، ومراقبة السلوكيات الناتجة عن ذلك، ثم تأتي بعدها المرحلة الثانية وهي مرحلة اكتساب المهارات ويتم فيها تعليم الفرد مهارات معرفية، وسلوكية متنوعة، والتي تتضمن التدريب على الاسترخاء، وإعادة البناء المعرفي، حسب المرجعية المعرفية التي بني البرنامج وفقها من جهة أخرى إلى أفكار تكيفيه والتدريب على حل المشكلات الذي يتضمن التدريب العقلي حول كيفية التعامل مع الموقف، ثم تليهما المرحلة الأخيرة المخصصة للتعزيز الإيجابي للذات وإلى غير ذلك من التقنيات التي تختار حسب متطلبات الموقف من جهة و حسب المرجعية المعرفية التي بني البرنامج وفقها من جهة أخرى.

ونحن في هذه الدراسة سوف نتبنى نظرية روتتر Rotter في التعلم الاجتماعي، وهي ومن النظريات التي تفسر التعلم من وجهة النظر الاجتماعية، والتي تسمى أحيانا بنظرية التعلم بالملاحظة و نظرية التعلم الاجتماعي، ونظرية نظرية التعلم بالتقليد. والتي تقوم على افتراض أن تعزيزا متوقعا لسلوك معين أو حدث سوف يلي ذلك السلوك في المستقبل. من ناحية أخرى، إذا لم يحدث التعزيز وكان من المتوقع أن يحدث ذلك، فإن غياب التعزيز سيبدأ في إنقاص السلوك المتوقع أن يكافأ⁽²⁾.

والدراسة الحالية موجهة للبحث في اثر البرنامج التدريبي القائم على التوكيدية في رفع مستوى السلوك التوكيدي لدى الذكور والإناث كل على حده.

2. تساؤلات الدراسة:

✓ هل توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتبقي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الإناث بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة؟

✓ هل توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الذكور بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة؟

3. فرضيات الدراسة:

-لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الإناث بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة.

-لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الذكور بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة.

4. الإطار النظري:

ويتكون البرنامج التدريبي للدراسة الحالية من ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : الإطار النظري للبرنامج :

ويتضمن تقديم معلومات من الناحية النظرية عن توكيد الذات والمرحلة العمرية التي سوف يطبق عليها البرنامج وهي مرحلة المراهقة .

1.4 برنامج التدريب على السلوك التوكيدي :

أ.لمحة تاريخية عن توكيد الذات:

إن لتأكيد الذات تاريخ طويل في مجال العلاج السلوكي، يعود تاريخها إلى العالم سالتر (Salter1949) وولب (Wolpe1958) الذي اعترف بأن بعض الأفراد في المجتمع لديه مشاكل معينة في الدفاع عن حقوقهم. ونتيجة لذلك تم إدخال مهارة تأكيد الذات خلال العلاجات، في محاولة لمساعدة هؤلاء الأفراد العمل بصورة أكثر فعالية في تحقيق النجاح في الحياة اليومية⁽³⁾.

فمنذو أن صاغ بافلوف (pavlov) نظريته المشهورة عن الاشتراط الكلاسيكي قام العديد من الباحثين بتوظيف مبادئ هذه النظرية في الخدمة

النفسية، ومن هؤلائي الباحثين سألتر الذي ميز بين نوعين من السلوك الاستثاري مقابل السلوك الانكفافي، وقد أوضح سألتر أن الطفل يولد بشخصية استثنائية تستجيب لمثيرات البيئة، فهو يتصرف من غير قيود مما يؤدي إلى تطور النمط الاستثاري في شخصيته إذا لم نعمل على كف هذا السلوك، ويتم كف هذه السلوكات وغيرها من السلوكات السلبية بالمعاملة الايجابية والتي يترى عليها الأبناء منذ الصغر.

جاء بعد ذلك لازاروس (Lazarus) وهو من بين الباحثين الذين اصلو مفهوم التوكيدية (1966)، حيث بين أن السلوك التوكيدي يتكون من أربعة استجابات: قدرة الفرد على قول لا، والقدرة على فعل المتطلبات، والقدرة على التعبير على المشاعر الموجبة والسالبة، والقدرة على بدء واستمرار وإنهاء المحادثات، ثم جاء بعده ولب بمصطلح التوكيدية الذي يقصد به حصول الفرد على حقوقه كاملة حرية التعبير الانفعالي دون خوف ودون المساس بحقوق الآخرين ثم عدل هذه النظرة للتوكيدية لتنسجم مع متطلبات الشخصية السوية.

فعرها مرة أخرى بأنها قدرة الفرد على انفعالاته كما تحدث في المواقف المختلفة ومع أشخاص عاديين ويظهر هذا التعبير في صورة سلوكية مقبولة اجتماعيا ومن خلال ما قدم ظهرت الأسس العلمية للسلوك التوكيدي على يد سألتر بالسلوك الاستثاري والسلوك الانكفافي من خلال تطبيق مبادئ الاشتراط الكلاسيكي للباحث بافلوف، ليأتي بعده ولب ليكون بذلك أول مؤسس للتوكيدية وذلك لكون السلوك الاستثاري يتضمن نوعا من العدوانية وهكذا أصبح مفهوم تأكيد الذات أكثر تحديدا⁽⁴⁾.

كما وسع جلازي (Galassi) في تعريف التوكيد ليشمل تسعة فئات: تقديم وتلقي المجاملات والتهاني، طلب خدمة، البدء والاستمرار في المحادثة، والدفاع عن الحقوق ورفض المطالب غير المعقولة، والتعبير عن الآراء الخاصة والتعبير عن المشاعر السلبية كالعنف وعدم الارتياح والمشاعر الايجابية بطريقة لا تنطوي على التهديد أو عقاب لآخر ودونما توتر أو خوف⁽⁵⁾.

أما إبراهيم عبد الستار فيعرفه بأنه حرية التعبير الانفعالي وحرية الفعل على سواء سواء كان ذلك في الاتجاه الايجابي (أي في اتجاه التعبير عن الأفعال والتعبيرات الانفعالية الدالة على الاستحسان والتقبل وحب الاستطلاع والاهتمام والحب والود والمشاركة والصدقة والإعجاب)، والاتجاه السلبي (أي في اتجاه التعبير عن الأفعال والتعبيرات الدالة عن الرفض وعدم التقبل والغضب الحزن والشك والخوف والأسى) (6).

ب. محددات السلوك التوكيدي:

تنقسم محددات السلوك التوكيدي إلى ثلاث فئات تتضمن ما يأتي:

أولاً: خصال الفرد: تعتبر خصال الفرد احد مكونات السياق التفاعلي الذي يحدث من خلاله السلوك التوكيدي، والذي يحتوي بدوره عددا من المتغيرات وهي:

1- متغيرا ديموغرافية: فالخصال العامة للفرد كجنسه وعمره وسلطته ومستوى تعليمه وحالته الاجتماعية والاقتصادية تسهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تحديد درجة سلوكه التوكيدي.

2- متغيرات نفسية: تتعدد المتغيرات النفسية التي لها ارتباط وتأثير في السلوك التوكيدي ومن هذه المتغيرات القلق العام الذي يأخذ أهمية تاريخية كبيرة في حدوث التوكيد، والذي يتضح من خلال أعمال "ولبي" ونموذجه في الكف المتبادل، الذي يقوم جزئياً على جهود بافلوف وستالز ويفترض وجود علاقة تبادلية بين القلق والتوكيد، حيث إن القلق المرتفع يؤدي كف السلوك التوكيدي، وبالمثل فإن القلق المنخفض يزيد من درجة التوكيد، ويحدث ذلك من خلال مبدأ الكف التبادلي، والذي يشير إلى انه إذا أمكن حدوث الاستجابة التي تكف القلق (التوكيد) في وجود المنبهات التي تستثيره، فإن الرابطة بينهما ستضعف.

3- متغيرات معرفية: لقد أسهمت الجوانب المعرفية في تفسير السلوك الاجتماعي بدرجة كبيرة، وبالتالي في تطوير علم النفس، وجعله أكثر اقتراباً من فهم السلوك بصورة واقعية، حيث تركز الجوانب المعرفية على كيفية توظيف منحنى معالجة

المعلومات في تفسير السلوك والتعرف على الطريقة التي تتشكل بها المشاعر والانفعالات من خلال المعنى الذي يضيفه الفرد عليها، وكيف أن الأحداث يتم إدراكها وتفسيرها في ضوء تصورات الفرد، والمعرفة الاجتماعية حولها، كما تتعدد المتغيرات المعرفية التي تساعد في فهم السلوك التوكيدي⁽⁷⁾.

4-توقع العواقب: وتشير إلى القدرة على الاستبصار بما سيحدث كنتيجة مباشرة لتنفيذ فعل معين،فالفرد يقوم بعمل موازنة لعواقب سلوكه المؤكد و من ثم يقرر ماذا سيفعل، و مما يعبر عن تلك الموازنة ما أشارت إليه إحدى الطالبة الجامعيات في دراسة عن توكيد الذات "من أنها تؤكد ذاتها لإدراكها إن الضرر الناتج عن التعبير عن رأيها سيكون أقل من الضرر الناتج عن كبت مشاعرها و عدم التعبير عنها".

ثانيا خصال الطرف الآخر:وقد تلعب المتغيرات المتعلقة بالطرف الآخر دورا في تشكيل السلوك التوكيدي للفرد ومن هذه المتغيرات:

1-نوع الطرف الآخر:إن إدراك الفرد وتقويمه للسلوك التوكيدي لنوع الطرف الآخر(ذكر أو أنثى) الذي يصدر هذا السلوك من شأنه أن يوجه استجابة الفرد اللاحقة،كما أن نوع الطرف الآخر يؤثر في طبيعة استجابة الفرد في المواقف التي يتفاعل معها وفيها.

2-سلطة الطرف الآخر:حيث تمارس سلطة الطرف الآخر دورا هاما في تحديد السلوك التوكيدي للفرد خصوصا حين يكون الفرد الآخر ممن يتعامل معهم بصورة مباشرة ومتكررة.

3-الألفة بالطرف الآخر:طبيعة التفاعل بين الفرد والطرف الآخر أيضا التاريخ السابق للتفاعل له دور هام في تحديد السلوك التوكيدي مع الطرف الآخر حيث أن الألفة بالأخرى ومدى عمق، وأيضا من حيث وجهة العلاقة هل هي ايجابية حميمية أو سلبية فيها جفاء،أو من حيث التفاعل هل هو مكثف أو منخفض، كل ذلك من شأنه أن يسهم في تحديد السلوك التوكيدي.

ثالثاً- الخصائص الثقافية للتفاعل: تتفاعل مكونات الثقافة وتتعدد وتمارس تأثيراً إجمالياً على السلوك التوكيدي مثل الاختلاف في النوع والعرق والدين، فتمارس الثقافة دورها في تشكيل مستوى السلوك التوكيدي من خلال أطراف متعددة كالأسرة والمدرسة والجماعة المرجعية والنظام السياسي والمؤسسة الدينية حيث تقوم هذه المؤسسات مهمتها في التنشئة التوكيدية (8)

1- وفرة النماذج التوكيدية في الثقافة:

إننا نتعلم التوكيد من المحيطين بنا كما تتعلم الطيور بناء أعشاشها. ففي الغرب نجد أن ثقافتهم مليئة بنماذج مؤكدة، على شاشات التلفزيون و في ساحات المحاكم وقاعات الدراسة، فانه يسهل على الفرد ملاحظة ذلك و من ثم تقليد ذلك السلوك. و حري بنا الإشارة أننا كأمة إسلامية يذخر تاريخها وواقعها أيضاً بنماذج توكيدية عديدة من الشأن الاقتداء بها، وأول تلك النماذج رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم، الذي لنا فيه أسوة حسنة، حيث جاهر أمة كاملة باختلافه معها، و سيدنا عمر بن الخطاب صاحب القول الشهير يعجبني الرجل الذي يستطيع أن يقول لا بملء فيه، و الأحنف بن قيس الذي كان جالسا عند معاوية و عنده جمع من الناس، فدخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً، فكان الأحنف آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه، فاطرق الناس، و تكلم الأحنف، فقال (يا أمير المؤمنين إن هذا القائل ما قال آنفاً، لو علم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتقي الله، و دع علياً، فقد لقي الله).⁽⁹⁾

4-2- المراهقة:

المراهقة تعني التدرج نحو النضج الجنسي و الجسمي و العقلي و الاجتماعي و السلوكي، و أن المراهقة تمثل فترة نمو تمثل بدايتها البلوغ حيث يتحقق النضج الجنسي للفرد، و تتمثل نهايتها بالرشد حيث يتحقق النضج الانفعالي و الانفعالي. و قد اختلف الباحثون حول طبيعة مرحلة المراهقة بالرغم من أن غالبية علماء النفس من أمثال ستانلي هول (Hall Stanley) و اليزابيث

هيرلوك (Elisabeth Herlok) و كيرت ليفين (K.Lewin) قد اتفقوا على أن هذه المرحلة هي مرحلة مليئة بالمشكلات، و إن ظهور تلك المشكلات رهينة بتنقيط الشعور بالذاتية (Identity of Self) الذي يتم في سن البلوغ. فالمرهق في هذه المرحلة يسعى جاهدا للتخلص من اعتماده المالي على أبويه أو الآخرين من كبار. كما و يسعى إلى الاستقلالية بالرغم من حاجته الملحة إلى المساعدة. و يسعى أيضا إلى تحمل مسؤولياته لكنه رغم ذلك محتاج لأن يظل طفلا ينعم بالأمن و الطمأنينة (10).

-المرهق والسلوك التوكيدي:

إن مرحلة المرهقة مرحلة عمرية جديدة بالعناية، إذ هي مرحلة اكتشاف الذات ونمو الوعي بها، والذي يعتبر من أهم خصائص هذه المرحلة من وجهة النظر النفسية، حيث يصبح المرهق في هذه المرحلة شديد الاهتمام بنفسه وبالناس من حوله وبآرائهم نحوه، فيبدأ برؤية العالم كله وخاصة ذاته بعينين جديدتين.

ومن المتعارف عليه أن لكل إنسان دوافع وحاجات أساسية تلح عليه من أجل التعبير عنها وإشباعها ولاكن القيود الاجتماعية في كثير من الأحيان تحول دون ذلك، وتكون هذه المشاكل أكثر عند المرهق، فنجد ان له حاجات يسعى لإشباعها كالحاجة إلى تكوين أصدقاء ولاكنه لايعلم كيف يكونهم وكذلك الحاجة إلى تأكيد الذات والاستقلال ومسايرة سلوك الرفاق والتنافس معهم، وحتى يتمكن من إشباع هذه الحاجات لابد أن يتمتع بمهارات اجتماعية عالية ومستوى توكيدي عالي، وان يتبنى فلسفة توكيدية توجه سلوكه اليومي مفادها: "كن مؤكدا تكن حيا". فنحن نعيش لنؤكد ذواتنا ونؤكد ذواتنا لنعيش حياة نستحقها كبشر لنا كرامة أثبتها الله لنا وحبانا إياها (11).

القسم الثاني : المقاربة التي يستند عليها البرنامج التدريبي :

ويتضمن هذا الجزء النظرية التي سيعتمد عليها الباحثان في اختيار الأساليب التي ستببع في تدريب أفراد العينة، وهي نظرية التعلم الاجتماعي

لجوليان ب روتتر G.B.Rotter والذي يعد صاحب الفضل الأول في إبراز هذا المفهوم في نظريته (التعلم الاجتماعي)، إذ قام بتقديم هذا المفهوم في نسق نظري متكامل مستندة إلى ثلاث مدارس بارزة من مدارس علم النفس، هي السلوكية (التي تركز على التعزيز) والمعرفية (التي تركز على التوقع)، والتحليلية الادلرية (التي تركز على الدوافع الاجتماعية).

كما يرى روتتر Rotter في نظريته أن التنبؤ بالسلوك يتطلب معرفة ثلاثة متغيرات هي: قيمة التعزيز، طبيعة الموقف النفسي الذي يوجد فيه الفرد، والتوقع، إذ تعرف هذه النظرية قيمة التعزيز بأنها "درجة تفضيل الفرد لحدوث تعزيز واحد من بين عدة تعزيزات" عندما تتساوى احتمالات ظهور مثل هذه المعززات، ويحدد قيمته بقوة الارتباط بين السلوك والمعزز، وكذلك توقعات الفرد بحدوث هذا المعزز مرة أخرى، أما الموقف النفسي فهو متغير مهم جدا لحدوث للسلوك. ويشير روتتر وآخرون إلى أن السلوك لا يحدث من فراغ، فالفرد يتفاعل باستمرار مع مظاهر بيئته الداخلية والخارجية ويحدث هذا التفاعل لعديد من المثيرات الداخلية والخارجية وبشكل انتقائي وفي نفس الموقف بطريقة تتفق مع خبرته الخاصة و الفردية (12).

القسم الثالث :

ويتضمن مراحل تصميم البرنامج التدريبي :

قبل تطبيق البرنامج في الدراسة الأساسية قام الباحثان بتطبيق أولي لهما على عينة استطلاعية للتحقق من بعض الإجراءات التي ستستخدمها فيما بعد في الدراسة الأساسية، ومدى استيعاب المتدربين لها وكذلك مدى ملائمة هذه الإجراءات وجدواها مع عينة الدراسة الحالية بالإضافة الى مجموعة من الأهداف التي نستعرضها فيما يلي:

- ✓ تحديد الاحتياجات التدريبية للعينة.
- ✓ تحديد الأهداف التدريبية العامة والخاصة.

- ✓ مدى ملائمة الأساليب المستخدمة في الجلسات للعينة.
- ✓ إمكانية تطبيق بعض الأنشطة والتدريبات.
- ✓ كتابة محتوى البرنامج.
- ✓ بداية تكوين علاقة بحثية ملؤها الثقة المتبادلة بين الباحثة والطلبة.
- ✓ تحديد إمكانية إجراء البرنامج التدريبي (المدى الساعي).

5- الإطار المنهجي:

5-1- منهج الدراسة:

لقد تم اختيار المنهج التجريبي في هذه الدراسة لكونه منهج البحث الوحيد الذي يمكن أن يستخدم لاختبار الفرضيات الخاصة بالعلاقات من نوع سبب ونتيجة، وفي الدراسات التجريبية يتحكم الباحث عادة في واحد أو أكثر من المتغيرات المستقلة، ويعمل على ضبط تأثير المتغيرات الأخرى ذات الصلة، ليرى تأثير كل ذلك على المتغير التابع. ومن الجدير ذكره أن إمكانية التحكم في المتغير المستقل هي الصفة الرئيسية التي تميز المنهج التجريبي عن غيره من مناهج البحث الأخرى⁽¹³⁾.

5-2- متغيرات الدراسة:

يمكن تصنيف متغيرات الدراسة الحالية في ثلاثة أنواع:

-متغير مستقل: هو المتغير الذي اختارته الباحثة وعالجته بطريقة معينة ليحدث أثره على المتغير الأخر. (ممثل في البرنامج التدريبي القائم على السلوك التوكيدي).

-متغير التابع: وهو المتغير الذي يلحقه الأثر الذي يحدثه المتغير المستقل. (درجات مقياس السلوك التوكيدي).

-المتغيرات الدخيلة: ولما كان حصر العوامل المؤثرة في أية ظاهرة من الصعوبة بمكان، فإننا نقدر وجود عدة متغيرات تؤثر على الظاهرة أثناء إجراء التجربة.

وقد تكون هذه سبب احداث التغيرات في المتغير التابع وليس المتغير التجريبي، أو قد تعمل إلى جانبه⁽¹⁴⁾ ولذلك ومن أجل الحكم على قيمة المتغير التجريبي بصورة نقية، فإننا نحتاج إلى ضبط المتغيرات الدخيلة المتمثلة في المستوى التعليمي للوالدين، الجنس، السن، مستوى التحصيل الأكاديمي، المستوى الاقتصادي، منطقة السكن .

3-5- التصميم التجريبي: هناك أنواع متعددة من التصميمات التجريبية تتفاوت في مزاياها ونواحي قصورها، ونحن في هذه الدراسة اخترنا طريقة المجموعة الواحدة، حيث يجري هذا النوع من التجارب على مجموعة واحدة من الأفراد، ولذلك فهو سهل الاستخدام في البحوث التربوية التي تجرى على التلاميذ في الفصول حيث لا يتطلب هذا التصميم إعادة تنظيمهم وتوزيعهم، ومن الناحية النظرية لا يوجد ضبط أفضل من استخدام نفس المجموعة.

5-4- عينة الدراسة:

أ- مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة الأصلي من جميع طلاب أقسام السنة الرابعة من التعليم الأساسي باكمالية أبو بكر مصطفى ابن رحمون للموسم الدراسي 2013/2014 والبالغ عددهم 207 في ولاية بسكرة- مدينة الجزائر.

ب- العينة الاستطلاعية:

تكونت عينة الدراسة الاستطلاعية من 60 تلميذا وتلميذة للسنة الرابعة متوسط في نفس الاكمالية، وقد كان لاختيار الباحثة لهذا الصف الدراسي تحديداً عدة مبررات من أهمها:

- أهمية هذه الفترة من مراحل التعليم في تحديد ملامح المستقبل العلمي والمهني باعتبارها بداية لمرحلة التخصص الأكاديمي.

- أنها فترة تكثر فيها الصراعات التي يعاني منها المراهق والتي تؤدي بدورها إلى ظهور المشكلات النفسية والعلائقية(أزمة الهوية، الصراع مع الأولياء.....)
- كما تعد الفترة التي يجد فيها المراهق بعض الصعوبات من اجل التحرر من التبعية وإيجاد آليات من اجل التحرر من القيود وإيجاد شخصيته المستقلة .

ج - عينة الدراسة الأساسية: وتعرف العينة بأنها مجموعة جزئية ممثلة لمجتمع له خصائص مشتركة ، والتي تكونت من 15 طالبا من أقسام السنة الرابعة متوسط باكمالية أبو بكر مصطفى ابن رحمون ، حيث تم اختيارهم بطريقة قصديه من أصل 207 طالباً بحيث قامت الباحثة بتطبيق مقياس السلوك التوكيدي ومن ثم اختيار مجموعة طلبة ممن تحصلوا على درجات تحت المتوسط عند الإجابة على فقراته، ليمثلوا العينة الأساسية من كلى الجنسين والذين تتوفر فيهم جملة من الخصائص حددناها فيما يلي:

- ✓ أن لا يكون من المعيدين في الصف الدراسي .
- ✓ أن تتراوح أعمارهم ما بين 16-17 سنة .
- ✓ أن يتحصلوا على درجات تحت المتوسط على مقياس السلوك التوكيدي .
- ✓ أن يكونوا خاليين من الاضطرابات و الإعاقات العضوية . وأن لا تكون له سوابق مرضية نفسية .
- ✓ أن تكون العينة متكافئة من حيث التحصيل والمستوى الاقتصادي .

د- خصائص عينة الدراسة:

سنعرض في هذا الجزء توزيع أفراد الدراسة حسب البيانات التالية المتمثلة في الجنس، الفئة العمرية، المستوى التعليمي للوالدين، مستوى التحصيل الدراسي للعينة.

جدول رقم: (01) يبين الخصائص العامة لعينة الدراسة :

التحصيل الدراسي		مستوى تعليم الوالدين						السن		الجنس		المؤشرات
ضعيف	تحت المتوسط	متوسط	فوق المتوسط	بدون مستوى	إكمالي	ثانوي	جامعي	17سنة	16سنة	إناث	ذكور	
3	3	4	5	2	3	7	3	7	8	6	9	ك
20	20	26.66	33.33	13.33	20	46.66	20	46.66	53.33	40	60	%

6- أدوات الدراسة:

أ- مقياس السلوك التوكيدي لتلاميذ المتوسطة:

قبل أن تصل الطالبة إلى مرحلة بناء مقياس السلوك التوكيدي مرت بالخطوات التالية:

- قامت الباحثة بمراجعة الآراء المختلفة حول مفهوم السلوك التوكيدي ومن ثم الخروج بالتعريف الإجرائي الذي يحدد الأبعاد الأساسية للمقياس، كما تمت مراجعة ما توافر لدى الباحثة من استبيانات أو مقاييس أعدت لقياس السلوك التوكيدي مثل (مقياس طريف شوقي فرج 2003، راثوس 1973، يزيد الشهري 2005، محمد السيد عبد الرحمان 1998.....)

- وبناء على مراجعة التراث النظري في مجال توكيد الذات، بالإضافة إلى مراجعة الأدوات السابقة الذكر، قمنا بصياغة المقياس في صورته الأولية:

ب- الصورة الأولية للمقياس : ولقد تم تحديد ثلاثة أبعاد للسلوك التوكيدي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة المبادأة الاجتماعية (البنود رقم 13-14-15-

17-21-22-23-25)، الدفاع عن الحقوق الشخصية (4-8-9-11-
1219-20)، التعبير عن المشاعر والآراء (-1-3-2-5-6-7-10-
16-18-26)

ج- تصحيح المقياس:

تم تصحيح المقياس في ضوء الاختيار من بين خمسة بدائل للاستجابة وهي:
بدائل الإجابة و وزن الفقرة: دائما(0) كثيرا (1)أحيانا (2)غالبا(3) نادرا(4)هذا
بخصوص درجات البنود السالبة،أما درجات البنود الايجابية فان الأوزان تكون
كما يلي: دائما(4) كثيرا (3)أحيانا (2)غالبا(1) نادرا(0)
وعليه يصبح ميزان المقياس:

الدرجة الكلية القصوى للمستجيب هي(130)

الدرجة المتوسطة للمستجيب هي(78)

وأدنى درجة كلية للمستجيب هي(26)

د-حساب الخصائص السيكومترية للمقياس:

وقد تأكدت الباحثة من صدق المقياس بالطرق التالية:

ه-صدق المحتوى (عن طريق المحكمين) :

بعد تصميم المقياس في صورته الأولية ، وقبل تجربته ميدانياً كان لابد من التأكد
من صلاحية الصورة الأولية له ، لذا قامت الباحثة بعرض المقياس على مجموعة
من المحكمين للتأكد من ملائمة مفردات المقياس للغرض الذي وضعت من
أجله، وقد تبين من خلال النتائج أن أغلبية بنود المقياس تحصلت على نسب في
أغلبها اكبر من 80٪ إلى غاية 100٪ وهذا يدل على أن المقياس صالح
للاستعمال على العينة الفعلية.

و-صدق التكوين الفرضي:

-صدق الاتساق الداخلي: تقوم فكرة هذا النوع من الصدق على حساب ارتباطات درجات الفقرات مع الدرجة الكلية للمقياس، وكذلك مع الأبعاد الفرعية له، إضافة للتحقق من ارتباط أبعاد المقياس فيما بينها، ومع الدرجة الكلية للمقياس⁽¹⁵⁾.

جدول رقم(02) يوضح معاملات ارتباط البنود مع الدرجة الكلية للمقياس السلوك التوكيدي:

مستوى الدلالة	معامل الارتباط	العبرة	مستوى الدلالة	معامل الارتباط	العبرة
0.05	.509*	16	0.05	.547**	1
0.05	.300*	17	0.05	.407*	2
0.05	.300*	18	0.05	.335*	3
0.05	.459*	19	0.05	.557**	4
0.05	.333**	20	0.05	.705**	5
0.05	.566**	21	0.05	.413**	6
0.05	.312**	22	0.05	.420*	7
0.05	.382**	23	0.05	.606**	8
0.05	.347**	24	0.05	.417**	9
0.05	.191	25	0.05	.484**	10
0.05	.555**	26	0.05	.335**	11
0.05	.019.	27	0.05	.574*	12

0.05	549.*	28	0.05	.313*	13
0.05	.012	29	0.05	.884**	14
0.05	.082	30	0.05	.365*	15

** دال عند مستوى

*دال عند مستوى دلالة 0.05

دلالة 0.01

التعليق على الجدول:

يتضح من الجدول رقم (02) أن قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستويي دلالة 0.05 و 0.01، وهذا يوضح أن لكل بند من بنود الاستبيان علاقة قوية بالدرجة الكلية، وهذا ما يدل على اتساق بنود المقياس، باستثناء البنود رقم (25، 27، 29، 30) والتي تم حذفها.

ز- حساب الاتساق الداخلي من خلال دراسة معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية لمقياس السلوك التوكيدي:

جدول رقم (03) يوضح مصفوفة معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية لمقياس السلوك التوكيدي:

الأبعاد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
بعد المبادأة الاجتماعية	.603**	0.05
الدفاع عن الحقوق الشخصية	.549**	0.05
التعبير عن المشاعر و الآراء	.753*	0.05

التعليق على الجدول: يتضح من نتائج الجدول رقم (03) أن جميع الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية موضع الدراسة دالة إحصائياً وهذا يشير إلى الاتساق الداخلي لأبعاد للمقياس.

ح- حساب الاتساق الداخلي من خلال دراسة معاملات الارتباط بين الأبعاد مع بعضها لمقياس السلوك التوكيدي:

جدول رقم (04) يوضح مصفوفة معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية مع بعضها لمقياس السلوك التوكيدي:

الأبعاد	الكلام	الإنصات	التواصل غير اللفظي	مستوى الدلالة
بعد المبادأة الاجتماعية	1	506.	**524.	0.05
الدفاع عن الحقوق الشخصية	506	1	**622.	0.05
التعبير عن المشاعر و الآراء	524	**622.	1	0.05

التعليق على الجدول: يتضح من الجدول رقم (04) السابق أن جميع أبعاد المقياس موضع الدراسة دالة إحصائياً من خلال ارتباطها مع بعضها البعض، وهذا يشير إلى الاتساق الداخلي للمقياس وهذا ما سيمكن الباحث من استخدامه على عينة الدراسة الأصلية.

ط- الثبات:

ويقصد به الحصول على نفس النتائج عند تكرار القياس باستخدام الأداة نفسها في الظروف نفسها (16) ولقد قامت الباحثة بحساب معامل الثبات بطريقتين هما:

ي- طريقة التجزئة النصفية: تم إيجاد معامل ارتباط بيرسون بين معدل الأسئلة الفردية ومعدل الأسئلة الزوجية لكل بعد من أبعاد المقياس، وقد تم تصحيح معاملات الارتباط باستخدام معامل ارتباط سيرمان - براون للتصحيح.

جدول رقم(05) يوضح معامل الثبات التجزئة النصفية لمقياس السلوك التوكيدي:

عدد البنود	معامل الارتباط قبل التصحيح	معامل الارتباط بعد التصحيح	مستوى الدلالة
26	0.533	0.965	0.05

التعليق على الجدول : وقد بين جدول رقم (05) أن هناك معامل ثبات كبير نسبيا لفقرات المقياس .

ك-الثبات بطريقة ألفا كرونباخ:

ويمثل معامل ألفا متوسط المعاملات الناتجة عن تجزئة الاختبار إلى بطرق مختلفة ، وبذلك فإنه يمثل معامل الارتباط بين أي جزأين من أجزاء الاختبار ،حيث بلغت قيمته 0.632.

ل- الصورة النهائية للمقياس:بعد إجراء التعديلات النهائية تقلص عدد البنود ليصل إلى 26 بندا.

7-الإطار الميداني:

7-1 عرض وتفسير نتائج الدراسة:

في حالة التعامل مع أكثر من متغير تابع واحد نستخدم معامل مانوفا **Multy Analysis of variance**،ولكن شروطه لم تتحقق لأنه يتعامل مع مستوى القياس البارامترى،لذلك لجأنا لاستخدام البديل البارامترى له وهو المعامل الرتبي فريدمان (**Friedman**)الذي يعنى باختبار دلالة الفروق بين رتب متوسطات أكثر من مجموعتين مرتبطتين،

الفرضية الأولى: (لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الإناث بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور

فترة المتابعة (

متوسط رتب القياس القبلي	متوسط رتب القياس البعدي	متوسط رتب القياس التتبعي	العينة	درجة الحرية	قيمة معامل فريدمان	قيمة الاحتمال
2,08	2,83	1,08	6	2	10,571	,005

جدول رقم (06) يبين الفروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي لمجموعة الإناث
التعليق على الجدول:

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (06) أن قيمة الاحتمال (Sig. P.Value) (0.005) وهي اقل من قيمة 0.05 أي توجد فروق بين القياسات القبلي والبعدي والتتبعي، وان هذا الفرق لا يعود للصدفة وإنما له تفسير إحصائي، وهذا ما يدفعنا لقبول الفرض البديل الذي فحواه) توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الإناث بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة). ورفض الفرض الصفري.

الفرضية الثانية: (لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الذكور بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة).

جدول رقم (07) يبين الفروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتتبعي لمجموعة الذكور حول السلوك التوكيدي.

متوسط رتب القياس القبلي	متوسط رتب القياس البعدي	متوسط رتب القياس التتبعي	العينة	درجة الحرية	قيمة معامل فريدمان	قيمة الاحتمال
2,11	2,78	1,11	9	2	15,200	1,00

التعليق على الجدول: نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (07) انه قيمة الاحتمال Sig. (P.Value) (.001) وهي أقل من 0.05 أي توجد فروق بين القياس القبلي والبعدي والتتبعي، وهذا ما يدفعنا إلى قبول الفرض القائل ب: (توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات القياس القبلي والبعدي للسلوك التوكيدي لدى مجموعة الذكور بعد الانتهاء من تطبيق البرنامج). ورفض الفرض الصفري.

-قد يكتفي بعض الباحثين بإيجاد دلالة الفروق بين المجموعات، فالدلالة الإحصائية للفروق بين مجموعتين أو أكثر ليست كافية لبيان أهمية ذلك الفرق، وإنما هناك أمور أخرى يجب أن تأخذ في عين الاعتبار مثل حجم الفرق، وما يمكن أن يترتب على معرفة ذلك الفرق من قرارات، أي أن القيمة العملية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار بالإضافة إلى الدلالة الإحصائية، لذلك يفضل أن يحسب الباحث حجم التأثير Effect Size (حجم الفرق)، عندما تكون T دالة إحصائية، لأن مقاييس حجم التأثير لا تتأثر بحجم العينات، وكما أن الدلالة الإحصائية قد تكون مضللة أحيانا⁽¹⁷⁾. ولذلك سنقوم بحساب مربع ايتا لمعرفة حجم اثر البرنامج على متغيرات الدراسة:

بحيث $T=0.80$

-يرمز η إلى معامل ايتا

$$\eta^2 = \frac{T^2}{T^2 + df}$$

$$\eta = 4.56$$

جدول رقم (08) يبين تأثير مربع ايتا:

التأثير			مربع معامل ايتا
كبير	متوسط	صغير	
0.14	0.06	0.01	

التعليق على الجدول: نلاحظ أن قيمة مربع معامل ايتا تساوي 4.56 وهي قيمة كبيرة جدا، هذا يعني انه هناك اثر كبير للبرنامج في تنمية السلوك التوكيدي للعينة التدريبية الكلية، وهذا يدل على استمرارية اثر البرنامج بعد الانتهاء من التطبيق على العينة الكلية للدراسة.

2.7 مناقشة عامة:

بما ان الدراسة الحالية كان يهدف إلى قياس مدى اثر البرنامج التدريبي المقترح في رفع مستوى التوكيدية، فيمكن تفسير نتائج البحث التي تم التوصل إليها على النحو التالي، تم رفض الفرض الأول القائل بأنه: (لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدي والتبقي حول السلوك التوكيدي لمجموعة الإناث بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة)، وقبول الفرض البديل أي انه توجد فروق بين متوسطات القياسات الثلاث، وتعتقد الباحثة أن ارتفاع مستوى التوكيدية يرجع إلى كون أن الذكر لديه فضاء واسع للتعبير عن

الأفكار والآراء والمشاعر بطريقة مباشرة، ولأنه هو في الغالب من ويبادر ويبادئ - ويستمر في وإنهاء - التفاعلات الاجتماعية، بالإضافة إلى معطيات الدور الجنسي المنوط بالذكر، والذي ينقل إليه بطريقة لاشعورية عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وقد أظهرت دراسة قامت بها سندان بام (Sandra Bem) أن الطلاب ذوي السمات الأثوية و الذكورية يميلون للمرونة وإظهار مشاعر الدفء والترقي وتأكيد الذات والاستقلال في العمل.

أما الناس الذين يتناسبون والأدوار التقليدية للشكل النمطي للذكر أو الأنثى لا تبدو عليهم نفس درجة التكيف. أما بالنسبة للفرضية الثانية التي تعنى بالبحث في: لا توجد فروق بين متوسطات القياس القبلي والبعدى والتبعية حول السلوك التوكيدي لمجموعة الذكور بعد الإنتهاء من تطبيق البرنامج ومرور فترة المتابعة، فقد تم رفضها هي أيضا وقبول الفرض البديل لها، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء الأسلوب المتبع في تطبيق البرنامج والذي اعتمد بدرجة كبيرة على خيارات مجموعة التدريب، من خلال تحديد وترتيب المواقف التي تنقص فيها مستوى التوكيدية لديهم من الأقل إثارة للقلق، لأنه كلما زادت درجة القلق انخفض مستوى التوكيدية، وهذا ما يدعم تصور طريف شوقي القائل بأن القلق الاجتماعي من المتغيرات التي تمارس دورا نشطا في كف التوكيد حين يتوفر قد كبير فيه أو في حث الفرد على أن يكون مؤكدا حين ينخفض مقداره.

ما يعني فاعلية البرنامج المقترح في تنمية السلوك التوكيدي، وهذا يتفق مع النتيجة التي توصل إليها جلازي Jalazi 1969 بحيث وجد أن هناك أثرا للتدريب التوكيدي في تنمية مستوى التوكيدية لدى المجموعة التجريبية، وكما وجد شوقي أن من أهم محدداتها" النوع "Gender في تحديد توقعات الجماعة لسلوك الأفراد من الجنسين وتحديد طبيعة المناخ الاجتماعي الذي قد ييسر أو يكف التوكيد. وقد أجرى طريف شوقي دراسة تبين فيها أن الذكور أكثر توكيدا من الإناث في كثير من جوانب السلوك التوكيدي، لذلك قامت الباحثة بتقسيم المجموعة التدريبية (إناث- ذكور) كل على حده، بحكم أن واقعنا العربي المعاش يؤيد

فعلا هذه المقوله، ويرجع ذلك للقوالب النمطية السلوكية للدور الجنسي الذي يوعز للذكر والذي يحتم عليه أن يكون توكيديا في سلوكه، وإلا لاقى استهجان الجماعة الاجتماعية التي يتفاعل معها (أب، أخ، عم)، أما بالنسبة للفتاة فإنها تكون أكثر ميلاً لأن تكف توكيدها بسبب التوقعات الثقافية منها كامرأة، فضلاً على العواقب السلبية التي تلحق بها بسبب سلوكها التوكيدي.

ومن المتوقع أن يزداد توكيد الذات لديها مع التقدم في العمر، حيث يعتبر شوقي العمر وعاء للخبرات التي يكتسبها الفرد عبر المراحل المتتابعة، ويشكل الإطار الزمني الذي تمارس ويتدرب فيه على المهارات التوكيدية، حيث قام ظريف بدراسة لتحديد أهمية العمر فتين أن هناك بعض العمليات الارتقائية لعدد من المهارات التوكيدية عبر الزمن لأنه في الغالب نجد أن الفتاة التي لديها مستوى ثقافي عالي فنجد أن توكيدها يقبل داخل وسطها ولا يعتبر وقاحة، والأمر الذي يجعلهم يتساحون معها كونها تحمل الكثير من الخبرات والمعارف الفكرية. فقد أثبتت الدراسات أمثال دراسة احمد الدويدار، 1998 أن الأفراد الأكثر عمراً أكثر توكيداً.

حيث يتقبل المجتمع ويتسامح مع السلوك التوكيدي الصادر من الكبار، كما أن الفرد يكتسب مهارات التوكيد والاستقلال من خلال ما يواجهه من خبرات وفرص التدعيم. والتي من شأنها رفع مستوى التوكيد (18)، وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من : حسن علي حسن (1988)، ودراسة حسن علي (1990)، وعبد الفتاح دويدار (1991)، وهونج وكوكير (1984) التي وجدت أن الذكور أكثر توكيداً لذاتهم من الإناث. (19). لذلك فإننا نجد المراهقين يسعون جاهدين إلى تأكيد هويتهم، حيث يحاول الأفراد تحديد أدوارهم وطاقتهم وإمكاناتهم، وتنشأ الأزمة بين حاجات ورغبات الأفراد ومطالب المجتمع، فالمرهقين يمرون بتغيرات جسدية وعقلية وانفعالية واجتماعية واضحة المعالم، ربما تنتج عنها أنماط سلوكية تأخذ شكل التمرد والعصيان والخجل لتأكيد الذات (20).

وهذا يعود لكون أن حاجات المراهق في هذه المرحلة تتعدد حيث تظهر بعض الحاجات النفسية الأساسية مثل الحاجة للاستقلال والحاجة إلى تأكيد الذات وهذه الحاجة إذا لم يستطع إشباعها في مناخ اسري سوي وملائم قد يكون مهدا للعديد من الصراعات النفسية⁽²¹⁾، ولذلك فإننا نلاحظ أن برنامج الدراسة الحالية ساهم بنسبة بسيطة في إشباع هذه الحاجات، لأنها تعتبر إحدى محددات التنبؤ بالسلوك، لآكنها ليست المحدد الرئيسي كما أنها ليست ثابتة وتتغير بتغير الحالة التي يكمن عليها الفرد والتي يعتقد الفرد بأنها المسؤولة عن نتائج سلوكه، لذلك فإن بعض الأفراد قد يشعرون بحالة من العجز إذا لم يستطيعوا إشباع حاجاتهم، حيث يعرف سليجمان العجز (1975 m- seligman) بأنها حالة نفسية تنتج عندما تكون الأحداث خارجة عن الضبط أو السيطرة على الأحداث في البيئة، وفضلا عن ذلك فإنهم يرجعون ما يحدث لهم إلى انه خارج عن نطاق إرادتهم ويوصف هؤلاء الأفراد بأنهم ذو الضبط الخارجي⁽²²⁾.

والذين يعتقدون أنهم مسيرون نحو سلوكيات معينة دون غيرها، وان ليس لهم أي دخل في تحديد هذه الاشباعات فيسلوكون على نحو منخفض التوكيدية. خاصة وان المراهق في هذه المرحلة مقبل على تحديد مساره الدراسي المستقبلي، والذي قد يزيد مستوى القلق لديه لأنه مقبل على قضايا حاسمة مثل الإقدام على شهادة التعليم المتوسط، وبعدها تحديد التخصص المناسب للالتحاق بالثانوية، وبالرغم من أن المراهقين من الجنسين يخضعون لنفس الموقف ولكن جزئيات الموقف قد تختلف بينهما.

فبينما قد يحظى الذكور ببعض الحرية في اختيار التخصص، فان البنت قد تخضع لرغبة الولي الذي قد يكون دوجماتي Dogmati والذي يتميز بالتشدد مع أصحاب الأفكار المناهضة له، دون محاولة للتعرف على تلك الأفكار حتى ولو كانت من ابنته هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد نجد أن بعض الفتيات قد يتحلين بالتوكيدية إلا أنهن لا يستطعن استخدامها في مثل هذه المواقف، بسبب التفسيرات السلبية التي قد تلحق بسلوكها (الاستهجان الاجتماعي) أي انه غير

حيي، ولاكن في الحقيقة قد يخلط الكثيرون بين الحياء والتوكيد لأنهما في الحقيقة مكملان لبعضهما وغير متعارضين لان الله عز وجل يقول أن خلق الإسلام الحياء، وان الله يحب المؤمن القوي على المؤمن الضعيف، ويتجلى ذلك في قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" (رواه مسلم) وهنا نلاحظ أن الإسلام ربط بين الحياء والقوة، أي قوة الفرد في قول كلمة الحق والدفاع عن حقوقه بحياء دون خنوع و أن لا يلحق الضرر بالآخرين لأنه يستحي من الله ورسوله، لقول الرسول الكريم إن لم تستحي فافعل ماشئت. وهذا جوهر التوكيد، والقوة هنا لانعني بها القوة العضلية وإنما قوة تحكم الفرد في المواقف السلوكية التي يكون هو طرف فيها، حتى ولو كان احد الأطراف المشاركة الوالدان، يقول الله تعالى: "وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا" (سورة لقمان، الآية 15)، ويقول الرسول الكريم لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى (رواه احمد في المسند).

كما يحننا الإسلام على الدفاع عن حقوقنا المشروعة من دون أن نلحق الأذى بالآخرين، قال تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين" (سورة البقرة، الآية 194) ومن الدراسات التي تنفي ارتباط الحياء بالتوكيد دراسة صافي (2009). هدفت هذه الدراسة لمعرفة مستوى سمة الحياء وعلاقتها بالتوكيدية وبعض المتغيرات لدى طالبات الثانوية العامة توصلت الباحثة إلى: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الحياء والتوكيدية لدى طالبات الثانوية.

أو أن سلوكهم عاق، أي أن المرهق إذا تصرف على نحو توكيدي فذلك يعني انه وقع في دائرة العقوق، وأكدت العديد من الدراسات عن عدم وجود ارتباط ايجابي بين العقوق والتوكيد لأنهما ليسا من نفس الطبيعة، فالتوكيد سلوك ايجابي مقبول اجتماعيا أما العقوق فهو سلبى منبوذ اجتماعيا، حيث نجد دراسة عطى (2004) بعنوان "عقوق الوالدين وعلاقته بالقيم الخلقية وتأكيده الذات

لدى الأبناء، فوجد انه توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكور وبين متوسطات درجات الإناث على مقياس الدراسة : العقوق، القيم الخلقية وتأكيد الذات لصالح الذكور بالإضافة إلى وجود علاقة ارتباطيه سالبة دالة بين درجات أفراد العينة على مقياس العقوق وبين درجاتهم على مقياس القيم الخلقية وتأكيد الذات⁽²³⁾.

❖ هوامش البحث

1. طريف شوقي محمد فرج، المهارات الاجتماعية والاتصالية، دراسات وبحوث نفسية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

2. مصطفى ناصف، نظريات التعلم دراسة مقارنة، سلسلة كتب ثقافية شهرية المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978، العدد 70.

3. فاروق الروسان (2010) تعديل وبناء السلوك الإنساني، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان المملكة الأردنية الهاشمية

4. Solaf A. Hamoud and all, The Effect of an Assertiveness Training Program on Assertiveness skills and Self-Esteem of Faculty Nursing Students (*liliozman@yahoo.com, Journal of American Science, Available on the <http://www.americanscience.org>.)

5. فرحات احمد، أساليب المعاملة الوالدية (التقبل-الرفض) كما يدركها الأبناء و علاقتها بالسلوك التوكيدي لدى تلاميذ التعليم الثانوي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر 2012، ص. 57.

6. يزيد بن محمد الشهري، السلوك التوكيدي لدى أربعة أنماط من مدمني المخدرات دراسة مقارنة، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، الرياض، 2005، ص. 16.

7. عبد الرحمان بن عيد الجهني، المهارات الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك التوكيدي و الصلابة النفسية لدى طلبة المرحلة الثانوية، كلية التربية، جامعة الطائف، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، العدد الأول، 2011، ص 208.
8. المرجع السابق، ص 26.
9. إبراهيم عبد الستار وآخرون (1978)، العلاج السلوكي للطفل أساليبه ونماذج من حالاته، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت ص 126-127.
10. حجازي مصطفى مدخل إلى مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 338.
11. خليل ميخائيل معوض، سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة، دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 1994، ط 3، ص 300.
12. طريف شوقي محمد فرج، مرجع ابق ذكره، ص 38-39.
13. عبد الرحمن عدس، أساسيات البحث التربوي، دار الفرقان، عمان، 1999، ط 3، ص 184.
14. سامي محمد ملحم، علم نفس النمو، دورة حياة الإنسان، دار الفكر، عمان، الأردن، 2004، ص 389.
15. صلاح الدين أبو ناهية (1987)، الفروق في الضبط الداخلي الخارجي لدى الأطفال والمراهقين والشباب والمسنين بقطاع غزة، دراسات تربوية تصدر عن رابطة التربية الحديثة، المجلد الثاني، الجزء التاسع، القاهرة، ص 286.
16. حبيب مجدي عبد الكريم، الخجل لدى عينة من المراهقين، دراسة تحليلية تنبؤية باستخدام بطارية الموقفي، المجلة المصرية للتقويم التربوي، القاهرة، 1996، المجلد الرابع، العدد 1، ص 19.

17. الأغا، عاطف، البنية العاملية لبعض المتغيرات الدافعية، لعينة مصرية وأخرى فلسطينية، من طلاب الجامعات الإسلامية، رسالة دكتوراه منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 1997، ص121.

18. عبد المنعم احمد الدردير، الإحصاء البارامترى و الابرامترى في اختبار فروض البحوث النفسية و التربوية و الاجتماعية، عالم الكتب للنشر و التوزيع و الطباعة، القاهرة، 2005، ص 76.

19. ليندال دافيدوف، ترجمة سيد الطواب وآخرون، مدخل علم نفس، دار ماكجروهيل، 1984، ص 774 .

20. عماد زغلول(2003) نظريات التعلم، الإصدار الأول، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص110.

21. زهران نيفين محمد (1994)، دراسة الشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين من الجنسين وعلاقته بتنشئة الآباء في تنشئتهم، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس .

22. بشير معمريه(2009)، دراسة نفسية حول طلاب المدارس و الجامعات و فئات أخرى، بحوث و دراسات متخصصة في علم النفس، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع، مصر، ص25.

23. ماجدة محمد زقوت(2011)، هوية الذات وعلاقتها بالتوكيدية والوحدة النفسية لدى مجهولي النسب، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية غزة. ص184.

ظاهرة الاغتراب النفسي عند المراهقين

دراسة ميدانية لعينة من تلاميذ ثانوية العربي بن مهيدي -مدينة بسكرة-

الأستاذ الدكتور: عيسى قبوقب، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحثة: عتيقة سعيدي، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على ظاهرة الاغتراب النفسي لدى المراهقين والكشف عن الفروق في الاغتراب النفسي والتي تُعزى لمتغير الجنس والمستوى الدراسي، لدى عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية في مدينة بسكرة، تكونت عينة الدراسة من (100) تلميذ وتلميذة، أُختيرت بطريقة عشوائية بسيطة، وقد استخدمت الباحثة مقياس الاغتراب النفسي، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة في الاغتراب النفسي تبعاً لمتغير الجنس وكذا المستوى الدراسي.

Abstract:

This study aims to identify the phenomenon of psychological alienation among adolescents and to detect differences in the psychological alienation due to the following variables: gender and educational level, in a sample of high school students in the city Biskra, the study sample consisted of 100 students of both sexes. Simple chosen randomly, was used in this study across the psychological alienation, and the results showed no significant differences in psychological alienation as the variable sex and the educational level.

مقدمة:

يعد الاغتراب من الظواهر الاجتماعية التي اهتم بدراستها الباحثين في النصف الثاني من القرن العشرين، كظاهرة انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وقد يرجع ذلك لما لهذه الظاهرة من دلالات قد تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر ومعاناته وصراعاته الناتجة عن تلك الفجوة الكبيرة بين تقدم مادي يسير بمعدل هائل السرعة، وتقدم قيمى ومعنوي يسير بمعدل بطيء، الأمر الذي أدى بالإنسان إلى الشعور بعدم الأمن والطمأنينة اتجاه واقع الحياة في هذا العصر، بل ربما النظر إلى هذه الحياة وكأنها غريبة عنه، أي الشعور بعدم الانتماء إليها، ولعل ذلك يبرر انتشار استخدام مفهوم الاغتراب في الموضوعات التي تعالج مشكلات الإنسان المعاصر. فمشكلة الاغتراب النفسي تشكل فعلا تهديد للمجتمع . وهذا ما أدى إلى ضرورة البحث في هذه المشكلة.

1- إشكالية الدراسة:

على الرغم من حداثة دراسة الاغتراب بصفتها ظاهرة نفسية تعبر عن معاناة الإنسان وصراعه مع مجتمعه إلا أن هذا المفهوم نفسه لا يعد جديدا، ولقد ورد ذكره بشكل أو بآخر في الكتب الفلسفية واللاهوتية القديمة.

فالاغتراب من المصطلحات التي شاع استخدامها في الوقت الحاضر في مجال العلوم الإنسانية، وخاصة في علم النفس والصحة النفسية، وهذا ما أدى إلى الاهتمام بدراستها من قبل الباحثين كظاهرة انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة.

كما تعتبر ظاهرة الاغتراب النفسي ظاهرة إنسانية لها وجود في مختلف أنماط الحياة وقد تزايدت مشاعر الاغتراب وتعددت، فهو من الظواهر التي أخذت في التزايد بين الأفراد بوجه عام والمراهقين بوجه خاص، ذلك أن المراهقة مرحلة الاضطرابات النفسية، حيث يتعرض المراهق فيها إلى العديد من عوامل التأثير والقلق، ويتوقع منه أن يحقق ذاته بما يتوافق مع مطالب المجتمع. كما أن هذه

المرحلة تتسم بالعديد من التغيرات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية والانفعالية مصحوبة بتقلبات وانحرافات مزاجية وعدم الثبات وتغير مفاجئ في الميول والآراء وكثير من الاضطرابات، وقد يكون الاغتراب النفسي أحد هذه الاضطرابات .

كما أن المراهق حين يغترب من جميع النواحي . نفسياً واجتماعياً وعضوياً، وهو لا يملك سوى ذاته يتمركز عليها ويلتصق بها، وإنه يعجز عن استثمار إمكاناته وقدراته ومواهبه ولا يستطيع أن يحقق ذاته .

إن مفهوم الاغتراب بمظاهره المختلفة (العجز واللامعنى و العزلة الاجتماعية و اللامعيارية والتمرد) أصبح اليوم من الموضوعات العامة في ميدان علم النفس والتي تتطلب المزيد من الاهتمام و البحث للتعرف على المسببات والنتائج والخروج بالحلول اللازمة. ومن هنا ارتئنا القيام بهذه الدراسة حول ظاهرة الاغتراب النفسي لدى المراهق المتمدرس فظهور الاغتراب النفسي في حياة المراهق المتمدرس أمراً ضرورياً يجب الاهتمام به.

انطلاقاً من التقديم السابق تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن التساؤلات

التالية:

-هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير الجنس ؟

-هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير المستوى الدراسي ؟

2-فرضيات الدراسة :

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي بين المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير الجنس.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي بين المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير المستوى الدراسي.

3-أهداف الدراسة: تتحد أهداف الدراسة في ما يلي:

▪ الكشف عن الفروق في الاغتراب النفسي بين المراهقين المتمدرسين تبعاً لمتغير الجنس

▪ الكشف عن الفروق في الاغتراب النفسي بين المتمدرسين تبعاً لمتغير المستوى الدراسي

4-أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الدراسة المراهقين في أهمية الموضوع في حد ذاته وذلك:

▪ باعتبار الاغتراب النفسي ظاهرة موجودة في كل أنماط الحياة وهي من أهم قضايا عصر العولمة و أحد سمياته البارزة التي تتخذ ملامح ومظاهر متعددة.

▪ كما تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية الفئة المستهدفة وهم تلاميذ المرحلة الثانوية باعتبارهم شباب الغد و العنصر الأكثر حيوية وبنهوضهم ينهض المجتمع وبتدهورهم وانهارهم ينهار.

5-حدود الدراسة : بما أن الدراسة تتناول بالبحث المراهق المتمدرس، فقد تم إجرائها في ثانوية العربي بن مهدي بمدينة بسكرة خلال الفترة الممتدة من منتصف شهر مارس إلى غاية نهاية شهر أبريل 2014/2015.

6- التعريف الإجرائي لمصطلحات الدراسة:

تعرف في هذه الدراسة على أنها:

▪ الاغتراب: هو ما يعانیه المراهق المتمدرس من مظاهر مثل العزلة الاجتماعية وعدم الالتزام بالمعايير والعجز وفقدان المعنى والتمرد، من خلال ما تدل عليه الدرجة الكلية التي يحصل عليها المراهق على مقياس الاغتراب النفسي لزينب شقير.

■ المراهق: هو الفرد الذي تطرأ عليه التحويلات النمائية النفسية الجسمية والعقلية والاجتماعية والذي يتراوح عمره بين (17-19) سنة.

الخلفية النظرية للدراسة:

1- الاغتراب النفسي: إن الاغتراب من المصطلحات التي يكثر استخدامها في العلوم الإنسانية وخاصة في علم النفس وعلم الاجتماع ، وهذا المصطلح يعاني من التباين والاختلاف في مفهومه بحسب اختلاف العلماء والباحثين وتباين الآراء حول معناه وأسبابه وأثاره النفسية والاجتماعية على الفرد. وسوف نتعرض لأهم علماء النفس في تعريفهم للاغتراب

-جون جاك روسو **j.j. rousseau** : (1712_1778): عرف روسو الاغتراب على أنه التسليم أو البيع للإنسان الذي يجعل من نفسه عبد الآخر، إنسان لا يسلم نفسه ، وإنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل⁽¹⁾. وبمعنى آخر أنه تخلي طوعي يقوم به الأفراد في المجتمع من جهة، وهو ضرورة خارجية بالنسبة إليهم، وهم متساوون في الخضوع لهذه الضرورة، لذا فإنها بمثابة كسب عام ذي صفة اجتماعية⁽²⁾.

-أما هيجل **Hegel** (1770_ 1831): يعد هيجل أول من عالج الاغتراب في الفلسفة الألمانية وأصبح مألوفاً بعد أن طوره الهيجليون. فالاغتراب عند هيجل هو وعي الإنسان بالهوة الموجودة بين العالم الحقيقي والعالم المثالي وأن وعي الإنسان للاغتراب وملابسات الاغتراب هو فهم لطبيعة الوجود الإنساني، لأن الاغتراب ينشأ تحت تأثير تفاعل الحياة والتجربة الحية للكائن الإنساني المغترب، وهو يتشكل من خلال تجارب الحياة الحية التي يواجهها الإنسان⁽³⁾.

-الاغتراب عند سجموند فرويد **S.Feud** : لقد أوضح فرويد أن الاغتراب ينتج أساساً عن حاجات الحضارة و متطلباتها وكان مقتنعاً بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات، الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي

المسيطر⁽⁴⁾. وعليه بلور فرويد تصوره للاغتراب باعتباره سمة متأصلة في وجود الذات و في حياة الإنسان و لا يتم علاجها إلا بإطلاق الغرائز المكبوتة، وهذا يعني تهديم الحضارة وهو باب من أبواب المستحيل⁽⁵⁾.

-يعرف فروم (1976) Fromm: الاغتراب على أنه "نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كمغترب عن ذاته، إنه لم يعد يعيش نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله أو إنتاجه، وإنما أفعاله تصبح سادته الذين يطيعهم، أو الذين حتى قد يعبدهم"⁽⁶⁾.

ويرى إيركسون أن الاغتراب يحدث خلال أزمة الهوية التي يبحث فيها المراهق عن ذاتيته حيث العداء بين تطور الأنا وتشتت الأنا الذي يمثل الاغتراب كمعوق أساسي لتطور حرية الأنا⁽⁷⁾.

إن أهم ما نستخلصه من التعريفات السابقة للاغتراب انه ليس هناك مفهوما موحدا للاغتراب يتفق حوله الفلاسفة، حيث استخدم كل واحد منهم هذا المصطلح بمعنى خاص انطلاقا من وضعية تاريخية و اجتماعية محددة بشروط معينة. إلا أن معظمهم يتفق على أن الاغتراب هو الانفصال النسبي عن الذات و عن الآخرين .

2-المقاربة النظرية للاغتراب النفسي :

أولا: الاغتراب في نظرية التحليل النفسي: يرى سيجموند فرويد (S.Freud) أن الاغتراب ينتج أساسا عن حاجات الحضارة و متطلباتها، وكان مقتنعا بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر⁽⁸⁾.

وهذا يعني في نظر فرويد أن الاغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم سماح الحضارة له لإشباع غرائزه دون تأجيل إضافة إلى دور اللاشعور في جعل الفرد يغترب من مجتمعه نتيجة لعدم قدرة الفرد على مواجهة متطلبات المجتمع مما يدفعه إلى سلوكيات تحافظ عليه للعيش داخل مجتمعه، وهو مقتنع بأن متطلبات البناء

الاجتماعي تناقض جوهر الذات، الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر.

-أما هورني **Horney** فتهتم بالشروط الثقافية و الاجتماعية لتحقيق وجود الإنسان ، وتبين أثر العلاقات المتبادلة بين الشخصية و قيم المجتمع ، وبين العلاقات الاجتماعية و التطلعات الفردية، ففي ظل البرجوازية تقوم الثقافة على مبادئ التنافس و الفردية والاستغلال، تلك المبادئ التي تؤدي إلى خلل في العلاقات الإنسانية و بروز روح العدا و السيطرة بين الناس ، فنتيجة لمبدأ المنافسة السائد في المجتمع في جميع المجالات (الاقتصادية، والاجتماعية و السياسية...) يقع خلالها الأفراد في صراع داخلي شديد ، وهو صراع بين الذات الحقيقية (التلقائية) والذات الفعلية (المثالية) التي تنشأ عن حاجات الفرد الداخلية و تؤثر في الشخصية⁽⁹⁾.

-أما فروم **Erick Fromm** فقد اهتم بمفهوم الاغتراب من ناحية موضوع الانفصال خلال الخضوع، وقد استخدم مشتقات لمفهوم الاغتراب هي فقدان السيطرة، و سلب الحرية و التسلية و التخريب و الانعزال، وهو يرى أن الآلام الإنسانية ليست متأصلة في الحاجات الأساسية ولكنها موجودة في حالات معينة من الوجود البشري، وفي الحاجة المتجددة للربط بين الإنسان و الطبيعة التي يعيش فيها.

ثانيا: الاغتراب في نظرية الذات:

يوضح لويس كوهين أن هناك علاقة وثيقة بين نظرية الذات وبين جذور الاغتراب فمن الافتراضات الأساسية لهذه النظرية، إن الشخص يجاهد أو يناضل من أجل تحقيق الإبقاء على مفهوم ملائم للذات، ومن رواد مدرسة الذات كارل روجرز الذي أوضح حدوث الاغتراب عندما يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي، ويؤدي هذا بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صورة رمزية للذات وإلى عدم انتظامها في بناء الذات⁽¹⁰⁾.

ويرى روجرز كذلك أن الذات تنمو خلال تفاعلات الشخص مع بيئته، وهذه التفاعلات تتأثر بالذات النامية . ويدرك الفرد عالمه حسب مفهومه عن ذاته، و تصبح خبرته بالواقع ملونة بمفهومه عن نفسه، و يعرف الشخص نفسه للآخرين من خلال سلوكه في مواقف التفاعل. و بالنسبة للشخص المغترب فانه يبنى مفهوم ذات متناقض مع الواقع و يصبح إدراكه لبيئته كذلك غير واقعي فينجم عن ذلك صعوبات في التكيف و التأقلم مع المتغيرات الحادثة في عالمه المحيط به . انه في تقدير روجرز لم يحقق ذاته الحقيقية كما انه لم يتمكن من قبول نفسه بخصائصها السلبية و الايجابية (11) .

ثالثا: المقاربة الاجتماعية:

❖ نظرية ماركس في الاغتراب :

لقد استخدم كارل ماركس مفهوم الاغتراب في كتاباته الدينية و السياسية، إلا أن تركيزه على استخدام هذا المصطلح في تحليلاته الاقتصادية، خاصة ما يتعلق منها بمجال تحليل العمل، وقد أرجع أسباب الاغتراب إلى أن بعض الأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية كامنة في علاقات الإنتاج و نسق السيادة الطبقي مما يؤدي بهم إلى انفصالهم عن العمل و لإنتاج، كما يؤدي إلى اغترابهم عن الطبيعة وعن ذاتهم (12) .

وهكذا فإن الاغتراب عند ماركس أصبح ظاهرة تاريخية تتعلق بوجود الإنسان في العالم، أي وجوده في عالم تاريخي هو عالم العمل المغترب. فمصدر الاغتراب هو الإنسان و ليس التكنولوجيا أو قوة فوق الإنسان.ومن هنا فإن قهر الاغتراب يتعلق بقهر ما ليس إنسانيا في الإنسان.

وانتهى كارل ماركس إلى أن ظهورا للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في الحياة العامة للإنسان هي السبب الرئيسي للاغتراب. فالملكية الخاصة تستنتج من مفهوم العمل المستلب، العمل المغترب، الحياة المغتربة، الإنسان المغترب : (13)

وعليه يتبين لنا أن ماركس نقل إشكالية الاغتراب من الطرح المثالي الهيجلي كما تضمنته جديلة الوعي إلى الطرح المادي، فلم تعد الفكرة أصل الاغتراب بل هي المادة كما يراها ماركس .

❖ أما الاغتراب عند إريك أيكسون فيقع في المرحلة الخامسة، مرحلة تطور هوية الأنا كتنقيض لتشتت الأنا حيث أن النشاط النفسي يتراوح ما بين اكتساب الأنا لهويتها مقابل اختلاط أو تشتت الأدوار و هو يعني موقف الفرد الواضح اتجاه العالم و فهمه الواضح لدوره، وهو يرى أن الأمر صعب للغاية في عالم سريع التغيير اجتماعيا حيث الفجوة بين الأجيال تجعل أدوارهم المتوقعة مختلفة و يكون الاغتراب هو تشتت الأنا الناقد عن فقدان للقدرة على تكوين و تطوير وجهة نظر متماسكة نحو العالم و موقف الفرد منه .

بالرغم من الاختلافات القائمة بين العلماء والباحثين في تفسير ظاهرة الاغتراب، إلا أنه يجب على الدارس لهذه الظاهرة الأخذ بوجهات نظرهم.

3-أبعاد الاغتراب:

3-1-العزلة الاجتماعية: **isolement social** ويقصد بها " شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي ، والافتقاد إلى الأمن و العلاقات الاجتماعية الحميمة ، و البعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، و الانفصال بين أهداف الفرد و بين قيم المجتمع و معاييرهِ" (14) .

3-2- اللامعيارية: ويقصد بها انفصال ما هو ذاتي عن ما هو موضوعي، حيث تنفصل أهداف وغايات الفرد عن غايات و أهداف المجتمع، وتصبح الغاية عند الفرد تبرر الوسيلة (15) .

3-3- العجز: ويعرف أحيانا باسم "اللا قوة" وهو شعور الفرد بأنه لا حول له ولا قوة ونقص قدرته على السيطرة على سلوكه وعلى التحكم أو التأثير في مجريات الأمور الخاصة به، ويشعر الفرد أن ما يخصه يملى عليه من الخارج⁽¹⁶⁾.

3-4- اللامعنى: يقصد به أن الفرد يرى الحياة لا معنى لها، وإنها تسير وفق منطق غير معقول، ومن ثم يشعر المعترب أن حياته عبث لا جدوى منها، فيفتقد واقعيته ويحيا نهبا لمشاعر اللامبالاة والفراغ الوجودي.

3-5- التمرد: يقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عن المألوف و الشائع، وعدم الإنصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء، لكل من يحيط بالفرد من قيم و معايير، وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بما يحتوي من أنظمة و مؤسسات أو على موضوعات و قضايا⁽¹⁷⁾.

بناء على ما سبق نجد أن كل أبعاد الاغتراب تكاد تكون مترابطة، ولكل بعد منها أهميته و تأثيره في تحديد طبيعة الاغتراب.

4- الخصائص العامة للاغتراب النفسي: ترى " زينب شقير " أن للاغتراب خصائص مختلفة وهي:

- ✓ نقص المودة والألفة مع الآخرين .
- ✓ الشعور بعدم المرغوبية الاجتماعية من قبل الآخرين .
- ✓ غياب معنى الحياة و قيمتها لدى الفرد المعترب .
- ✓ ضعف الروابط الاجتماعية مع الآخرين .
- ✓ القلق والتوتر وما يترتب عنهما من استجابات عنيفة متطرفة كالإجرام و العجز في تحمل المسؤولية .
- ✓ النظرة السلبية والتشاؤمية للحياة⁽¹⁸⁾ .

5-العوامل المسببة للاغتراب: يرى بعض العلماء أن الشعور بالاغتراب يكون نتيجة لعوامل نفسية مرتبطة بالفرد وعوامل اجتماعية مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه مما يجعله غير قادر على التغلب على مشكلات الحياة. كما يحدث الاغتراب نتيجة تفاعل بين العوامل النفسية و الاجتماعية.

ومن أهم مصادر الشعور بالاغتراب التنشئة الاجتماعية الخاطئة و عمليات التغيير الاجتماعي والتقدم الحضاري والحياة المعاصرة، وعدم قدرة الفرد على القيام بالأدوار الاجتماعية بسهولة، والفجوة بين الأجيال أو بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، و اختفاء كثير من القيم التي كانت موجودة في الماضي مثل التعطف و التراحم والمحبة.

وترجع أسباب ومصادر الاغتراب عند إريك فروم Fromm إلى طبيعة المجتمع الحديث، و سيطرة الآلة و هيمنة التكنولوجيا الحديثة على الإنسان، و سطو السلطة و هيمنة القيم و الاتجاهات و الأفكار السلطوية، فحيث تكون السلطة وعشق القوة والحصن على العدوان يكون اغتراب الإنسان⁽¹⁹⁾.

وترجع كارين هورني Horney أسباب ومصادر الاغتراب لدى الإنسان إلى الضغوط الداخلية، حيث يواجه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال، حتى يحث الذاتية المثالية، ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها⁽²⁰⁾.

أما إجلال سري (1993) ترى أن أسباب الاغتراب النفسي متعدد، ومن أهمها ما يلي:

العوامل النفسية: وتتمثل في:

- الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة، وبين الحاجات التي لا يمكن إشباعها في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق واضطراب الشخصية .

- الإحباط: حيث تعاق الرغبات الإنسانية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد ويرتبط الإحباط بخيبة الأمل والفشل والعجز التام والشعور بالقهر وتحقير الذات .
- الحرمان: حيث تقل الفرصة لتحقيق الدوافع وإشباع الحاجات كما في حال الحرمان من الرعاية الوالدية.
- الخبرات الصادمة: وهذه الخبرات تحرك العوامل الأخرى والمسببة للاغتراب مثل الأزمات الاقتصادية والحروب⁽²¹⁾.

6-الاغتراب والمراهق: أشار "عماد الدين إسماعيل" إلى أن المراهقين يمكن تصنيفهم في فئة المغتربين من خلال مدى ثلاث مجموعات ، واستند في ذلك التصنيف إلى دراسة "كينستون" (Kenston, 1968)، وأشار بأن فئة المغتربين هم أولئك الذين يشعرون باليأس من إصلاح الأمور، والغضب من مظاهر الإدعاء والتظاهر ورفض هذه المظاهر، وكذلك فهم يشعرون بالإحباط و نفاذ الصبر وعدم القدرة على احتمال المظاهر المادية للمدينة الحديثة.

وأوضح أن التعبير الصريح لمشاعر الاغتراب هو إظهار المرارة والغضب والسخرية اللاذعة والازدراء والاحتقار. ولكن بالرغم من هذه الدرجة في السلبية من الأمور، إلا أن المغتربين من الأمور يؤكدون بشكل مضمون على أهمية الاتصال بين الناس، كما أنهم يظهرون بشكل أو بآخر حاجتهم إلى التعبير عن ذواتهم وعن خبراتهم في الحياة⁽²²⁾.

كما يشير إلى أن المغتربين يجمعون ما بين الرغبة المجتمعة في التقارب وتكوين علاقات حميمة وثيقة بالآخرين، وبين الخوف من مثل هذه العلاقات. ويرى أن تلك الحالة تكون شائعة في بداية المراهقة، حيث يكون المراهق لأسباب اجتماعية وثقافية مشغولا بمشاعره وأفكاره الخاصة . وفي هذه الحالة قد ينزول عن التفاعل الاجتماعي، و يشعر بأنه لا يرغب في أن يشرك الآخرين فيما يعانیه من قابلية للتجريح في نواحي النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي. و بهذا المعنى يشير إلى

أن معظم المراهقين في الثقافة التقليدية التي نعيش فيها يشعرون بشيء من الوحدة العزلة التي يتضمنها الاغتراب (23).

إن أزمة الانتماء أو الشعور بالاغتراب عند المراهق في المرحلة المبكرة، هي نوع من الحلول للصراع بين ما يتطلع إليه المراهق من وجوده في الجماعة، وما يخشى أن يتعرض له من رفض، وهذا الموقف الصراعى ليس إلا نتيجة الحساسية الزائدة نحو الذات و التمرکز حولها في هذه المرحلة (24).

إجراءات الدراسة الميدانية :

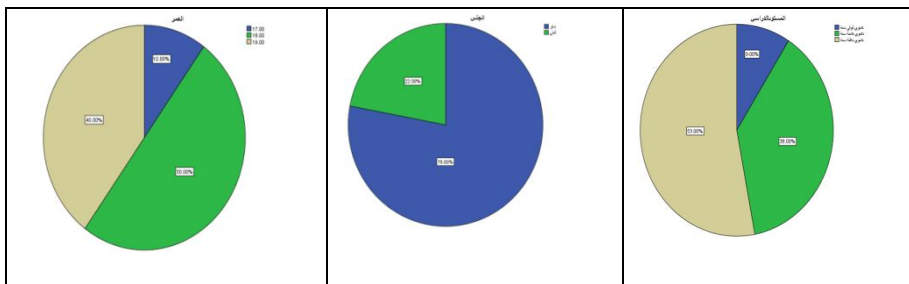
1-منهج الدراسة: نظرا لطبيعة الدراسة الحلية فإنه تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وهو ما ينقل الواقع.

2-مجتمع وعينة الدراسة:

تم اختيار عينة الدراسة من مجتمع تلاميذ ثانوية العربي بن المهدي بمدينة بسكرة، بإتباع أسلوب العينة العشوائية البسيطة نظرا لكونها الأسلوب الأمثل، لأن المجتمع المدرس متجانسا (أي يتشابه معظم أفراده في معظم الصفات التي تكون المجتمع). ولقد تم الوصول للعينة بمساعدة مستشار التوجيه بالثانوية، مع مراعاة السن والمستوى الدراسي . وتمثل في عينة بحث قدرها (100) تلميذ منهم 78 ذكور و28 إناث.

3- خصائص العينة: وتوزع عينة الدراسة وفق خصائص موضحة في الأشكال

الآتية:



<p>الشكل رقم (3) : دائرة نسبية توضح توزيع أفراد العينة حسب متغير العمر</p> <p>نلاحظ من الشكل رقم (3) أن أفراد العينة يتراوح أعمارهم ما بين 17-19 سنة وان أغليتهم من الأكبر سنا وذلك بنسبة 50% ، ثم يأتي الأفراد من سن 18 سنة وذلك بنسبة 40% ،وأخيرا الأصغر سنا بنسبة 10%.</p>	<p>الشكل رقم (2): دائرة نسبية توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس</p> <p>يتضح من الشكل رقم (2) أن أغلبية أفراد العينة هم من الذكور و ذلك بنسبة 78%، أما الإناث بنسبة 22%</p>	<p>الشكل رقم (1) : دائرة نسبية لتوزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى الدراسي</p> <p>نلاحظ من خلال الشكل رقم (1) توزيع أفراد العينة حسب المستوى الدراسي حيث نجد أن اغلبه التلاميذ في مستوى الثالثة ثانوي بنسبة 53% ثم يأتي تلاميذ مستوى الثانية بنسبة 38% و اقل نسبة هم تلاميذ السنة الأولى ثاوي بنسبة 9%.</p>
---	---	---

4- أدوات الدراسة: تتمثل في مقياس الاغتراب النفسي

تم الاعتماد على مقياس الاغتراب النفسي للدكتورة "زينب شقير" و قد تم
إعداده لهدفين:

1- قياس الأبعاد الخمسة للاغتراب (العزلة الاجتماعية، اللامعيارية، العجز،
اللامعنى، التمرد) ، التي تعتبر الممثل الحقيقي للتعريف الاشمل للاغتراب التي
استخلصتها الدكتورة من التراث السيكولوجي والاجتماعي .

2- قياس أهم أشكال الاغتراب (الذاتي، السياسي، الاجتماعي، الديني، التعليمي
) . والتي تقيس في مجموعها الاغتراب النفسي .

المقياس يحوي (100) عبارة موزعة على النحو التالي:

(20) عبارة لكل شكل من أشكال الاغتراب الخمسة مقسمة فيما بينها إلى (4) عبارات لكل مكون من مكونات الأبعاد الخمس، ويصبح عدد العبارات كل بعد مكون (20) عبارة.

4-1- الصدق:

لحساب الخصائص السيكومترية للمقياس تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية قدرت ب 50 تلميذ ، ولحساب صدق الأداة إعتدنا على نوعين من الصدق، صدق الاتساق الداخلي والصدق التمييزي كما هو موضح في الجدولين التاليين:

جدول رقم (01) : معاملات الارتباط بين درجات أبعاد المقياس والدرجة الكلية

الأبعاد	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1 العزلة الاجتماعية	0.832	دال عند مستوى 0.01
2 العجز	0.799	دال عند مستوى 0.01
3 اللامعيارية	0.823	دال عند مستوى 0.01
4 اللامعنى	0.559	دال عند مستوى 0.01
5 التمرد	0.644	دال عند مستوى 0.01

يتضح من الجدول رقم (01) الذي يلخص النتائج التي أعطاها البرنامج (V SPSS 20) أن كل معاملات الارتباط دالة عند مستوى 0.01 أي أن هناك ارتباطا إيجابيا بين الأبعاد والمقياس ككل مما يدل على صدق المقياس في اتساقه الداخلي.

جدول رقم (02) : قيمة ت بين درجات المجموعتين الدنيا والعليا للمقياس

اختبارات		اختبار ليفين للتجانس		التجانس	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعتين
الدلالة الإحصائية	ت	الدلالة الإحصائية	النسبة الفئوية				
دالة 0.01	9.70 2	دالة عند 0.01	10.55 1	حالة التجانس	233.14	14	المجموعة العليا
دالة 0.01	9.70 2			حالة عدم التجانس	197.21	14	المجموعة الدنيا

يتضح من الجدول رقم (02) أن برنامج (SPSS V 20) يعطينا قيمتين لـ "ت" عند دلالة التجانس أو عدمه بعد إجراء اختبار ليفين للتجانس ولهذا أخذنا قيمة "ت" المناسبة وهي دالة عند 0.01 مما يجعل المقياس يتمتع بصدق تمييزي عال.

5- الثبات: للتأكد من الثبات استخدمنا طريقتين:

هناك طرق عديدة لحساب الثبات نطبق منها في دراستنا:

- طريقة التجزئة النصفية: نقوم بتقسيم المقياس إلى فقراته الفردية والزوجية، ثم نستخدم درجات النصفين، في حساب معامل الارتباط بينهما فنتج معامل ثبات نصف المقياس، وبعد ذلك نقوم باستخدام معادلة سيرمان براون لحساب معامل ثبات المقياس. وقد قمنا باستخراج معامل الثبات بهذه الطريقة للمقياس من خلال برنامج (SPSS 20) والجدول التالي يلخص ذلك :

جدول رقم (03) : معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية للمقياس

عدد العينة	عدد البنود	معامل الثبات بالتجزئة النصفية
50	100	0.770

- من الجدول رقم (03) نلاحظ أن مقياس الاغتراب النفسي يتمتع بدرجة جيدة من الثبات ولذلك يمكن الثقة بنتائجه حيث بلغ معامل الثبات (0,770) أي أن معامل الثبات مقبول.
- طريقة معامل ألفا-كرونباخ: لحساب الثبات كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (04) : معامل ألفا كرونباخ للمقياس

عدد العينة	عدد البنود	معامل الثبات ألفا كرونباخ
50	100	0.789

تشير البيانات في الجدول رقم (04) إلى قيم معامل الثبات للمقياس عن طريق معامل ألفا كرونباخ، وتظهر أنها مقبولة إحصائياً.

6- الأساليب الإحصائية: استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحاسب الآلي من خلال الحزمة الإحصائية (Spss v 20) واعتمدت على الأساليب الإحصائية التالية:

اختبار (ت): لدلالة الفروق

أساليب إحصائية للتأكد من صدق وثبات المقياس:

- ✓ معامل ارتباط بيرسون للتأكد من صدق الاتساق الداخلي.
- ✓ اختبار (ت) مع اختبار ليفين للتأكد من الصدق التمييزي.
- ✓ استخدام معامل ألفا كرونباخ لحساب معامل ثبات.
- ✓ استخدام معادلة سيبرمان براون لحساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية.

7- عرض نتائج الدراسة :

عرض نتائج الفرضية الأولى التي تنص على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير الجنس.

وللتأكد من صحة هذا الفرض استخدم اختبار (ت) لحساب دلالة الفروق، ويتم عرض نتائج الفرض على النحو التالي:

الجدول رقم (05) يوضح اختبارات للفروق في الاغتراب النفسي في ظل متغير الجنس

اختبارات		إختبار ليفين للتجانس		التجانس	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعات
الدلالة الإحصائية	ت	الدلالة الإحصائية	النسبة الفئوية				
غير دالة	0.0 86	غير دالة	1.217	حالة التجانس	212.5 3	24	مجموعة الإناث
غير دالة	0.0 75			حالة عدم التجانس	212.1 6	76	مجموعة الذكور

من خلال الجدول رقم (05) وعلى اعتبار أن المجموعتين مستقلتين ولهذا قبل حساب ت نقوم بحساب إختبار ليفين للتجانس الذي يظهر أنه غير دال ولهذا نأخذ قيمة ت التي تقابل حالة التجانس وهي غير دالة عند 0.05 ولذا نقبل بالفرضية الصفرية لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي في ظل متغير الجنس.

عرض نتائج الفرضية الثانية:

والتي تنص على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير المستوى الدراسي .

وللتأكد من صحة هذا الفرض استعملنا تحليل التباين لمعرفة الفروق بين هذه المستويات وكانت النتائج في الجدول التالي:

الجدول رقم (06) يوضح اختبار تحليل التباين للفروق في الاغتراب النفسي في ظل متغير المستوى

الدلالة الإحصائية	النسبة الفائية	التباين (متوسط المربعات)	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
غير دالة	0.116	40.40	2	80.81	بين المجموعات
		349.40	97	33891.93	داخل المجموعات
			99	33972.75	المجموع الكلي

نلاحظ من خلال الجدول رقم (05) أن اختبار تحليل التباين بين المجموعات غير دال عند 0.05 ولذا نقبل بالفرضية الصفرية لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي في ظل متغير المستوى الدراسي.

8-مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات: مما سبق يتبين أنه:

الفرضية الأولى القائلة بأنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير الجنس.

إذ يشير الجدول رقم (06) لنتائج الدلالة الإحصائية بين الجنسين (ذكور، إناث) التي تؤكد عدم دلالتها وعليه نستطيع قبول الفرضية الصفرية التي تؤكد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي تعزو إلى متغير الجنس.

وحسب رأي الباحثان أن كلا الجنسين في نفس المرحلة العمرية ويمرون بسن المراهقة وما تتميز به من تغيرات نفسية واجتماعية، بحيث تتقارب فيها نفس

السمات العامة للشخصية، كما أن فرص التفاعل تكون متساوية في التعبير عن أنفسهم و بالتالي يخضعون للظروف نفسها وهذا ما يقلل حجم الفروق بينهما.

ويرجع الباحثان أن الذكور لا يختلفون عن الإناث في الشعور بالاغتراب النفسي وذلك راجع إلى اثر المتغيرات النفسية الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها المراهقين، فقد ساد الشعور بالاغتراب العجز والسلبية واللامبالاة، ووجد المراهقين أنفسهم في كلا الجنسين في خضم هذه التغيرات مستسلما أحيانا وفاقدا القيم والمعنى من الحياة أحيانا أخرى.

و تتفق نتائج الدراسة الحالية مع دراسة (مديحه عبادة و آخرون،1997) حيث دلت النتائج على عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الإناث و الذكور في مظاهر الاغتراب. كما تتفق كذلك مع دراسة (يونسى، 2012) حيث أسفرت نتائجها عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجات الاغتراب النفسي لدى طلاب تبعا للجنس (ذكور، إناث) عند مستوى الدلالة 0.05.

وفي ظل نتائج الدراسة الحالية نجد نتائج دراسة (عدايكة، 2011) بعدم وجود فروق دالة إحصائية في متوسط الشعور بالاغتراب بين الطلبة الذكور والطالبات الإناث، ودراسة (عبد المنعم، 1988) التي توصلت إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في الشعور بالاغتراب، وكذا دراسة (موسى، 2002) حيث بينت نتائجها عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الشعور بالاغتراب تبعا لمتغير الجنس.

في حين تختلف نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (خليفة، 2002) حيث دلت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في الاغتراب النفسي، وكذا دراسة (الموسوي، 1997) و (الكندري، 1992) التي وجدت أن الإناث أكثر شعورا بالاغتراب من الذكور ودراسة الأشول وآخرون، 1985 التي وجدت أن الذكور أكثر شعورا بالاغتراب من الإناث.

▪ الفرضية الثانية القائلة بأنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي تعزو لمتغير المستوى الدراسي.

إذ يشير الجدول رقم (06) لنتائج الدلالة الإحصائية تعزو لمتغير المستوى الدراسي التي تؤكد عدم دلالتها وعليه نستطيع قبول الفرضية الصفرية التي تؤكد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب النفسي لدى المراهقين المتمدرسين تعزو لمتغير المستوى الدراسي.

يفسر الباحثان عدم وجود فروق بين الذكور والإناث لان كلاهما في نفس المرحلة العمرية، وفي نفس المؤسسة التعليمية كذلك وجود نوع من التقارب في مستوى التعليم والمستوى الفكري، بالإضافة أنهم يواجهون نفس المشكلات في إحداث التوازن بين رغباتهم ومطالب المجتمع، إضافة إلى تأثر كل من الذكور من الإناث بالعوامل الأسرية والمدرسية وكذا سعيهم في هذه المرحلة لتأكيد ذاتهم واكتساب مشاعر هويتهم واستقلاليتهم ، كلها تشكل عوامل ضغط على نفسية المراهق وتجعله يلجأ لبعض السلوكيات التجنبية والانعزال وكلها عوامل تقود للاغتراب. فأغلب الباحثين يتفقون على أهمية هذه العوامل في تحقيق التوافق عند كلا الجنسين، فالأسرة تلعب دورا مهما في إعداد شخصية المراهق فهي تزوده بمختلف المعايير والعادات وتوفر له المطالب اللازمة للنمو في جو نفسي هادئ وبيئة اجتماعية سليمة .

ويرجع الباحثان هذه النتيجة أنه في المرحلة الثانوية يدرس التلاميذ المواد نفسها وبالتالي تكون المعرفة متساوية لديهم في مختلف المستويات الدراسية، هذا ما أدى لعدم وجود فروق، كما قد يرجع السبب أن المستوى الدراسي ليس له تأثير في الشعور بالاغتراب، ويمكن تفسير كذلك أن الصعوبات التي تصادف التلاميذ والمتطلبات الدراسية قد تسبب اضطرابا جديدا في الشخصية مما يجعل الفروق تتلاشى بين المستويات

وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع دراسة (الصنيع، 2002) و(موسى، 2002) في أنه لا توجد علاقة بين مستوى الشعور بالاغتراب النفسي ومستوى الدراسي، وفي ظل نتائج الدراسة نجد دراسة (المالكي، 1994) حيث أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعا للمستويات المختلفة في ظاهرة الاغتراب لدى الطلاب .

وفي ظل النتيجة الحالية نجد ما توصلت له دراسة (القريطي وعبد العزيز، 1992) حيث أشارت لعدم وجود علاقة بين الاغتراب والمستوى الدراسي وتتفق مع دراسة (الكندري، 1997) حيث أشارت إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المستويات التعليمية الأربعة ومحاور الاغتراب (اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، الشعور بالعجز).

وتختلف نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (الحديد، 1990) بعدم وجود فروق دالة إحصائية لانتشار ظاهرة الاغتراب بالنسبة لمتغير المستوى الدراسي، كما تختلف كذلك مع نتائج دراسة (بشرى علي، 2008) على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب لدى الطلبة السوريون الذين يدرسون في بعض الجامعات المصرية تعزى لمتغير المستوى الدراسي، في حين تختلف هذه النتيجة مع دراسة (أبكر، 1989) التي أثبتت أن طلبة السنوات الأولى أكثر اغترابا من طلبة السنوات النهائية بنسبة بسيطة.

خاتمة:

وأخيرا يمكن القول أن الاغتراب النفسي مشكلة إنسانية عامة إن اختلفت أسبابها ومظاهرها من مجتمع إلى آخر وكونها سمة إنسانية فهي تمس جميع المراحل العمرية ، فإن مرحلة المراهقة بكل ما تتميز به من خصائص ومظاهر لذلك تعد أكثر مراحل النمو عرضة للانحراف، فالتغيرات التي تحدث للمراهق في هذه المرحلة تجعله يعيش حالة من الاغتراب والصراع والقلق، لذلك فهو بحاجة إلى من يفهمه و يوفر له كل حاجياته في ظل هذه التغيرات، كي يتسنى له العبور هذه المرحلة بسلام بهدف تحقيق التكيف مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها و منحه الثقة بالنفس، حتى لا ينحرف عن القيم و الأخلاق و قوانين المجتمع.

لذلك يجب أن يحاط المراهق بالحب والرعاية من طرف الوالدين لأن سوء المعاملة والإهمال كلها عوامل قد تؤدي للانحراف و الشعور بالاغتراب وغيرها من الاضطرابات والمشاكل التي قد المراهق تصاحب في هذه المرحلة. وخرجت الدراسة ببعض المقترحات:

- دراسة أبعاد مفهوم الذات وعلاقتها بالاغتراب لدى تلاميذ الثانوية.
- دراسة مقارنة بين تلاميذ المرحلة المتوسطة والثانوية في درجة شيوع مظاهر الاغتراب.
- دراسة الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي لدى تلاميذ الثانوية.
- دراسة الاغتراب النفسي وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية.

❖ هوامش البحث:

- (1) محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص 60.
- (2) عباس، فيصل، الاغتراب الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، مكتبة رأس المنيع، لبنان، 2008، ص 27.
- (3) الحمداني، إقبال محمد رشيد صالح، الاغتراب - التمرد قلق المستقبل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان 2011، ص 97.
- (4) عبد السميع، بهجات محمد السيد، الاغتراب لدى المكفوفين ظاهرة و علاج، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، مصر، 2007، ص 48.
- (5) الحمداني، إقبال محمد رشيد صالح، الاغتراب - التمرد قلق المستقبل، مرجع سبق ذكره، ص 107.
- (6) حماد، حسن محمد حسن، الاغتراب عند إريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1995، ص 37.
- (7) السيد، عثمان فاروق، القلق وإدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 137.
- (8) عبد السميع، بهجات محمد، الاغتراب لدى المكفوفين ظاهرة و علاج، مرجع سبق ذكره، ص 48.
- (9) الحمداني، إقبال محمد رشيد صالح، الاغتراب - التمرد قلق المستقبل، مرجع سبق ذكره، ص 109.
- (10) شقير، زينب، العنف والاضطراب النفسي بين النظرية والتطبيق، مكتبة أمجلو المصرية، مصر، 2005 ص 111، 112
- (11) المليجي، حلمي، علم النفس الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت 2001، ص 171.
- (12) وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 62.
- (13) خليفة، عبد اللطيف، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 39.

- (14) بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين ظاهرة و علاج، مرجع سبق ذكره ص 26.
- (15) زهران، سناء حامد، إرشادات الصحة النفسية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2004، ص 180.
- (16) عيد، محمد إبراهيم، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، (ط 2)، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2005، ص 250.
- (17) رجب، محمود، الاغتراب سيرة مصطلح، مرجع سبق ذكره، ص 40.
- (18) شقير، زينب العنف والاغتراب النفسي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره
- (19) زهران، سناء حامد، إرشادات الصحة النفسية، مرجع سبق ذكره، ص 108.
- (20) عبد المختار، محمد خضر، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية تحليلية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص 50.
- (21) زهران، سناء حامد، إرشادات الصحة النفسية، مرجع سبق ذكره، ص 107
- (22) عسل، خالد محمد، مجاهد، فاطمة محمود، الاغتراب النفسي بين الفهم النظري والإرشاد النفسي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2010، ص 53.
- (23) عسل، خالد محمد، مجاهد، فاطمة محمود، الاغتراب النفسي بين الفهم النظري والإرشاد النفسي، مرجع سبق ذكره، ص 54.
- (24) الشريبي، مروة شاكرا، المراهقة وأسباب الانحراف، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003، ص 93.
- (25) محمد، بولاق، الهدف الإجرائي تمييزه وصياغته، قصر الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 186.

دور الإرشاد النفسي في رفع درجة تقدير الذات لدى المطلقات

(دراسة ميدانية)

الدكتورة: سليمة رويينة ، جامعة الجزائر 2

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة فعالية البرنامج الإرشادي المقترح في رفع درجة تقدير الذات لدى المطلقات. وقد تم استخدام المنهج شبه التجريبي حيث تكونت عينة البحث من (08) مطلقات (المجموعة التجريبية)، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم مقياس تقدير الذات لكوبر سميث، وقد أسفرت نتائج البحث على أن البرنامج الإرشادي يساهم في الرفع من درجة تقدير الذات كما يلي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين (القبلي / البعدي) للمجموعة التجريبية على مقياس تقدير الذات.

Abstract:

The following scientific research aims to identify the effectiveness of the suggested counseling program in raising the degree of self esteem of divorced women. The semi experimental methodology has been used in this research. So the research sample consisted of (08) divorced women experimental group. To achieve the objectives of the study the self esteem test of Cooper Smith has been used .the study revealed that the counseling program contributes in the increase of the degree of self esteem as follow: There are statistically significant differences between the pre and post testing of the experimental group on the self esteem test.

مقدمة:

تعتبر العلاقة الزوجية الرابطة الوحيدة بين الرجل و المرأة التي يباركها الله سبحانه و تعالى لأنها الأساس في تكوين الأسرة لقوله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (1) .

و للعلاقة الزوجية أهمية كبرى في تكوين الأسرة و كذا المساهمة في تحقيق التوافق النفسي لكل من الرجل و المرأة، و عن طريقها يجد الفرد شريكا من جنس آخر عنده الحب و الدفء و الصدق، و يحقق له العديد من حاجاته النفسية و الاجتماعية و الفسيولوجية التي يصعب تحقيقها من دونه (2) .

كما تمثل الأسرة الخلية الأولى في المجتمع، و لذلك يتوقف نمو المجتمع و تقدمه على ترابطها و تماسكها و قدرتها على إعداد أبنائها للحياة الاجتماعية، و لا تقوم الأسرة في المجتمع الإسلامي إلا على الزواج، و هي العلاقة التي على أساسها تقوم و تبنى عامة العلاقات الأسرية الأخرى، و الزواج فعل قانوني يضع الزوجين تحت التزامات شرعية و اجتماعية لكل منهما اتجاه الآخر، و يكونان علاقة يرضى عنها الدين و القانون و يقرها المجتمع، و تحدد على أساسها علاقة الزوجين ببعضهما و بغيرهما متضمنة تحديد الواجبات و الحقوق و الوظائف و الأدوار الخاصة بكل منهما و يتوقف ثبات الزواج و استمراره على مدى التفاهم و التوافق و مدى التكيف بين الزوجين (3) .

و تتخلل الحياة الزوجية بعض المشاكل قد تؤدي إلى الطلاق و هذا ما ينقلب سلبا على حياة الأسرة. لذا يعتبر الطلاق الحلقة الأخيرة في سلسلة المشكلات الأسرية و التفكك الأسري، و بالرغم من ضرورته أحيانا عندما يصبح الوسيلة التي لا مفر منها للهرب من توترات الزواج و متاعبه و مسؤولياته، إلا أن هذه الضرورة لا تمنع الضرر، إذ يبقى سببا لكثير من المشكلات لجميع أفراد الأسرة، و قد يحتاج الأفراد إلى زمن طويل للتكيف و العودة للحياة الطبيعية.

و بالرغم من تأكيد الكثير من الدراسات الغربية للآثار السلبية للطلاق على المطلقة بوجه خاص، و من ذلك تعرضها للاضطرابات و الضغوط النفسية كالقلق و الاكتئاب، و على غرار الارتفاع المطلق لنسب الطلاق في المجتمع العربي في السنوات الأخيرة، فإن مشكلة الطلاق في علاقتها بالنتائج المترتبة على الزوجين المطلقين و تحديدا المطلقة كعنصر سالب لا خيار له في الغالب في هذه العملية التي لم تحظى بالاهتمام، حيث تبين من مراجعة أدبيات البحث ذات العلاقة تركيز البحوث على العوامل الاجتماعية المرتبطة بالطلاق أو الآثار النفسية المترتبة على الأبناء، و قلة من الدراسات أشارت إلى بعض الآثار النفسية .

و من بين الآثار النفسية الوخيمة للطلاق التي تنعكس سلبا على المرأة المطلقة هو نقص تقدير الذات و ذلك لإحساسها بالفشل لأن الأصل في الزواج هو الاستمرارية و يعتبر مفهوم الذات مؤشرا للصحة النفسية ، كما يعد من أهم الأبعاد المتعلقة بشخصية الإنسان، فلا يمكن تحقيق فهما واضحا للشخصية أو السلوك الإنساني بشكل عام دون أن نشمل ضمن متغيراتها الوسيطة مفهوم تقدير الذات⁽⁴⁾ .

و يرى كوبر سميث 1967 تقدير الذات بأنه تقييم يضعه الفرد لنفسه و بنفسه و يعمل على المحافظة عليه ، و يتضمن تقدير الذات اتجاهات الفرد الإيجابية أو السلبية نحو ذاته ، كما يوضح مدى اعتقاد الفرد بأنه قادر و هام و ناجح و كفاء. أي تقدير الذات هو حكم الفرد على درجة كفاءته الشخصية كما يعبر عن اتجاهات الفرد نحو نفسه و معتقداته عنها، و هكذا يكون تقدير الذات بمثابة خبرة ذاتية ينقلها الفرد إلى الآخرين باستخدام الأساليب التعبيرية المختلفة⁽⁵⁾ .

و تشير الأبحاث و الدراسات إلى أن الشخص الذي يقدر ذاته شخصا واثقا من نفسه و يحترمها و يثق بالآخرين و يحترمهم و يكون متوافق مع نفسه و مجتمعه و له القدرة على التعامل الناجح في الحياة . ويشير "إيلي" أن تقدير الذات هو نظرة الفرد الشخصية لذاته الفعلية و الحقيقية و فهم الشخص لنفسه

(6) "Weingarten" 1985 أما بالنسبة للمطلقات فقد أشارت دراسة " واينجارتين أنهن أقل استمتاعا للحاجات النفسية و الإجتماعية .

كما أنهم يتسمون بالقلق و الاكتئاب و التوتر و نقص تقدير الذات عن أمثالهم من المتزوجين. و هذا ما يجعلهم في حاجة ماسة إلى الإرشاد المعرفي السلوكي حيث يعتبر هذا الأخير شكل من أشكال الإرشاد النفسي، فهو يركز على كيفية إدراك الفرد للمثيرات المختلفة و تفسيراته لها، و إعطاء المعاني لخبراته المتعددة، و يعتمد على تصحيح التشغيل الخاطئ للمعلومات و تعديل الإعتقادات المختلفة وظيفيا و التي تعمل على الابقاء على أنماط السلوك و الانفعالات، و بذلك يشمل التغيير لدى الفرد جوانب معرفية و سلوكية و انفعالية (7) .

و يرى " خالد محمدعسل " أن المعرفيون مثل " آرون بيك " و غيرهم أن المعرفة هي وسيلة الإنسان كي يفهم ذاته و العالم حوله و يتوصل إلى حقائق الأشياء، و التشويه المعرفي و تحريف التفكير عن الذات و العالم و المستقبل وراء الاضطرابات النفسية، و أن تعديل أنماط التفكير هو هدف العلاج المعرفي السلوكي و هو يستند لعدة مبادئ و هي مساعدة المريض على التخلص من الأفكار المحرفة غير الملائمة و استبدالها بأخرى أكثر فعالية و منطقية و تصحيح المفاهيم الخاطئة المختلة وظيفيا .

و يهدف الإرشاد المعرفي السلوكي إلى إزالة الألم النفسي و ما يشعر به الفرد من ضيق و كرب و ذلك من خلال التعرف على المفاهيم و الإشارات الذاتية الخاطئة و تحديدها و العمل على تصحيحها و تعديلها استنادا إلى أن الإستجابات الانفعالية التي أتت بالعميل إلى الإرشاد تعد نتاج تفكيره الخاطئ ، لذا فإن تعديل السلوك يعتمد على تعديل الأفكار (8) .

و تبقى الأساليب المعرفية القائمة على الاتجاه المعرفي السلوكي من أهم الأساليب العلاجية المتبعة في الوقت الحاضر و المساهمة في رفع درجة تقدير الذات، و التي أثبتت مدى فعاليتها و نجد منها دراسة: " كندال " 1994 التي

اعتمدت على أثر برنامج معرفي سلوكي في علاج بعض الاضطرابات النفسية للأطفال، و قد بينت نتائج الدراسة مدى فعالية البرنامج في ارتفاع المفهوم الإيجابي للذات من خلال استخدام التقارير الذاتية، و تقارير المعلم، و ملاحظة الأبوين لسلوك الطفل .

و البرنامج الإرشادي المقترح حاليا قائم على الاتجاه المعرفي السلوكي و هو يركز على النظرية المعرفية لـ "بيك" حيث يعتبر أحد التيارات الإرشادية الحديثة التي تهتم بصفة أساسية بالمدخل المعرفي للاضطرابات الانفعالية، و يهدف هذا الأسلوب إلى إقناع الفرد أن معتقداته غير المنطقية و توقعاته، و أفكاره السلبية و عباراته الذاتية هي التي تحدث ردود الفعل الدالة على سوء التكيف، و ذلك بهدف تعديل الجوانب المعرفية المشوهة و يعمل على أن يحل محلها طرق أكثر ملاءمة للتفكير، و ذلك من أجل إحداث تغييرات معرفية و سلوكية و انفعالية لدى الفرد⁽⁰⁹⁾ .

لذا حاولنا تجسيد التقنيات المعرفية السلوكية التي تساعد المطلقة على تغيير طريقة التفكير و العمل على مناقشة المطلقات في كل ما يتعلق بالمشاكل التي تعرقل سير حياتهم .

و من خلال ما تقدم يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل التالي :

— هل للحصص الإرشادية دور في الرفع من درجة تقدير الذات للمطلقات ؟
فرضية الدراسة:

— يوجد فرق في درجات تقدير الذات للمطلقات قبل تطبيق الحصص الإرشادية و بعد تطبيقها مصطلحات الدراسة :

الإرشاد النفسي :

يعرف الإرشاد على أنه عملية تعليمية تساعد الفرد على فهم نفسه و جوانب شخصيته و تساعده على اتخاذ القرارات و حل المشكلات بدقة و موضوعية حتى يستطيع أن ينمو نموا شخصيا و اجتماعيا و تربويا و مهنيا، و يتم ذلك من خلال

علاقة إنسانية بينه و بين المرشد النفسي الذي يقوم بالعملية الإرشادية و صولا إلى تحقيق الغاية المرجوة ⁽¹⁰⁾ .

الإرشاد المعرفي السلوكي :

قدم " جلاس " و "شيا " 1986 تعريفا شاملا للإرشاد المعرفي السلوكي بأنه أحد التيارات الإرشادية الحديثة ، التي تهتم بصفة أساسية بالمدخل المعرفي للاضطرابات الانفعالية ، و يهدف هذا الأسلوب إلى إقناع الفرد أن معتقداته غير المنطقية، و توقعاته، و أفكاره السلبية و عباراته الذاتية هي التي تحدث ردود الفعل الدالة على سوء التكيف، و ذلك بهدف تعديل الجوانب المعرفية المشوهة و يعمل على أن يحل محلها طرق أكثر ملاءمة للتفكير، و ذلك من أجل إحداث تغييرات معرفية و سلوكية و انفعالية لدى الفرد ⁽⁰⁹⁾ .

البرنامج الإرشادي :

يعرفه "حامد زهران" 1980 بأنه برنامج منظم في ضوء أسس علمية لتقديم الخبرات الإرشادية المباشرة و غير المباشرة فرديا و جماعيا، الهدف منها مساعدتهم في تحقيق النمو السوي و القيام بالاختيار الواعي و المتعلق و لتحقيق التوافق النفسي، و يقوم بتخطيطه و تنفيذه لجنة و فريق من المسؤولين المؤهلين ⁽¹¹⁾ .

مفهوم الذات :

تعرف الذات في المجال النفسي بأنها تكوين ذهني منظم و مكتسب متعلم للمدركات الشعورية و التصورات المتصلة بالذات، فالذات فيها عناصر المعرفة المنظمة الشعورية للفرد عن نفسه، وهي أفكار الفرد الذاتية عن نفسه داخليا و خارجيا كما يتصورها هو أي (مفهوم الذات المدركة)، وتنمو عناصر تكوين الذات نموا تدريجيا في شعور الفرد بنفسه مع خبراته و أنماط سلوكه، و تصوراته الخاصة في عالمه الذاتي تبعا لإدراكه ⁽¹²⁾ .

أما كوبر سميث فيرى أن تقدير الذات هو الحكم على صلاحية الفرد معبرا عنها بواسطة الاتجاه الذي يكنه نحو ذاته، فهو خبرة ذاتية ينقلها للآخرين عن طريق التقارير اللفظية ، و يعبر عنها بالسلوك الظاهر ⁽⁰⁹⁾ .

الطلاق :

هو انهاء للعلاقات الزوجية بحكم الشرع و القانون و يترتب عليه إزالة ملك النكاح ⁽¹³⁾ . كما أنه فسخ عقد الزواج الذي وقعه كل من الرجل و المرأة بعد دخولهما الحياة الزوجية بغض النظر عن الشكل الذي تم به الطلاق ، فهو انهيار الوحدة الأسرية نتيجة لتفاهم الخلافات بين الزوجين بسبب من الأسباب ⁽⁶⁾ .

إجراءات الدراسة :

منهج الدراسة :

تستند الدراسة الحالية إلى المنهج شبه التجريبي لأنه يتناسب مع طبيعتها و ذلك لأنه يبحث في العلاقات السببية بين المتغيرات أو إقامة علاقة تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو المتغيرات، و لإقامة العلاقة بين السبب و النتيجة فإنه يقام بإجراء التجربة التي يتم من خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرات، و يسمى هذا المتغير بالمتغير المستقل، و هذه العملية تسمح بدراسة آثار المتغير المستقل في المتغير الذي يتلقى تأثيره و المسمى بالمتغير التابع.

و لتطبيق هذا المنهج لابد من إجراء اختبارين على عناصر التجريب يسمى أحدهما الاختبار القبلي لأنه يتم إدخال المتغير المستقل، ثم إجراء اختبار بعدي، و يتوقع أنه في حالة ما إذا كان للمتغير المستقل النتيجة المتوقعة فإن الاختبار البعدي يكون بالضرورة مختلفا عن الاختبار البعدي.

عينة الدراسة:

تم اختيار 08 نساء مطلقات ممن لديهن درجات منخفضة على مقياس تقدير الذات، كما حرصت الباحثة في اختيارها للعينة أن تكون مدة الطلاق بم تتجاوز السنة .

أدوات الدراسة :

اختبار تقدير الذات لـ "كوبر سميث" استعمل هذا المقياس أثناء الجلسات الإرشادية، بعد أن قدمت الباحثة محاضرة تخص تقدير الذات للتأكد من التقدير الحقيقي لدرجة كل حالة على المقياس التقييمي نحو الذات أي تقدير الذات، وقد قام بترجمة المقياس من اللغة الإنجليزية إلى العربية الباحثان " فاروق عبد الفتاح موسى و محمد أحمد دسوقي 1981 " (14).

البرنامج الإرشادي: هو مجموعة من الخطوات المحددة و المنظمة و التي تستند في أساسها على نظريات و فنيات و مبادئ الإرشاد النفسي، و تتضمن مجموعة من المعلومات و الخبرات و المهارات و الأنشطة المختلفة و التي تقدم للأفراد خلال فترة زمنية محددة بهدف مساعدتهم في تعديل سلوكهم و اكسابهم سلوكيات و مهارات جديدة تؤدي بهم إلى تحقيق التوافق النفسي و مساعدتهم في التغلب على المشكلات التي يعانونها في معترك الحياة (6).

عدد الجلسات :

بلغ عدد جلسات البرنامج 08 جلسات

الجلسة	01	02	03	04	05	06	07	08
الزمن	90 د	90 د	90 د	90 د	90 د	90 د	90 د	90 د

عدد الساعات :

عدد ساعات تطبيق البرنامج الإرشادي هو 12 ساعة .

التقنيات المستخدمة في البرنامج :

- ✓ فنية المحاضرة .
- ✓ فنية الحوار .
- ✓ فنية المناقشة .
- ✓ فنية إعادة البناء المعرفي .
- ✓ فنية لعب الدور .
- ✓ فنية التغذية الراجعة .
- ✓ فنية النمذجة .
- ✓ فنية استخراج الأفكار .
- ✓ فنية الواجبات المنزلية .
- ✓ فنية التعزيز .
- ✓ فنية إعادة البناء المعرفي لـ Beck
- ✓ فنية الإصغاء .
- ✓ فنية الإيضاح .
- ✓ فنية المراقبة الذاتية .

أهداف البرنامج الإرشادي : و تتمثل في :

- مساعدة المطلقة في الرفع من درجة تقديرها لذاتها.
- مساعدة المطلقة على التكيف مع حالتها الجديدة .
- مساعدة المطلقة على مواجهة صعوبات الحياة .
- مساعدة المطلقات على التفاعل فيما بينهن .

كيفية تنفيذ البرنامج الإرشادي :

طبقت الباحثة البرنامج بعد الحصول على موافقة المطلقات الحضور بانتظام للبرنامج. ورغم موافقة العديد من المطلقات إلا أنه لم تحضر بانتظام إلى ثمانية⁽⁸⁾ مطلقات .

وبعد موافقة هؤلاء المطلقات على البرنامج الإرشادي حددت الباحثة بعض النقاط الأساسية وهي كالآتي :

✓ لقاء بين الباحثة والمطلقات لتوضيح أهداف البرنامج وكيفية العمل أثناء تطبيقه.

✓ الاتفاق مع أعضاء الجماعة الإرشادية على أن تكون الجلسات بمعدل مرتين في الأسبوع.

✓ تم تحديد زمن الجلسة ب 90 دقيقة .

قررت الباحثة تطبيق البرنامج الإرشادي ضمن (8) جلسات إرشادية عملت من خلالها على توفير المناخ المناسب للمسترشدات ليعبرن عن أفكارهن، وكل ما يخطر ببالهن فيما يخص مشكلتهن .

كما قامت الباحثة بوضع ضوابط لسير الجلسات الإرشادية وهي كالتالي :

✓ العمل على توفير جو مناسب للجلسات يسوده التفاهم والهدوء، حيث يكاد يقترب جو الجماعة من الجو العائلي .

✓ تجلس كل عضوة من أعضاء الجماعة الإرشادية في المكان المحدد لعقد الجلسات، وتجلس معهم الباحثة في حد ذاتها .

✓ تبدأ الجلسات بإلقاء الباحثة للمحاضرة، حيث تبدأ الباحثة بعرض عنوانها الرئيسي وبعد ذلك تقوم بشرح ما صعب فهمه، وبعد ذلك تعطي الباحثة لأعضاء الجماعة الإرشادية الفرصة للمشاركة وطرح التساؤلات.

- ✓ بعد الانتهاء من إلقاء المحاضرة، تبدأ المناقشة الجماعية بين الباحثة وأعضاء الجماعة الإرشادية، وأحيانا يساعدها النموذج في إلقاء المحاضرات.
 - ✓ تعطي الباحثة الحرية التامة لأعضاء الجماعة الإرشادية في مناقشة آراء النموذج في حالة وجود صعوبات تتعلق بغموض الأفكار.
 - ✓ تركز الباحثة على اشتراك كل عضوة من أعضاء الجماعة الإرشادية في المناقشة والمشاركة، وذلك بتحفيزهم على التحدث وإعطاء وجهات نظرهم حول الموضوع المطروح .
 - ✓ وأخيرا تقوم الباحثة بإعطاء واجبا منزليا يتعلق بموضوع الجلسة الحالية كما يعتبر تمهيدا للجلسة الموالية وبعدها تعلن الباحثة عن نهاية الجلسة.
- كما هو موضح في الملحق(1) .

الأسلوب المستخدم في البرنامج الإرشادي :

اعتمدت الباحثة في البحث الحالي على أسلوب الإرشاد الجماعي حيث يركز هذا الأسلوب على التفاعل الجماعي للجماعة الإرشادية من خلال العمل الجماعي والمشاركة الجماعية، كما يساعد هذا الأسلوب من الإرشاد على التفاعل الدينامي بين أفراد الجماعة الإرشادية لتحقيق الهدف الذي نصبوا إليه، كما يتم الإرشاد الجماعي باستخدام أسلوب المحاضرة والمناقشة، حيث يلعب عنصر التعليم دورا هاما .

وأثناء قيام الباحثة بإعداد البرنامج الإرشادي من خلال إطلاعها على الكتب والدوريات والبرامج الإرشادية قامت بانتقاء مجموعة من المحاضرات السهلة الفهم وقد راعت الباحثة في ذلك مستوى أفراد العينة، وقد كانت المحاضرات عبارة عن نصوص مرتبطة بالموضوع الحالي وقد راعت الباحثة أثناء عرضها للمحاضرات ما يلي :

وضوح الأفكار الرئيسية.

الخصائص الاجتماعية والتربوية لأعضاء الجماعة الإرشادية كمايلي هذه المحاضرات مناقشة جماعية في جميع الجلسات الإرشادية.

وقد اختارت الباحثة أسلوب الإرشاد الجماعي لعدة أسباب تتمثل في :

✓ يشجع هذا الأسلوب أفراد الجماعة الإرشادية على الثقة بالنفس والقدرة على التعبير عن المشاكل الخاصة المتعلقة بطلاقهن .

✓ إعطاء الفرصة لكل عضوة من الأعضاء في إبداء رأيها ومساعدة الآخرين في إيجاد حلول لمشاكلها، ومن ثم تشعر كل عضوة بأن لها أهمية في الجماعة الإرشادية.

✓ يشجع هذا الأسلوب على تنمية الفكر الجماعي إلى جانب تنمية القدرة على النقد والقدرة على المواجهة وهذا ما يؤدي بدوره إلى ظهور أفكار جديدة.

الأساليب الإحصائية :

تم تحليل نتائج هذه الدراسة بواسطة برنامج الحزم الإحصائية في مجال العلوم الاجتماعية (Spss) حيث تم استخدام اختبار (ت) T test للعينة الواحدة، (لمعرفة دلالة الفروق بين درجات الاختبار القبلي و الاختبار البعدي لعينة الدراسة).

عرض و مناقشة النتائج :

لقد بينت نتائج الدراسة ما يلي:

جدول رقم (1) يوضح الفروق بين القياس القبلي و القياس البعدي لتقدير الذات

المجموعة التجريبية	حجم العينة	متوسطات الدرجات	الإنحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة

			على مقياس تقدير الذات		
لها دلالة		9.78	34.5	08	القياس القبلي
عند 0.01	18.18	9.54	65.5	08	القياس البعدي

من خلال الجدول (1) نجد أن قيمة (ت) للفروق بين متوسطات درجات نتائج الإختبار القبلي و الإختبار البعدي لعينة الدراسة تساوي (18.18) و هي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى (0.01) مما يعني وجود فروق في درجة تقدير الذات لدى المطلقات لصالح الاختبار البعدي حيث بلغ متوسطه (65.5) و بلغ متوسط الاختبار القبلي (34.5) و هذا ما يؤكد أن للجلسات الإرشادية دور كبير في رفع درجة تقدير الذات لدى المطلقات .

و هذه النتائج تؤكد صحة فرضية الدراسة الحالية التي تشير أن هناك فرق في درجات تقدير الذات قبل تطبيق الحصوص الإرشادية و بعد تطبيقها، و تعزى هذه الفروق للجلسات الإرشادية و مختلف تقنياتها المعرفية السلوكية، وهذا ما يدل على أن درجات تقدير الذات قد ارتفعت و ذلك من خلال التحسن الذي لوحظ بعد إجراء القياس البعدي، مما يؤكد قابلية النساء المطلقات الذين يعانون من انخفاض في درجة تقدير الذات لتحسين مفهوم الذات لديهم و ذلك باستعمال مختلف التقنيات الإرشادية المعرفية السلوكية في الجلسات الإرشادية .

و هذا ما أكدته دراسة " السيسي " بعنوان " استخدام العلاج العقلاني لتنمية تقدير الذات لدى الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية " و دراسة " بريدنباش " Breidenbach (1978) عن فاعلية العلاج النفسي السلوكي الجماعي في تحسين مفهوم الذات و تأكيد الأنا لدى المراهقين، و مدى اختلاف الذكور و الإناث في ذلك، و دراسة " حافظ حسين " (1990) عن أثر العلاج

الجماعي في ازدياد تأكيد الذات و تقديرها، و انخفاض الشعور بالذنب و انعدام الطمأنينة لدى جماعة من طلاب الجامعة، و دراسة المساعيد (2004) من بناء برنامج إرشاد جمعي لزيادة تقدير الذات لدى عينة من ذوي الإحتياجات الخاصة حركيا في جمعية النهضة للمعاقين حركيا و التحديات الحركية، و كذلك دراسة "مانويل Manuel" (1982) عن المقارنة بين فاعلية التدريب التوكيدي الجماعي والعلاج الجماعي بأسلوب المحاضرة و المناقشة و أيهما أكثر فاعلية في زيادة تقدير الذات، و إنقاص القلق و الاكتئاب و العدوان .

حيث أكدت هذه الدراسات على وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد المجموعة في القياسين (القبلي – البعدي). و يمكن تفسير هذه النتيجة أي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد المجموعة في القياسين (القبلي – البعدي) إلى الفنيات المستخدمة في البرنامج الإرشادي مثل: فنية التعزيز حيث يعد التعزيز من أكثر الفنيات الإرشادية استخداما و تأثيرا على السلوك، و يعد من مبادئ تعديل السلوك لأنه يعمل على تقوية النتائج المرغوبة لذا يطلق عليه اسم مبدأ الثواب أو التعزيز، فإذا كان حدث ما (نتيجة) يعقب إتمام استجابة (سلوك) يزداد احتمال حدوث الاستجابة مرة أخرى و يسمى هذا الحدث اللاحق معزز أو مدعم .

و فنية التغذية الراجعة حيث تشير دراسة " روبنسون " Robinsons 1993 إلى ضرورة استعمال هذه التقنية لما لها من أهمية بالغة في جلسات الإرشاد، حيث أنها ساعدت المطلقات على تقييم قدراتهن بطريقة جديدة، و هذا ما يسهل تنبؤهن بمهامهن المستقبلية، كما عملت على تصحيح أخطائهن و المتمثلة في عدم معرفتهن لقدراتهن و ما هي الطريقة الصحيحة التي تمكنهن من استغلالها.

و عن دور التغذية الراجعة في تقدير الذات يؤكد " روبنسون " أن الناس مدفوعون لقياس أنفسهم طبقا لمستويات أخرى. كما يشير إلى أن إحدى طرق التطور الذاتي الإيجابي هي البحث عن التغذية الراجعة التي تتضمن الصورة

الإيجابية للنفس، فمن خلال تقنية التغذية الراجعة يتحقق التواصل الجيد للجلسة الإرشادية .

كما أشارت دراسة " محمد سعفان " 2001 إلى أن التغذية الراجعة تهدف إلى تدعيم و تثبيت الأفكار و السلوكيات المرغوبة، و تقديم تفسير لصحة أو عدم صحة الأفكار و السلوكات، و إعطاء بدائل مرغوبة للأفكار و السلوكات غير المرغوبة. و هذا ما التمسته المرشدة خلال الجلسات الإرشادية حيث لاحظت تغييرا في الأفكار التي كانت تحملها المسترشدات منذ الحصة الأولى من الإرشاد،

و هذا ما بينته نتائج مقياس تقدير الذات ، حيث ارتفعت نسبة تقدير ذواتهن بشكل ملحوظ. كما لاحظت الباحثة أن تطبيق تقنية النمذجة وجد صدى كبيرا من طرف المطلقات، حيث أن الإقتداء بالنموذج يساعد في عملية التعلم، وهذا ما أشار إليه " باندورا " حيث أن معظم السلوكات يتم اكتسابها من خلال ملاحظة الآخرين، و مطابقة سلوكهم بسلوك النموذج، و هذه الفرضية تعتبر مركزية في نظر" باندورا " فكثيرا ما تعلمه الإنسان يحدث من خلال ملاحظته لسلوك نموذج ما. و مراقبة ما يترتب على ذلك السلوك من نتائج، و هذا ما لاحظته الباحثة من خلال تطبيقها لتقنية النمذجة، حيث لقيت استحسانا ظاهرا من طرف الأعضاء، و كذا أخذهم بآراء النموذج و نصائحه .

أما بالنسبة لتقنية المناقشة الجماعية حيث تضمنت التبادل اللفظي بين المطلقات، فقد أفادت الباحثة بصفة كبيرة، حيث تم من خلالها التعرف على أفكار المسترشدات، و هذا ما ساعدها على استخدام التقنية في إعادة البناء المعرفي، التي تعتمد على معرفة الأفكار الخاطئة و استخراجها، ثم العمل على توضيحها للمسترشد و بعدها تغييرها.

و تقنية الواجبات المنزلية التي طبقت في الدراسة الحالية كان الهدف منها تحديد بعض الأفكار الخاصة بكل مسترشدة فيما يخص كل جلسة، و أحيانا كانت المرشدة تقوم بطرح أسئلة هادفة من خلال معرفة طريقة تفكير كل مسترشدة، و

هذا ما يسهل لها عملية استخراج الأفكار، والعمل على توضيح الخاطئة منها، و بعد ذلك تصحيحها، مستعملة ذلك بمشاركة المسترشدات أنفسهن.

و هذا ما أكدته دراسة " زينب محمود شقير " 2002 معتبرة أن الواجبات المنزلية تعتبر كتمهيد للحصص الموالية ، و هذا ما قامت به المرشدة .

كم تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات كل من " حتر " 2005 عن الكشف عن فاعلية برنامج تدريبي منظم في الدراما العلاجية على مفهوم الذات لدى الأطفال، و دراسة " أبوعطية " 2004 عن فاعلية برنامج إرشادي جمعي لتحسين مفهوم الذات و التوافق النفسي لدى الأطفال المساء إليهم، ودراسة "ودت " 1984 عن تأثير البرنامج النفسي على مفهوم الذات و تقدير الذات لدى طلبة المرحلة المتوسطة .

كما يمكننا القول أن المجموعة التجريبية قد تميزت باستخدام التعليمات الذاتية، و بالتالي عدلت من أفكارهن السلبية و استبدلتها بأفكار أكثر إيجابية، حيث تعلمت المجموعة التجريبية من خلال الأحاديث الذاتية الإيجابية السيطرة و التحكم في سلوكياتها. و هذا ما ساعد أفراد المجموعة التجريبية في رفع درجة تقدير الذات.

خاتمة :

إن تزايد نسبة الطلاق في السنوات الأخيرة أمر يجب أن لا يستهان به، حيث يجب الالتفات إلى موضوع الطلاق لا من أجل تقديم إحصائيات تبين نسبة انتشاره (كما تجدر الإشارة أن النسب المقدمة ليست دقيقة لحد ما لأنه يوجد الكثير من الحالات غير المعلن عليها) و لكن يجب التقرب من المعنيين به، و معرفة مخلفاته، و ما يحدثه من أضرار بليغة في نفسية أطرافه بالدرجة الأولى. و بالمجتمع بصفة عامة .

فالطلاق يخلف أضرارا بليغة خاصة إذا حدث بطريقة تعسفية، و لم يكن في الحسبان، كما أن نظرة المجتمع في حد ذاتها تظلم بدرجة كبيرة المرأة المطلقة، فالكل يرجع سبب الطلاق إلى المرأة و عدم تحملها مسؤولية الزواج. و هذا بدوره ما يجعل المطلقة ترى أن الكل ضدها، و هذا ما يزيد نسبة توترها و قلقها و قلة تقديرها لذاتها، فبعدها كانت المرأة تعيش في ظل أسرة قد كونتها بنفسها خاصة إذا كان لديها أولاد، تجد نفسها وحيدة أو مع أطفالها بين عشية و ضحاها، و منهارة جراء تفكك بيتها الأسري .

لذا فهي بحاجة ماسة لتقديم يد العون لها، و مسانبتها على تحطيم أزمته خاصة بعد حدوث الطلاق بفترات زمنية وجيزة، لأنها أصعب مرحلة تمر بها المرأة بعد حدوث الطلاق، حيث تكون المطلقة في أمس الحاجة إلى المساعدة ، كما يعتبر الإرشاد النفسي الجماعي من أهم الوسائل الفعالة لمساعدة المرأة في الرفع من درجة تقديرها لذاتها ضمن جلساته ، حيث يتم من خلاله التعبير عن كل ما يتعلق بموضوع الطلاق .

و من خلاله تجد المطلقة أنها ليست الوحيدة، بل هناك عدة حالات مشابهة لها ، و من خلال الجلسات الإرشادية تكتشف كل مطلقة درجة حالتها مقارنة مع الأخريات، و تشعر بأنها أحسن من الكثيرين، و هذا ما يساعدها على تقبل الوضع. كما أن الإرشاد النفسي يمكن المطلقة من اكتساب مهارات عديدة من

خلال التقنيات المعرفية السلوكية و هذا ما يساعدها في الرفع من درجة تقديرها لذاتها من خلال تغيير طريقة تفكيرها و هذا ما التمسناه من خلال قيامنا بالبحث الحالي .

❖ هوامش البحث:

- (1) سورة الروم الآية 21 .
- (2) سليمة رويينة: تصميم برنامج إرشادي معرفي سلوكي يهدف لتخفيف درجة الإكتئاب لدى المطلقات، 2010، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ص 08.
- (3) عديلة حسن طاهر تونسي: القلق و الاكتئاب لدى عينة من المطلقات و غير المطلقات في مدينة مكة المكرمة، 2010، رسالة ماجستير غير منشورة في الإرشاد النفسي ص 02 .
- (4) فادية كامل حمامة: الاغتراب النفسي و تقدير الذات لدى خريجات الجامعة العاملات و العاطلات عن العمل، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية و النفسية، المجلد الثاني، العدد 2، 2010، ص 81
- (5) الحسين الدريني: قياس تقدير الذات في البيئة القطرية، بحوث و دراسات في الإتجاهات و الميول النفسية، 1983، المجلد السابع، الجزء الثاني، ص 484.
- (6) سليمة رويينة: فعالية برنامج إرشادي معرفي سلوكي يهدف لرفع درجة تقدير الذات و خفض درجة القلق لدى الأطفال المتدمرسين (الناجم عن طلاق الوالدين)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجزائر، 2015، ص6.
- (7) عادل عبد الله محمد : العلاج المعرفي السلوكي، دار الرشد، مصر، 2000، ص 21.
- (8) خالد محمد عسل: العلاج المعرفي السلوكي للنمط (أ) دار الوفاء لدينا للطباعة و النشر، 2008، الإسكندرية ص 76 .
- (9) أنسام مصطفى السيد بظاظو: برنامج علاجي لتخفيف اكتئاب ما بعد صدمتي الوفاة و الطلاق لدى الأطفال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2013، ص:134.
- (10) علي محمود كاظم الجبوري و كريم فخري هلال الجبوري: الصحة النفسية علما تطبيقيا، 2014، دار الرضوان للنشر و التوزيع، عمان، ص 154 .
- (11) حامد زهران: التوجيه و الإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1980.
- (12) عبد الحميد محمد الهاشمي: التوجيه والإرشاد النفسي، دار مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2008، ص 49.

(13) مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة، بيروت، 1980، ص 235.

(14) ليلي عبد الحميد: مقياس تقدير الذات للكبار و الصغار، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.

ملحق (1) : ملخص جلسات البرنامج الإرشادي

قامت الباحثة بإعداد ملخص يتضمن موضوع و أهداف كل جلسة و التقنيات المستخدمة كما هو موضح في الجدول التالي

جدول (1) يوضح جلسات البرنامج الإرشادي المقترح (إعداد الباحثة)

رقم الجلسة	عنوان الجلسة	أهداف الجلسة	التقنيات المستخدمة	محتوى الجلسة
01	التعارف و بناء العلاقة الإرشادية	— إزالة الغموض و الخجل بين الباحثة و أعضاء الجماعة الإرشادية . — التعريف بمضمون البرنامج الإرشادي . إتاحة فرصة للتعارف و نزع الأقنعة .	— الحوار و المناقشة — استخراج الأفكار — الواجب المنزلي	— شرح طريقة العمل أثناء الجلسات . — عرض كل حالة لقصتها باختصار مركزة على سبب طلاقها . — ترك المرشدة المجال مفتوح للمناقشة . — إعطاء واجب منزلي متمثلا في انطباع المسترشدات حول الجلسة الإرشادية
02	زيادة التعارف بين أعضاء الجماعة	— زيادة اندماج أعضاء الجماعة	— المناقشة و الحوار	— مناقشة الواجب المنزلي

<p>– مواصلة عرض باقي المسترشدات لحالتهن – مناقشة الأفكار - استخراج الأفكار التي تدور بذهن المسترشدات . – مقارنة الأفكار المطروحة في الجلستين . – القيام بواجب منزلي ممثلا في الإجابة عن السؤال التالي : كيف تنظر كل واحدة إلى ذاتها بعد حدوث الطلاق ؟</p>	<p>– استخراج الأفكار – الواجب المنزلي</p>	<p>الإرشادية – زيادة التقارب بين الأعضاء</p>	<p>الإرشادية</p>
<p>– مناقشة الواجب المنزلي – قياس متغير تقدير الذات لدى كل مسترشدة باستخدام مقياس كوبر سميث</p>	<p>– المحاضرة و المناقشة – التغذية الراجعة</p>	<p>– استخراج أفكار المسترشدات المتعلقة بمفهومهن لذواتهن</p>	<p>03 معرفة درجة تقدير الذات لدى المسترشدات</p>
<p>– العمل على رفع تقدير ذات</p>	<p>– المحاضرة و المناقشة</p>	<p>– الفهم الحقيقي لمعنى الذات</p>	<p>04 تقديم محاضرة حول مفهوم الذات</p>

<p>المسترشدات - تغيير مفهوم الذات السلبية و استبدالها بالذات الإيجابية - القيام بواجب منزلي ممثلاً في كتابة فقرة تتحدث فيها كل مسترشدة عن رؤيتها للمحيط الاجتماعي</p>	<p>- استخراج الأفكار السلبية الخاصة بتقدير الذات</p>	<p>- ربط ما تم عرضه في الحصة الحالية و الأفكار المطروحة في الحصة السابقة</p>	
<p>- مراجعة الواجب المنزلي - شرح ما المقصود بالمحيط الاجتماعي - فصل الأفكار الخاطئة وتصحيحها - طرح أسئلة مباشرة بغية استخراج الأفكار الداخلية الذاتية - القيام بواجب منزلي ممثلاً في كتابة فقرة تتحدث فيها كل مسترشدة عن رأيها حول الجلسات السابقة</p>	<p>- الواجب المنزلي - المحاضرة و المناقشة - استخراج الأفكار الخاطئة - المراقبة الذاتية</p>	<p>- استخراج الأفكار السلبية الخاصة بالمحيط الاجتماعي - تحديد علاقات المسترشدات من خلال طرح أسئلة لحصر حجم العلاقات الاجتماعية و هل حدث فيها تغيير بعد الطلاق</p>	<p>05 نظرة المسترشدات إلى المحيط الاجتماعي و علاقتهم الاجتماعية</p>

<p>مراجعة — الواجب المنزلي — استعمال مقياس تقدير الذات للمرة الثانية لمعرفة مدى التغيير الذي طرأ على المسترشدات و تقدير الفروق بين القياسين . — تحديد الأفكار الخاصة بكل ما يتعلق بالمستقبل — العمل على تصحيح الأفكار السلبية و تعويضها بالإيجابية — القيام بواجب منزلي متمثلا في إبداء رأي كل مسترشدة في اقتراح المرشدة للنموذج و ما مدى استفادتهن منه</p>	<p>— الواجب المنزلي — النمذجة — التعزيز اللفظي للنموذج</p>	<p>— نزع النظرة التشاؤمية للمستقبل و تغييرها بالتفاؤلية — تعديل الأفكار الخاطئة و تعويضها بأخرى صحيحة — التفكير في مشاريع تخص العمل و الدراسة لبعض المسترشدات — التفكير في بناء حياة جديدة</p>	<p>نظرة المسترشدات إلى المستقبل</p>	<p>06</p>
<p>— فصل الأفكار الخاطئة عن الصحيحة — تصحيح الأفكار</p>	<p>— الواجب المنزلي — التعزيز — تقنية إعادة</p>	<p>— معرفة الأفكار التي بادرت ذهن المسترشدة بعد حدوث الطلاق</p>	<p>القيام بتمثيلية بين مسترشدتين إحداهما تمثل دور الزوج و الأخرى</p>	<p>07</p>

<p>الخاطئة - القيام بواجب منزلي متمثلاً في كتابة فقرة تصف فيها كل مسترشدة التغيير الذي طرأ عليها منذ بداية الحصص الإرشادية حتى هذه الجلسة</p>	<p>البناء المعرفي لـ Beck</p>	<p>— معرفة آراء باقي المسترشدات حول التمثيلية</p>	<p>دور الزوجة</p>	
<p>— مراجعة الواجب المنزلي — معرفة آراء المسترشدات حول الحالة — مناقشة الأفكار مع المسترشدات — ملخص لكل الجلسات</p>	<p>— الواجب المنزلي</p>	<p>— الاستفادة من عرض الحالة — تغيير نظرة المسترشدات فيما يخص الأفكار السلبية المتعلقة بمستقبل أطفالهن</p>	<p>الاستفادة من قصة امرأة مطلقة</p>	<p>08</p>

العلاقات الزوجية المضطربة كما يدركها الأبناء
و علاقتها بصحتهم النفسية.
دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعين بولاية سطيف

الدكتورة: شريفة بن غنفة، جامعة سطيف2، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى تأثير العلاقات الزوجية المضطربة للوالدين على الصحة النفسية للأبناء، وكذا عن إمكانية وجود أعراض لاضطرابات سيكولوجية وحتى جسمية التي تظهر على الأبناء جراء طريقة إدراكهم للعلاقات المضطربة بين أوليائهم.

Abstract:

This study aims to detect the impact of trouble marital relations of parents on the mental health of sons. As well as the possibility of the presence of symptoms of psychological disorders and even physical, which appear on the sons by the way they perception the relationships between their parents.

تعتبر العلاقات الزوجية المضطربة من المسائل المهمة التي أهتم، و يهتم بها العلماء باعتبارها من العوامل الأساسية في حدوث التفكك الأسري، هذا الأخير الذي عمق الحالة النفسية و عقد الظاهرة الاجتماعية لكل من الفرد و المجتمع، من حيث أن له دور كبير في المشاكل الصحية النفسية التي يعاني منها الأفراد و المجتمعات على حد سواء، فثمة العديد من الأبناء المضطربين و غير السعداء و ذلك بسبب أن بنية أسرهم مضطربة و علاقاتهم مع آبائهم مشوشة و غير واضحة، الأمر الذي يجعلهم يعيشون حياتهم محملين بمشاعر القلق و الارتباك و عدم الإحساس بالأمان، و أحيانا الشعور بالذنب.

لقد تعددت الدراسات التي اهتمت بالتعرف على أسباب و كشف حقيقة ظاهرة اضطرابات العلاقات الزوجية منها النفسية و الاجتماعية؛ و تكاد تجمع أغلبها أن تضافر العوامل المختلفة سواء كانت الاقتصادية أو الاجتماعية، الصحية أو النفسية؛ و بجانبيها السلبي أو الإيجابي، هي من يزيد من حدة تعقد المسائل أو سهولة فهمها و حلها. و طبعاً لا يتأتى هذا إلا بمحاولة الإجابة على عدة تساؤلات مهمة منها: كيف يدرك الأبناء اضطراب العلاقة بين الوالدين؟ وهل يؤثر ذلك على صحتهم النفسية و الجسمية، خاصة من حيث ظهور بعض أعراض القلق العصبي و الأعراض الاكتئابية؟

على اعتبار أن الأبناء هم من سيُكون الأسرة المستقبلية، يجب على الأقل أن يكونوا قادرين على تقمص الخصائص الصحية للأسرة النموذجية، وهذا في ظل توفر علاقات زوجية سليمة بين الأزواج أو على الأقل ليست مضطربة بشكل دائم. فالصحة النفسية التي يتمتع بها الأبناء تعتبر من المعايير الأساسية في تحديد مستويات اضطراب العلاقات الزوجية خصوصاً و الأسرية عموماً. لهذا أصبح من اللازم الاهتمام بهذا الجانب بشكل عملي و فعال، و خاصة لدى المراهقين، وهنا تبرز مشكلة الدراسة التي تحاول الإجابة عن التساؤلات التالية:

*هل توجد علاقة بين اضطرابات العلاقات الزوجية كما يدركها أفراد العينة و صحتهم النفسية.

*هل تظهر لدى أفراد العينة أعراض القلق العصابي في ظل اضطرابات علائقية بين الوالدين.

*هل تظهر لدى أفراد العينة أعراض اكتئابية في ظل اضطرابات علائقية بين الوالدين.

*هل تظهر لدى أفراد العينة أعراض اضطرابات عاطفية في ظل اضطرابات علائقية بين الوالدين.

أولاً: فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين درجات إدراك أفراد العينة للاضطرابات الزوجية و درجات صحتهم النفسية عند مستوى دلالة 0.05

الفرضيات الجزئية:

✓ اضطراب العلاقات الزوجية بين الوالدين يؤدي إلى ظهور أعراض القلق العصابي لدى أفراد العينة.

✓ اضطراب العلاقات الزوجية بين الوالدين يؤدي إلى ظهور أعراض اكتئابية لدى أفراد العينة.

✓ اضطراب العلاقات الزوجية بين الوالدين يؤدي إلى ظهور اضطرابات عاطفية لدى أفراد العينة.

✓ اضطراب العلاقات الزوجية بين الوالدين يؤدي إلى ظهور أمراض جسمية لدى أفراد العينة.

ثانياً: أهمية الموضوع:

من المتفق عليه أن العصر الذي نعيش فيه، عصر الضغوطات و الأزمات الاقتصادية و الحضارية، السياسية، العسكرية و حتى التكنولوجية. و هذا ما ينعكس على الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع، و التي أصبحت تتميز بالصراعات المستمرة بسبب تدني مستوى المعيشة، أين يشعر الزوجان أنهما غير قادران على تلبية حاجياتهم و من ثمة حاجيات أبنائهم، و غير قادران على تحمل مسؤولية تربية أبنائهم، و يشكون من المظاهر التي تؤثر عليهم و التكنولوجيا التي أصبحت تشاركهم في تربية و غرس القيم (الطيبة و الحبيثة) و المفاهيم لدى أبنائهم.

ناهيك عن مسألة خروج الأم للعمل و ترك الأبناء في الحضانة أو عند الأم البديلة، و الشجارات المستمرة حول من يتحمل مسؤولية البيت مادياً، و يراقب سلوكيات الأطفال و يتابعهم دراسياً، و غيرها من المشكلات التي تكاد تصبح من يوميات الأسرة الجزائرية.

ما يُعقد المشكلة أكثر هو أن كل هذه الأمور تحدث أمام مرأى الأبناء الذين أكيد؛ سيدركون هذه المواقف بشكل سلبي و يفسرونها عدة تفسيرات: كالرفض من طرف الوالدين، أو ضعف قدرتهم على تحمل المسؤولية، أو أنهم عبي على أبائهم، و ربما يشعرون بالدونية و عدم الاهتمام و التقدير، فيفكرون في الهروب، أو يستثمرون هذه الاضطرابات بطريقة سلبية تعود بالسوء على صحتهم النفسية و الجسمية.

و قد أثبتت الدراسات السيكولوجية " العلاقة الوطيدة بين النواحي البدنية و النواحي النفسية. فالشخص الذي يعيش حياة مملوءة بالإحباطات و التوترات، نتيجة لذلك فهو يعاني من الاضطرابات النفسية و الانفعالية. و تؤدي هذه الحالة عادة إلى الأمراض البدنية. و من دون شك أنه هناك عددا من

الأمراض الجسدية التي يعود سببها إلى القلق الشديد الذي يعاني منه الشخص في حياته اليومية⁽¹⁾.

منها خاصة السكري، و ضغط الدم، و اضطرابات الدرقية و السرطان و غيرها من الأمراض التي لم يكن ليصاب بها المراهقون وصغار السن لولا الضغوط النفسية والمشاكل الأسرية التي يعانون منها جراء سوء العلاقات الزوجية بين أوليائهم، خاصة إذا ما توفرت العوامل الوراثية.

" و قد توافرت الأدلة على أن الأمراض الجسدية المزمنة و الحادة تنتج عن الاستجابات النفسية غير السوية و ما تحدثه من التغيير الواضح في الصفحة النفسية و الاجتماعية للمريض العضوي. و أن هناك تأثير لهذه الأمراض على عوامل الشخصية مثل سوء التوافق و الغضب و العزلة و تحقير الذات و تشويه صورة الجسم، علاوة على الجوانب الاجتماعية التي تتمثل في طلب الحماية المفرطة و الانكالية الزائدة و طلب الرعاية و الانزواء"⁽²⁾.

كما أن الصحة النفسية أصبحت من الأعمدة الأساسية لنجاح مشاريع التنمية البشرية. وقد أصبح الملف الصحي يثقل كاهل الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء، حيث يحتل نصيب الثروة الوطنية المخصصة لتمويل الصحة 8.8٪ من الإنتاج الداخلي الخام، وفي الولايات المتحدة تخصص نسبة 14.2٪، وتأتي ألمانيا في المرتبة الأولى بنسبة 14.4٪ وقد زادت هذه النسب ب 2.9٪ سنة 1996⁽³⁾.

فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة للدول المتقدمة، فكيف بمن هي عاجزة عن الوصول إلى هذا المستوى من الرعاية الصحية؟

إن عملية الربط بين الصحة النفسية ونوعية الحياة التي يعيشها الفرد لا يمكن أن تُفتعل بل هي واقع يفرض نفسه. خاصة إذا ما نظرنا إلى التغيرات الحاصلة على جميع الأصعدة والتي أثرت على نوعية الحياة التي نعيشها. وبالتالي هذا التغيير يؤثر بدوره على صحتنا النفسية باعتبارها ردة فعل طبيعية. و أخيرا فإن

زيادة نسب الطلاق و التي مردها عدم التوافق الزوجي موضوع لجدير بالدراسة، خاصة بزيادة انحراف الأحداث و الإجرام و العنف و حتى محاولات الانتحار التي يقوم بها الأبناء جراء عدم تحملهم للمشاكل التي يعيشونها يوميا داخل الأسرة وقد يكون هذا من الأسباب التي تفسر لنا تدهور الحالة الصحية أو تؤكد على الأقل إمكانية وجود علاقة قوية بين الصحة النفسية و درجة اضطراب العلاقات الزوجية و الأسرية. و يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. العلاقة المتبادلة بين الصحة النفسية لأفراد العينة والبيئة المضطربة التي يعيشون فيها.
2. تدهور دور الوالدين في رعاية الأبناء و الاهتمام فقط بمشاكلهم الخاصة.
3. عدم مراعاة الوالدين لنفسية و صحة الأبناء من خلال المشاكل اليومية و المستمرة.
4. زيادة نسبة الطلاق بين الأزواج.
5. زيادة الانحرافات و الأمراض السيكولوجية و الجسدية لدى الأبناء و المراهقين.

ثالثا: أهداف الدراسة: تتلخص أهداف هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. يعتبر الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو قياس درجة الارتباط بين درجات اضطرابات العلاقات الزوجية و درجات الصحة النفسية للأبناء.
2. معرفة أنواع الاضطرابات السيكولوجية و الأمراض الجسمية التي يعاني منها الأبناء جراء اضطرابات العلاقات الزوجية بين الآباء.
3. لفت انتباه الأولياء بأن الأبناء يدركون تماما ما يحدث بين الآباء و أن هذا يؤثر في صحتهم النفسية وبالتالي الجسمية.
4. تأكيد على أهمية الاهتمام و ضرورة الانتباه إلى أن الأبناء يحتاجون إلى رعاية خاصة من طرف الآباء خاصة بعدم إقحامهم في مشاكلهم الخاصة.

رابعا: تحديد المصطلحات الرئيسية في الدراسة:

أهم المصطلحات المستخدمة في هذا البحث هي كالآتي:

الصحة النفسية: " تعرف الصحة النفسية على أنها القدرة على التعامل مع مطالب الحياة اليومية دون أن يرهق الشخص نفسه، أو أن يبذل من طاقته أكثر مما يستطيع، أو ما يتطلب الموقف، و من ثمة يشعر بأنه كفاء للمواقف المختلفة ويستطيع أن يتعامل معها بإيجابية وبانتظام، وأن يفكر بوضوح، ويسيطر على انفعالاته، وفي بالتزاماته ويستمتع بالحياة، وتكون له مع أغلب الناس في محيطه علاقات سوية، ومن ثمة يحس بسلام داخلي، ويرضى عن نفسه ويعيش في وفاق معها. ويتبين مما سبق أن الصحة النفسية كالصحة الجسمية لها مقوماتها التي تنهض عليها وهي مقومات بيولوجية (الصحة الجسمية)، ونفسية (التربية والتدريب) واجتماعية (الوعي والثقيف) (4).

" و يعرف والتر ميشال Walter Mischel لصحة النفسية على أنها: مدى قدرة الفرد على إدراك ذاته و قدراته، و مدى قدرته على تقبل ذاته كما هي القدرة على تحمل مسؤولية ذاته، وعدم تزييفه لمشاعره الحقيقية كما أنه لا ينخدع بالتوقعات الخيالية (5).

(1) فالصحة ليست مجرد صفة تطلق على من لا يعاني من مرض معين، بل هي عملية ديناميكية يمكن للفرد أن يتحكم فيها نسبيا من خلال قناعاته و سلوكياته و إدراكه لذاته و محيطه، و يمكن الاستدلال عليها من خلال مظاهر الشعور بالأمن أو الراحة أو من خلال الرضا الوظيفي أو النجاح الدراسي ، وكذا يمكن قياسها من خلال صحة البيئة الأسرية التي يعيش فيها الفرد و درجة التفاهم بين أفراد هذه الأسرة.

العلاقات الزوجية المضطربة: هناك منظورين أساسيين حول الاضطراب الزوجي:

المنظور الأول: يفترض العوامل داخل الشخصية Interpersonnel كأسباب للتوافق، و هو شائع عند المحللين النفسانيين و نظرية السمات حيث سمات شخصية كل طرف من طرفي الزواج تجمع لتؤدي للتوافق أو التنافر، و تعتبر العصائية من السمات الشخصية التي تبين أنها من أكثر السمات ارتباطا بالاستقرار الزواجي.

المنظور الثاني: يهتم بالعلاقات بين الأشخاص و هو واسع الانتشار بين السلوكيين، حيث ينظر للعلاقات الزوجية المضطربة على أنها خلل وظيفي في تبادل السلوكيات interpersonal و التي تتميز بنسبة عالية من العقوبات مقارنة بالمكافآت كما ينظر إلى الأزواج الذين يعانون من التوتر الزواجي بأنهم يفتقرون إلى المهارات الاجتماعية الأساسية و أنهم يميلون إلى الاستجابة و تبادل السلوك السلبي للقرين.

هذان المنظوران حول التوافق الزواجي ليسا متناقضين، فقد يكون المنظور الثاني وصفا للعمليات التي يعمل بها المنظور الأول. فالمستوى العالي من العصائية من طرف أحد الزوجين أو كليهما قد يؤدي إلى خلل وظيفي في التبادل السلوكي الملاحظ عند الأزواج المتوترين. من الواضح أن هناك عوامل أخرى شخصية أو موقفية قد تدخل في تطور التوتر الزواجي. حيث يستعمل الأزواج المتوترون تقنيات ضبط أكثر قسرية و يقومون بتفسيرات خاطئة في الاتصال مقارنة بغير المتوترين⁽⁶⁾.

ك إدراك الأبناء للاضطرابات الزوجية:

إذا نشأ الفرد في " أسرة عاجزة عن تحقيق التوافق، يتكون لديه اتجاه سالب نحو الأسرة، كثيرا ما يتعرض للمتاعب النفسية و الشعور بعدم الثقة. لذلك كان لاتجاهات الوالدين نحو أطفالهما و شعورهم بالعطف والحنو و المحبة، و إدراك الأولاد لذلك أثرا في تدعيم أسس الصحة النفسية و في تكوين شخصيتهم، و على العكس من ذلك الأولاد الذين يشعرون بعدم المرغوبية يؤثر ذلك تأثيرا

سالبا على صحتهم النفسية، و يؤدي إلى سوء التوافق النفسي، و يمكن أن يؤثر سلوك الوالدين تجاه أولادهم في تحديد سلوك الأولاد ذاته، بحيث يتشرب هؤلاء الأولاد نماذج سلوكية حية من الوالدين"⁽⁷⁾.

*-الإطار المرجعي للدراسة:

1. تعريف الأسرة:

الأسرة "عبارة عن تجمع اجتماعي متغير بسبب الضغط الذي يمارس عليه من الخارج و الداخل و لذلك فإن العائلة تغير شكلها، وبنيتها، و تتكيف بهذا القدر أو ذاك، مع المستجدات و المتغيرات التي تطرأ عليها أثناء تطورها، فهناك أحداث و متغيرات من شأنها أن تمارس تأثيرا عميقا على العائلة"⁽⁸⁾.

و قد تعرضت أشكال و أحجام الأسر و العائلات إلى تغير بنيتها مرات عديدة. فبعضها كان يتضمن جيلين أو أكثر، والبعض الآخر لا يتعدى الوالدين و الأطفال، و أسر لديها علاقات طيبة مع الأقارب بينما أصبح الغالبية منهم لا تكاد تربطه أي علاقة مع أقاربه، حيث تبحث عن إنشاء علاقات واسعة مع أسر أخرى لا تربطها علاقة قرابة أو تبقى معزولة و هنا يضطر أفراد عائلتها إلى الاعتماد على مصادر داخل العائلة من أجل مواجهة و تلبية الحاجات العاطفية"⁽⁹⁾.

" فالأسرة السوية هي التي يحافظ أفرادها على تماسكهم الأسري، و يسود بينهم الحب و المودة و العطف و التقدير و التعاون و احترام دور و مكانة كل واحد منهم. و تكون أسر المنحرفين في الغالب مفككة: الطلاق، الانفصال، العنف داخل الأسرة، الكحولية"⁽¹⁰⁾.

و هذا يعني أن الاضطرابات الزوجية كأحد أشكال العنف الظاهر أو الكامن يمكن أن تتسبب في انحراف سلوك أبنائها.

2. الصحة النفسية:

لكن ما هي الصحة النفسية؟ و مرة أخرى يختلف الآراء، فيوجد من ينادى بأن الصحة النفسية هي التوافق و التألف مع المجتمع في القيام بالمسئولية والإنتاج، غير أن هذا في تصوري استثناس بشري لمصلحة الحاكم يمنع الإبداع والخلق و لو كانت الصحة النفسية كذلك، لما ظهر الأنبياء والمخترعون والعلماء والفنانون الذين عادة ما يخالفون المجتمع و التقاليد.

يذهب البعض إلى تعريف الصحة النفسية بأنها هي القدرة على العطاء والحب والتضحية دون انتظار المكافأة على حين يفسرها البعض الآخر على أنها التوازن بين الهو (الغرائز) والأنا (الذات) والأنا الأعلى (الضمير) .

في رأي احمد عكاشة أن الصحة النفسية هي القدرة على التأرجح بين الشك واليقين لأن هذا التأرجح يمنح الإنسان المرونة فلا يتطرف إلى حد الخطأ ولا يتذبذب إلى حد الأحجام عن اتخاذ أي قرار، إذ أن هذا التأرجح يوفر للفرد المعادلة والقوة اللازمة للانطلاق والخلق والتمتع والتكيف، ويذهب بعض رواد المدارس الجديدة في العلاج النفسي إلى أن الصحة النفسية هي التآزر والتوافق بين الطفل والمراهق والناضج في كل منا، فنحن لا ننمو بطريقة أفقية من الطفولة إلى المراهقة حتى نبلغ النضج، ولكن يستمر في كل واحد منا الطفل أحيانا و المراهق أحيانا و الناضج أحيانا أخرى.

فإذا تغلب الطفل في سلوكنا طغى الاندفاع وعدم التجانس والتلقائية والبعد عن التخطيط، وإذا سيطر المراهق اندفعنا وراء نزواتنا وملذاتنا بعيدا عن مذهب التخطيط، و بعيدا عن مذهب الواقع وعدونا تحت سيطرة هيدونية مستمرة، أما إذا تغلب الناضج فينا وسيطر باتت الحياة جادة، صارمة، وتضافرت شحنته كلها لكبت الطفل والمراهق داخله، إذن فمحاولة التوازن بين الثلاث: الطفل، والمراهق والناضج في حياتنا هو الصحة النفسية للوصول إلى الغاية والسعادة المنشودة.

تدل الدراسات الوبائية الحديثة أن نسبة المرض النفسي بين كل الشعوب تتشابه، ولا يوجد إخلاف في انتشارها بين البلاد النامية أو الصناعية ولكن قد تختلف المظاهر المرضية. فقد وجد أن 30٪ من مجموع السكان يعاني من أزمات اضطرابات نفسية، ويلجأ للعلاج الشعبي أو للممارس العام حوالي 30٪ من هؤلاء المرضى، ولا يستطيع الممارس العام المدرب تشخيص أكثر من 10٪ على أنها حالات نفسية. ويلجأ للطبيب النفسي حوالي 2.3٪ ولا يدخل المستشفى النفسي أكثر من 5٪، وهذا يعنى أن غالبية المرضى النفسيين يعالجون عند الطبيب العام أو الباطني ولذا يجب الاهتمام بالتعليم الطبي لفرع الطبي النفسي، وتوعية الممارس العام لعلاج هذه الفئات من المرض.

و جاء في الآية الكريمة [لقد خلقنا الإنسان في كبد] [البلد: 4] لقد ثبت أن العلم وحده عاجز عن إسعاد الإنسان... ثرى هل يسترد الإنسان سعادته وتغمره السكينة إذا عاد إلى الإيمان؟ و تشير الأبحاث والتوقعات المستقبلية إلى احتمال زيادة الاضطرابات النفسية و العقلية في القرن الحادي والعشرين خاصة القلق، والاكتئاب والاعتماد على المواد نظرا لكروب الحضارة، وسرعة الإيقاع، وتغلب المادة على الفكر، والذاتوية المفرطة، وتقلص روح الجماعة، و عبثة الانتماء، و أزمة الهوية الإنسانية، واهتزاز نزعة الإيمان، و محاولة الإنسان المستمر للهروب من هذا الخضم من المشقات والكروب بطرق مختلفة حتى يتسنى له عبور المرحلة الحياتية لينعم بعدها بالطمأنينة والراحة الأبدية⁽¹¹⁾.

(2) أسباب الأمراض النفسية: يمكن تلخيص هذه الأسباب في نقطتين مهمتين هما:

(3) 1- الناحية التكوينية: و التي تعتمد على البيولوجيا الوراثية والفسولوجية.

2- الناحية البيئية: و تكون أسباب الأمراض العصابية هي نتيجة لتفاعل هذه العوامل التكوينية مع البيئة. فلاشك أن العوامل البيئية تؤثر في نمو الفرد، و في تطوره النفسي و الفكري والعضوي والاجتماعي، و الوجداني و خلال جميع مراحل الحياة. و الفرد يستجيب لهذه العوامل عن طريق التكيف و التغيير، و كذلك عن طريق التفاعل المتبادل الذي يتم بين الفرد و بين عوامل بيئته⁽¹²⁾.

(4) و يرى الجشتطليتيون أن الأمراض النفسية تعود إلى عدة عوامل منها طريقة ادراك الفرد للبيئة، فقد يرفضها و يقطع الاتصال بها. فيكون منسحبا من كل عناصرها بما فيها البشر. وقد يستدجها كليا بحيث تضيع ذاته كليا و يستبدلها بمجرد صورة للذات.

(5) إن العصبية و الشجرات المستمرة داخل العائلة أينما و كيفما يحدثان، من المؤكد أنهما سيتركان تأثيرا عميقا على نفسية الأبناء خاصة إذا ما أخذنا مراحل النمو التي يمر بها هؤلاء كمرحلة المراهقة المتأخرة، التي يمر بها طلبة الجامعة. فمجرى تطور الحياة العاطفية و العقلية للمراهق و التبادلات السريعة التي تصاحب هذه المرحلة قد تعود خطوة أو خطوات إلى الوراء عندما تكون بيئة المراهق مضطربة و قد تؤدي إلى تعطل عملية النمو ككل و ظهور اضطرابات سلوكية مختلفة و يؤثر على صحتهم النفسية.

(6) فعندما يصبح المراهق مضطربا في العائلة فهذا الاضطراب عبارة عن رسالة مشفرة أحيانا كنوع من أنواع الاتصال المضطرب هو الآخر يحتاج إلى من يفهمه، لأنه لم يجد وسيلة أخرى للتعبير عن قلقه أو احتياجه. و إن لم يجد الجواب أو الرد المناسب على رسالته فإنه يبحث عنه خارج العائلة أو ينفجر في شكل أعراض مرضية.

"فإيقاع حياة المراهق تساير إيقاع حياة الأسرة المضطربة. و إذا ما أثبتته عدة دراسات منها دراسة عويد مشعان الذي حاول تحديد أسباب تعاطي المخدرات من وجهة نظر المدمنين و المتعافين و بواقع 230 فرد في الكويت، حيث توصل الباحث إلى أن ضعف الرقابة الأسرية تأتي في المرتبة الثاني بنسبة 85% و التفكك الأسري 83% و 54% تعود لكثرة الضغوطات الاجتماعية و 50% بسبب الشعور بالوحدة و 50% تعود إلى كون أحد الوالدين مدمن مخدرات." فالأسرة المضطربة و المفككة بسبب حالات الطلاق و الانفصال أو كثرة المشاكل المستمرة بين الزوجين وضعف الوازع الديني يجعل الفرد يشعر بعدم الأمن النفسي و الاجتماعي مما يولد القلق و السلوك العدواني الذي يؤدي إلى الانحراف مما يجعله أكثر عرضة و استعداد لتعاطي المخدرات⁽¹³⁾.

(7) خامسا: مجالات الدراسة: وأهم هذه المجالات نذكر ما يلي:

1. المجال الجغرافي: تتم هذه الدراسة في ولاية سطيف و بالتحديد بجامعة سطيف.
2. المجال البشري: مجتمع الدراسة مكون من 350 طالب يدرسون سنة الثانية علم النفس. أما العينة فقدرت ب 48 طالب مراهق بجامعة الهضاب والبالغين من العمر 20- 36 سنة.
3. المجال الزمني: تمت هذه الدراسة في غضون السنة الدراسية 2012- 2013.
4. المجال المنهجي: تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الإحصائي وبتطبيق استمارتين: استمارة حول الصحة النفسية واستمارة حول اضطرابات العلاقات الزوجية من إعداد الباحثة.

خامسا: الإطار المنهجي

أدوات العمل الميداني: تم تطوير أدوات الدراسة بالرجوع إلى الإطار النظري المتعلق بمتغيرات الدراسة و المتمثلة في المتغير المستقل: اضطرابات العلاقات الزوجية و المتغير التابع: الصحة النفسية للأبناء.

* استمارة خاصة باضطراب العلاقات الزوجية: تضمن 26 سؤال يقيس العلاقات الزوجية بين الوالدين، و قد كانت الخيارات تتمثل في نادرا- أحيانا- غالبا- دائما. و تنوعت العبارات بين سلبية 17 عبارة و 9 عبارات ايجابية، حيث حاولنا من خلالها كيف يدرك الأبناء العلاقات الزوجية بين الوالدين، وهذا من خلال التطرق إلى طبيعة العلاقة التي تجمعهما من حيث التفاهم و الشجارات، و الثقة ومدى تعبيرهما عن جبهما أو بغضهما لبعض، كما حاولنا معرفة مدى رغبة هذا الابن في العيش مثل حياة أبويه مستقبلا.

* استمارة خاصة بالصحة النفسية و قد وضعت بالاعتماد على عدة استبيانات سابقة. حاولنا قياس - من خلالها -أغلب جوانب الصحة النفسية. و قد تضمنت

الاستمارة 33 عبارة حاولت قياس الجانب العقلي و النفسي و الاجتماعي للصحة النفسية. و قد كانت الخيارات تتمثل في نادرا- أحيانا- غالبا- دائما. و تنوعت العبارات بين سلبية 18 عبارة و 15 عبارة إيجابية.

1. عينة البحث: تكونت عينة الدراسة من 48 طالب (و هي عدد الاستثمارات المسترجعة) يمثلون طلاب السنة الثانية علم النفس نظام LMD الدارسين بجامعة الهضاب - سطيف - و تتراوح أعمارهم بين 20- 36 سنة. من بينهم 3 ذكور و 45 إناث، و خصائص العينة موضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم-1-
يوضح خصائص العينة من حيث السن:

التكرار	السن
1	19
11	20
18	21
13	22
3	23
2	أكثر من 30 سنة

2. المعالجة الإحصائية: تم معالجة المعلومات باستخدام SPSS 13 و هذا بحساب معامل الارتباط بيرسون بين المتغيرين، و المتوسطات و الانحراف المعياري و

لوحة الانتشار و كذا التكرارات. كما تم حساب تكرارات كل بند من بنود الاستمارتين يدويا لاستعمالهما في مناقشة النتائج المتوصل إليها في البحث. سادسا: عرض و مناقشة نتائج الدراسة.
* الوصف الإحصائي:

الجدول رقم -2-

يوضح الوصف الإحصائي لدرجات أفراد العينة

الانحراف المعياري	المتوسط	أكبر قيمة	أقل قيمة	العينة	المتغير
14.908	53.73	90	29	48	العلاقات الزوجية المضطربة
10.874	96.42	119	68	48	الصحة النفسية

نلاحظ من خلال الجدول رقم -2- أن المتوسط الحسابي لدرجات اضطراب العلاقات الزوجية يساوي 53.73 و بانحراف معياري يقدر بـ 14.90 و هذا يدل على أن الدرجات بعيدة عن متوسطها الحسابي بـ أكثر من 14 درجة كاملة. و المتوسط الحسابي لدرجات الصحة النفسية يساوي 96.42 و بانحراف معياري مساو لـ 10.87 و هذا يدل على أن الدرجات بعيدة عن متوسطها الحسابي بـ أكثر من 10 درجات.

* حساب معامل الارتباط:

و للتحقق من الفرض القائل: يوجد ارتباط بين اضطرابات العلاقات الزوجية كما يدركها الأبناء و صحتهم النفسية قمنا بحساب معامل الارتباط فكانت النتائج كالتالي:

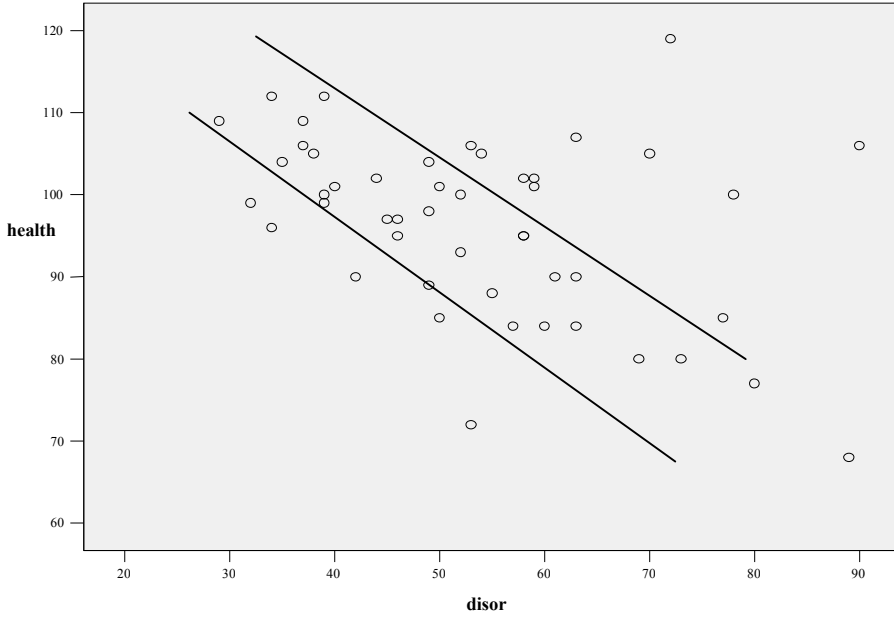
الجدول رقم 3- يوضح معامل الارتباط بين درجة إدراك الأبناء لاضطرابات العلاقات الزوجية بين والديهما و درجة صحتهم النفسية

المتغير	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
العلاقات الزوجية المضطربة	- 0.419	0.01
الصحة النفسية		

نلاحظ من خلال الجدول رقم 3- أن معامل الارتباط $r = -0.419$ و هذا يعني وجود علاقة ارتباطية سالبة بين المتغيرين، ودرجة هذه العلاقة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار لأهميتها خاصة أنها تعبر عن ارتباط مقبول و يمكن القول أنه ارتباط متوسط القوة. و الإشارة السالبة تعني وجود علاقة سالبة بين المتغيرين و هي أنه كلما زادت درجات الاضطرابات على مستوى العلاقات الزوجية للأباء كلما انخفضت درجات الصحة النفسية لأبنائهم.

* لوحة الانتشار:

كما يمكن تمثيل شكل هذا الارتباط بيانيا في الشكل التالي:



نلاحظ من خلال هذا الشكل أن النقط تقع في مسرب ضيق بين مستقيمين متوازيين. و بذلك يتبين إمكانية وقوع النقاط على خط مستقيم بمعنى إمكانية رسم خط مستقيم تقع معظم النقاط عليه أو حوله، أو قريبة منه كما هو موضح في الشكل على لوحة الانتشار.

هذا؛ رغم وجود بعض الحالات الشاذة التي تقع خارجه و هي السبب في عدم ارتفاع نسبة الارتباط. حيث أنه لو تم استخراجها من القياسات لزادت درجة الارتباط. و هذا يعود ربما إلى عدم اهتمام بعض الطلبة عند الإجابة أو عدم صدقهم و هي من مشكلات البحث العلمي الذي يعتمد على الاستبيانات.

وقد أظهرت نتائج الدراسة الحالية أن هناك علاقة ارتباطيه سالبة بين اضطراب العلاقات الزوجية بين الآباء و أنها تؤثر بشكل واضح على صحة الأبناء حيث $r = -0.419$ و عند مستوى دلالة 0.01 و هذا يعني أنه كلما زادت حدة الخلافات بين الوالدين كلما تدهورت الصحة النفسية للأبناء، حيث

أن نسبة 67 ٪ من أفراد العينة يرفضون العيش بنفس الطريقة التي أدركوها من خلال عيشتهم مع آبائهم؛ أي يرفضون العيش بنفس الطريقة التي عاش و يعيش بها الآباء. و هذا يعود إلى أنها طريقة غير سوية و لا تساعد على الاستقرار. كما أن 50 ٪ يدركون بأن هناك عدم توافق في أحد الجوانب أو أغلبها بين الأم و الأب، و هذا راجع إلى كثرة الشجارات خاصة لأسباب تافهة و هذا بنسبة 80٪. كما أن نسبة 50 ٪ من أفراد العينة تدرك بأن الوالدين نادرا ما يخططان لمستقبل العائلة و هذا ما يجعلهم يشعرون بعد الأمان، هذا من جهة

من جهة أخرى و فيما يخص صحة الأبناء فإن أفراد العينة يعاني 38 ٪ منهم من أمراض جسدية تتمثل في الصداع النصفي (الشقيقة) و الحساسية و أمراض على مستوى الجهاز الهضمي و الجهاز التنفسي... الخ و كلها أمراض سيكوسوماتية ناتجة عن ضغوطات نفسية يعيشها الفرد خاصة داخل العائلة، كما أن 27 ٪ من الأبناء يعانون من اضطرابات سيكولوجية تتمثل غالبيتها في الشعور بالقلق المستمر و الاكتئاب و الأرق. 35 ٪ منهم يكرهون التعاملات العنيفة من جراء ما يشاهدونه من عنف بين الأولياء سواء كان لفظيا أو جسديا. و 63 ٪ في حالة شك دائم و رغبة كبيرة في مراجعة أنفسهم و تعديل سلوكياته بطريقة أحسن و أكثر اجتماعية و تكييفا.

و هذا ما تؤكده البحوث في كل مرة، حيث أن معظمها أكد على أن العائلات المفككة وراء جنوح الأحداث و الانحرافات و الإصابة بالاضطرابات النفسية و حتى العقلية. إذ أن الأبناء عندما لا يشعرون بالاستقرار و الاهتمام من طرف آبائهم سيدفعهم هذا للخوف من مستقبلهم و يجعلهم يرفضون العيش بطريقة والديهم.

بالإضافة إلى أنهم يتقمصون كل الأدوار و السلوكيات التي يقوم بها الآباء كمثال لهم يشاهدونه يوميا أو كما يشير أصحاب التحليل النفسي بالتقمص المعتدي كوسيلة دفاعية ضد العنف الممارس ضد الأبناء بسبب اضطراب العلاقات الزوجية بين الآباء. كما يؤثر هذا في قدرة الأبناء على اتخاذ القرارات و

حل المشكلات، و الشعور بالوحدة و الخوف من الغرباء وكذا فقدان الثقة بالنفس و بالمحيطين حوله.

كما أن الأسر المضطربة تؤثر أيضا حتى على درجات التحصيل الدراسي و زيادة ظهور السلوكيات العدوانية بين أوساط الشباب و المراهقين و حتى الأطفال. لهذا وجب الاهتمام بالصحة النفسية للأبناء من خلال الاهتمام بصحة العلاقات الزوجية بين الآباء بدءا من اختيار الشريك المناسب و وصولا إلى تحمل مسؤولياتهم اتجاه أبنائهم.

❖ هوامش البحث:

- (8) نادية بوشلالتق. الصحة النفسية. مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية ع172، 6-188. باتنة. جوان، 2002. ص 175.
- (9) زينب شقير. الأمراض السيكوسوماتية: النفس جسمية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. 2002. ص ص 10-11 .
- (10) موسوعة القرن. الدار المتوسطة للنشر. تونس. 2006. ص 253.
- (11) عبد المنعم حنفي. موسوعة الطب النفسي: الكاتب الجامع في الاضطرابات النفسية و طرق علاجها. (1999).. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1999. مج 2. ص ص 9-10 .
- (12) نادية بوشلالتق. مرجع سبق ذكره. ص 175.
- (13) كلتوم بالميهوب. 2012/2/10 نظريات العلاج الزوجي 30/ 2011/12
<http://www.cbtarabia.com/index.php?>
- (14) بتول خليفة. إدراك الأولاد للقبول -الرفض الوالدي وعلاقته بمشكلات الطفولة المتأخرة. المؤتمر السنوي العاشر لمركز الارشاد و التوجيه. مج 1، 283-204. القاهرة. ديسمبر، 2003. ص 69 .
- (15) بيني جاكبوز. مشاكل الأطفال: سبل فهمها و المساعدة على معالجتها من قبل الأهل و المعلمين. (ترجمة أديب خضورة). دار الجليل. دمشق. 1990. ص 10.
- (16) بيني جاكبوز. المرجع نفسه ص 9 بتصرف.
- (17) بوخيس بوفولة. الأسرة و انحراف الأحداث (ملف اضطرابات الوظيفة الأسرية). مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. ع. 21/ 22. شتاء، و ربيع 2009. ص 57
- (18) أحمد عكاشة . 2012/2/11 . الطب النفسي المعاصر . 2003
- (19) <http://www.arabpsynet.com/Books/Okasha.B1.htm>

(20) فيصل خيرى الزراد. الأمراض العصبية و الذهانية و الاضطرابات السلوكية. دار

القلم. بيروت. 1984. ص 46-47

(21) عويد مشعان. أسباب تعاطي المخدرات من وجهة نظر المدمنين و المتعافين. المؤتمر

السنوي العاشر لمركز الإرشاد و التوجيه. مج.1، 283-204. القاهرة. ديسمبر،

2003. ص300.

الدراسات الإعلامية

ثنائية المرسل والمتلقي في ضوء سلطة التقنية نحو إعادة التفكير في أفق العلاقة و فلسفة المفاهيم

الأستاذ الدكتور: رضوان بوجمعة ، جامعة الجزائر 3

الباحث: يعقوب بن الصغير، جامعة الجزائر 3

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى محاولة رصد وتتبع الفضاء الإعلامي في شكله الجديد؛ هذا الفضاء الذي بسطت فيه التقنية سيطرتها على ممارساته وتحدياته، وأعطت للجمهور مساحة أوسع لصناعة وتشكيل واقعه، بعد أن كانت هذه السلطة حكراً على المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية. فقد جلب المشهد المتغير لوسائل الإعلام وظهور نماذج جديدة للتوزيع والاستهلاك على الانترنت، ميلاد أدوار جديدة وتشكيلات مهنية مغايرة، فضلاً عن الجهات الفاعلة - شبه مهنية - التي تُجمع تحت اسم الافتراضيون، أو ما يُعرف بـ "صحافة المواطن".

Abstract:

This research aims to try to monitor the media space and tracking in its new format; this space in which technical seized control of practices and challenges, and given to a wider audience for the manufacture of space and form a reality, after it was this power monopoly of the media institutions classic... has brought the changing landscape to the media and the emergence of new models of distribution and consumption on the Internet, the birth of new roles and professional formations different, as well as the actors - semi-professional -, which gathered under "citizen journalism" name.

يشهد الفضاء الإعلامي في الآونة الأخيرة، ملامح تغيرات وتحولات كبرى، يكشفها ميلاد أشكال وصيغ إعلامية - اتصالية جديدة لم يعهدها الفضاء في نمطه التقليدي القائم على أفقية خطي "مرسل - متلقي، متلقي - مرسل؛ فضاء جديد يميل نحو التشارك والتفاعل في عملية اتصالية تبادلية تنم على بروز ممارسة إعلامية جديدة قوامها "وسائط الاتصال الحديثة".

فالإنترنت وهذه الوسائط الاتصالية، أصبحت مجالاً خصباً للملاحظة وتتبع ممارسات جديدة، تساهم في تغير النماذج التي شكلت تاريخياً عملية إنتاج المعنى، الثقافة والاتصال. هذه النماذج التي كانت تعتمد على مبدأ الفصل بين البث والتلقي كمنطق ممارساتي في الإعلام الكلاسيكي، تحتكر به وسائل إنتاج الخطابات العامة، وبالتالي وسائل المشاركة في الفضاء العمومي والنفاد إليه^(*).

فالوسائط الاتصالية الحديثة وفي بعثها لهذا التحول - أي تملك الجمهور لوسائل النشر والخطاب - تؤشر إلى بداية مشهد جديد في سريان العملية الاتصالية، ومن ثمة إلى ميلاد نموذج اتصالي مغاير، يقول دان غيلمور (Dan Gillmor):

"على مدى الأعوام الـ 150 الماضية، كان لدينا وسيلتا اتصال مختلفتان: الأولى موجهة من واحد إلى كثيرين (الكتب، الصحف، الإذاعة والتلفزيون)، والثانية من واحد لواحد (الخطابات، البرقيات التلغرافية والهاتف)، وأصبحت الأنترنت توفر لنا - لأول مرة - اتصالات من كثيرين إلى كثيرين ومن قليلين إلى قليلين، ولها تداعيات وآثار هائلة على الجمهور السابق وعلى منتجي الأخبار، لأن تمييز الاختلاف بين الوسيلتين يزداد صعوبة"⁽¹⁾.

إن الحاجة إلى مراجعتنا لكثير من الانشغالات البحثية أصبحت في تزايد ملح، في ظل تعقد الظاهرة الإعلامية مع العقد الثاني من القرن العشرين، فمشروعية حضور مواقع التواصل الاجتماعي في حياتنا تختلف عن مشروعية نشاط مؤسسات الإعلام الكلاسيكية، خصوصاً مع التطورات المتسارعة التي

مست وسائل الاتصال الجماهيري. فجمهور هذه الأخيرة ككتلة مجهولة ومجردة، تحول إلى مستخدمين ذوو ممارسات شخصية وملاحح محددة، ومكانة المرسل والمتلقي تغيرت في بيئة إعلامية جديدة؛⁽²⁾ البيئة التي قضت على تلك العلاقات العمودية التي كانت قائمة بين الصحفي والمتلقي؛ والبيئة التي تشهد تبلور تيار من النقد الجريء للصحافة التقليدية، والإعلان عن ميلاد صحافة بديلة ضمن سياقات تشكل مشهد صحفي جديد⁽³⁾. كل هذه المعطيات، تدفع إلى إعادة التفكير جدياً في مفهومي القائم بالاتصال والجمهور، ومكانة الأخير في سيرورة النسق الإعلامي و الاتصالي، ومن ثمة مراجعة كثير من مفاهيم فلسفة الممارسة الاتصالية. ففي ظل هذا الطرح، تثير ورقتنا هذه الإشكالية الآتية:

ما هي أهم الملاحح الجديدة التي شكلتها سلطة التقنية في "بنية الاتصال"، وفي العلاقة القائمة بين المرسل والمستقبل؟

وهذه الإشكالية تجرنا إلى طرح ثلاثة تساؤلات جوهرية:

- ما هي أهم المنصات الإلكترونية المُشَارَك بها في صناعة الخبر من قبل الأفراد؟
- أيُّ مكانة للصحفيين المواطنين لدى مؤسسات الإعلام، في ظل الانتشار السريع لهذه الوسائط؟
- ما هي أبرز مفاهيم الممارسة الإعلامية، التي تولدت مع هذا الفضاءات التواصلية الجديدة؟

و بناء على التساؤلات السابقة الذكر، تهدف هذه الدراسة إلى:

- الكشف عن أهم أوجه الممارسات الإعلامية، التي أفرزتها وسائط الاتصال الحديثة، ومحاولة ربطها مع خلفياتها "فلسفة الممارسة" - فكل ممارسة أوجدت في سياق ما -؛
- مساءلة طبيعة العلاقة بين مؤسسات الإعلام الكلاسيكية ومستخدمو الوسائط الاتصالية الحديثة؛

- الحاجة إلى تكييف بعض من المفاهيم الإعلامية وتحيينها بما يتوافق والتغيرات التكنولوجية التي رافقت هذه الممارسة الإعلامية؛
- ومن ثمة؛ محاولة إضافة القيمة المعرفية لفهم هذه التكنولوجيات الاتصالية الحديثة، وكيفية اندماجها في الحياة اليومية.

أولاً: من إعلام الجدران الأربعة، إلى إعلام من دون جدران

عرفت ولزمن طويل تقاليد مهنة الصحافة بممارستها اليومية المتجدرة، سيرورة واحدة لرحلة الخبر الصحفي داخل غرف الأخبار – المعروفة بالجدران الأربعة -؛ من جمع المعلومات، التأكد من صحتها مع المصادر، غربلتها وتحريرها بما يتوافق والرؤية التحريرية للمؤسسة... وصولاً إلى نشر وبث هذا الخبر، في عملية روتينية توصيلية للمعلومة إلى متلقيها. فمشروعية وجود وسائل الإعلام تكمن في مدى التزام صحفييها بالموضوعية وتقديم الحقيقة واحترام أخلاقيات العمل الإعلامي.

لكن ومع التزاوج الحاصل على مستوى كثير من التطورات التكنولوجية المتسارعة والتخمينات الاجتماعية، أصبحت هذه الرؤية، لا تقتصر على هذه المؤسسات فقط، بل امتدت لتشمل فضاء الوسائط الجديدة وتستقر به، مع بعض من التكييفات والتعديلات النوعية. فضاء إعلامي جديد يتقاسم الكثير من السمات مع الوسائل التقليدية، وإن كان يتجاوزها في أكثر من جانب، معتمداً على البدائل التكنولوجية المتنوعة؛ من المدونات Blogs، إلى المنتديات، الويكي Wiki، إلى شبكات التواصل الاجتماعي (**). Networks Social... وغيرها⁽⁴⁾.

يقول الصادق لحمامي:

"وبالتالي لم تعد وسائل الإعلام المنتج الوحيد والرئيسي للمعلومات وللخطابات. إذ لا يشكل الإعلاميون الفاعلون الوحيدون في تحديد ما يتم تداوله في الفضاء العمومي من مضامين. وتحولت الأشكال التعبيرية الجديدة التي تتيحها الشبكة إلى خطابات منافسة للخطابات السياسية والإعلامية⁽⁵⁾.

ومع تدفق التقانات الاتصالية الجديدة، فإن المفاهيم الإعلامية وكثير من نظم الاتصال الجماهيري أخذت أشكالاً جديدة، أجبرت معها الوسائل التقليدية على التكيف مع المتغيرات التي أفرزتها شبكة الانترنت⁽⁶⁾ يقول برودي دوغلاس (A. Brody Douglas):⁽⁷⁾

"بينما يستمر التلفزيون بدوره كنافذة على العالم، فإن الإعلام الرقمي استطاع أن يوصل المستخدم بالعالم، طالما هو متصل بشبكة الانترنت".

والحقيقة أن هذه الوسائط الحديثة بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي، أصبحت تتغذى من الإعلام، لكنها تعمل على تغيير حامضه النووي، وفق ما ذهب إليه الصحفي (Benoit) المختص في تكنولوجيات الاتصال؛ أي الاهتمام بما تثيره الأخبار من ردات فعل ونقاشات اندماجها في الخطاب الاجتماعي وتوظيفها في بناء الذات⁽⁸⁾. فهذه المواقع إذن تأخذ من هذه الأخبار وسيلة لبناء علاقة اجتماعية.

فمع ظهور الوسائط التكنولوجية والتقانات الاتصالية المتعددة خرجت الصناعة الإعلامية من غرف الجدران الأربعة Newsroom، ولم يعد الصحفيون أصحاب البطاقة المهنية هم فقط من يصنعون المعلومة ويشكلون الواقع، عندما انفجرت الأشكال التعبيرية التي أحدثت ثورة في مفهوم حرية التعبير بطرائق عديدة، وبفضل هذه الوسائط أصبح الكل ممن يريد، ناشراً ومذيعاً... بل ومنافساً - في صدقية ما ينشر - لخطابات وسائل الإعلام، ويكون وصوله إلى جمهور عالمي محتملاً في وقت وجيز.

ثانياً: أهم المنصات الإلكترونية المشارك بها في صناعة الخبر من قبل الأفراد

تتميز وسائط الاتصال الحديثة كمنصات إلكترونية، بالتوسع السريع في خدماتها، وتزايد عدد المشتركين فيها، ونمو حجم تبادل الرسائل، المعلومات، ومختلف المواد والبيانات بشكل مطرد. وعلى تنوع هذه المنصات الإلكترونية، فإن

اختيار الجماهير لها يقف على درجة ثرائها المعلوماتي، كما تطرحه نظرية ثراء وسائل الإعلام Media Richness theory⁽⁹⁾.

حيث تركز النظرية على الأشكال التفاعلية للاتصال في اتجاهين بين القائم بالاتصال والجمهور المستقبل للرسالة، وطبقاً لفرضها الأساسي فإن الوسائل الإعلامية التي توفر رجوع الصدى تكون أكثر ثراء؛ فكلما قلَّ الغموض كلما كان الاتصال الفعال أكثر حدوداً، فثراء المعلومات يقوم بتخفيض درجة الغموض وإيجاد مساحة من المعاني المشتركة باستخدام وسيلة اتصالية معينة. وترتكز هذه النظرية على فرضين أساسيين هما:

- الوسائل التكنولوجية تمتلك قدرًا كبيراً من المعلومات، فضلاً عن تنوع مضامينها، وبالتالي تستطيع هذه الوسائل التغلب على الغموض والشك الذي ينتاب الكثير من الأفراد عند التعرض لها.
- هناك أربعة معايير أساسية لترتيب ثراء الوسيلة، مرتبة بحسب "درجة الثراء"، وهي:

- ✓ سرعة رد الفعل؛
- ✓ قدرتها على نقل الإشارات باستخدام تقنيات تكنولوجية حديثة مثل الوسائط المتعددة؛
- ✓ التركز الشخصي على الوسيلة؛
- ✓ واستخدام اللغة الطبيعية.

وفيما يلي عرض مقتضب لأهم هذه المنصات الإلكترونية التي يمكن للفرد استخدامها عند صناعة الخبر:

1. المدونات الإلكترونية:

ساهمت البساطة التقنية في تأسيس وتحيين المدونات، بتحويل هذا الصنف الجديد من الاتصال إلى وسيلة إعلام جماهيري، إذ يتاح لصاحب المدونة

أن ينشر الأخبار، وأن يعرض مختلف القضايا بالنقاش والتحليل في مدونته، وأن يتلقى الردود من القراء المتابعين، وإضافات هؤلاء وبصفة حينية⁽¹⁰⁾.

2. مواقع بث الفيديو:

وهي مواقع تتيح إمكانية بث ومشاركة مقاطع فيديو مسموعة ومرئية، مع إمكانية مشاهدتها وتحميلها كما هو الحال مع "Myvideo" وكذا موقع الـ "Youtube". هذا الأخير الذي تأسس في بدايته مع ثلاثة موظفين كانوا يعملون بشركة Pay Pal في كاليفورنيا عام 2005؛ حيث يعتمد هذا الموقع على عرض المقاطع المتحركة على تقنية (أدوب فلاش)، كما يُعتبر من الجيل الثاني أي من مواقع الويب 2.0، إذ أصبح مع مطلع عام 2006، شبكة التواصل الأولى، بحسب اختيار مجلة التايم الأمريكية⁽¹¹⁾.

3. الإعلام الاجتماعي "média social":

يتيح الإعلام الاجتماعي أو كما يعرف بـ الشبكات الاجتماعية إمكانية التواصل الاجتماعي الافتراضي، وذلك من خلال إنشاء صفحة خاصة على مواقع هذه الشبكات ومنها (Facebook، Twitter، Myspace...)، وعبر ذات الصفحة يمكن الاندماج مع الأصدقاء أو المستخدمين (أفراداً أو جماعات) من خلال فرص تبادل الصور والفيديوهات، نشر النصوص ومشاركتها، الدردشة الفورية... وغيرها.

إذ يتضمن الإعلام الاجتماعي "média social" ثلاث نقاط أساسية؛ التكنولوجيا، التفاعل الاجتماعي وخلق المضامين. فبالنسبة لهذا الإعلام média؛ هو الذي يعتمد فيه المستخدمون على خدمة الجيل الثاني - الواب 2.0 - من خلال النشر، التعليق والإضافة على المحتويات... في حين الاجتماعي "social"؛ يحيل إلى كل ما هو تفاعل اجتماعي، ردود الأفعال، التأثيرات فيما بين الأفراد أو جماعات الأفراد الذين تربطهم ذات المضامين⁽¹²⁾.

وبهذا تتيح الشبكات الاجتماعية، إمكانية خلق وتبادل المحتويات العامة بين الفاعلين المستخدمين بحسب (Michael) et (Andreas Kaplan) (Haenlein)⁽¹³⁾.

كما يقسم لاسيكا (Lasica) الفضاءات الافتراضية التي يشتغل فيها المواطن الصحفي، من خلال النماذج الآتية⁽¹⁴⁾:

- أدوات مشاركة الجمهور: وتتمثل أطر مشاركة الجمهور Audience Participation في تعليقات القراء المرتبطة بالأخبار، والمدونات الشخصية، والصور أو لقطات الفيديو المصورة بالكاميرات الشخصية.
- مواقع الأخبار المستقلة: وتتمثل في مواقع الانترنت الإخبارية المستقلة مثل Consumer Reports وموقع Drudge Report.
- الأخبار التشاركية النامة Full-fledged Participatory News Sites: وكنموذج لها الموقع الكوري الجنوبي أوه ماي نيوز (OhMyNews).
- مواقع المساهمة العامة Colaborative and Contributory Sites: مثل موقع سلاشدوت Slashdot.
- مواقع البث الشخصية Personal Broadcasting Sites: مثل KenRadio.

ومن خلال مختلف هذه الوسائط والمنصات التكنولوجية، أصبح بإمكان الأفراد "خلق صحافة خاصة" كما يقول (Mark Glaser) وممارستها فيما بينهم وقتما وأينما شاءوا، بل وفرضها على شريحة مجتمعية أكبر في محيطهم العام⁽¹⁵⁾.

ومن بين التّصورات المعرفية إزاء مسألة "تشاركية" هؤلاء الأفراد، نجد تصور (Bertrand Pecquerie) المشرف على موقع Editors Weblog، الذي أشار إلى وجود أربع فئات من الإعلاميين التشاركيين⁽¹⁶⁾.

- الإعلاميون الذين يقومون بإرسال تحقيقاتهم المصورة أو الفيديوهاتية إلى وسائل الإعلام الكلاسيكية.
- الفئة التي تقوم بإنتاج مضامين موجهة بصفة خاصة إلى مجموعات محلية أو افتراضية، وهو ما يتناسب مع المواقع الإخبارية التي يشير إليها (Lasica).
- الإعلاميون الذين يناضلون من أجل قضية ما، والتي غالباً ما تكون سياسية... ومثال ذلك حسب (Pecquerie)، الصحفي Eason (Jordan)، الذي استبعته القناة الإخبارية CNN، بعد الفضيحة التي روج لها الإعلاميون المواطنون.
- فئة المدونين الذين يرغبون في اقتناص حوارات صحفية مع إعلاميين معروفين.

ثالثاً: سقوط جدار السلطوية؛ وانفلات المتلقي نحو نقل الحقيقة

لقد كانت وسائل الإعلام الجماهيري (خصوصاً الإذاعة والتلفزيون) تحت يد الإدارة السلطوية، مجال تُستحوذ فيه الكلمة والصورة والحركة، لخلق مشهد يُبرز سلطة الدولة وقوتها. فالحكم استولى على الحقيقة أو على الآلية الرئيسية لتمثيل الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية... وبات الصحفي تابعاً موالياً لأوامر الدولة في نموذج إعلامي يعكس الرؤية السلطوية اللا تفاعلية مع المجتمع، الذي حُجبت أفكاره وتوجهاته... إزاء الحياة اليومية بكل مجالاتها⁽¹⁷⁾.

فظهر الفضاء الإلكتروني والمنصات التكنولوجية كان بمثابة إيدان بداية تحرر الإنسان من أجهزة التوجيه الإعلامي التي تسيطر على عقله، وهو تحرر مزدوج يشمل حرية الإرسال وحرية الاستقبال. فمن خلال المدونات مثلاً، وخاصة مدونات الصحفيين المشاركين نستشعر اتجاهات تحريراً ينتقد بشكل علني أو غير علني رؤيتهم السلبية للصحافة التقليدية واحتكارها لمنظومة صناعة الخبر⁽¹⁸⁾.

فهذه الجماليات التكنولوجية الجديدة تختلف عن تلك التي تحكم الفضاء الإعلامي التقليدي⁽¹⁹⁾؛ لأنها تجسد مبدأ كثرة الأصوات (مقابل مبدأ الصوت الواحد)، ومبدأ الاختلاف (مقابل الإجماع)، ومبدأ التنوع (مقابل الترميز). فالفضاء العمومي الافتراضي تتجلى فيه العوالم الذاتية والآراء والأفكار بكل انسيابية، فهذه الجماليات تتشكل من أنماط تعبيرية متعددة تمزج في خليط فريد من النصوص، الصور والفيديوهات.

إنّ هذه التطبيقات الاتصالية الحديثة مكنت من نفاذ جماهير المستخدمين إلى أرضية النقاش العام عبر فضاء التواصل الافتراضي المستحدث، وهو ما زاد من التنوع الفكري والثقافي وتجاوز النمطية الفكرية التي فرضتها السلطة، فالإنترنت وهذه الوسائط وسّعت في الحياة الاجتماعية، ب بروز أصوات ونخب بديلة لم تعط لها الفرصة في المجال العمومي، شأنها شأن المواطنين العاديين الذين برزت عوالمهم الذاتية وتعزز دورهم في تفاصيل المشهد السياسي، الاقتصادي والثقافي... مع أنه يبقى دور هذه الوسائط الاتصالية الحديثة في تجديد الفضاء السياسي مرهون بطبيعة النظام السياسي القائم. فالمنتديات السياسية المفتوحة تعكس في كثير من الأحيان الثقافة السياسية السائدة وفقاً للباحثة (Zizi Papacharissi)⁽²⁰⁾.

إن الإعلام الجديد وأخذاً بكثير من المداخل والنقاشات المعرفية، ليس بثأ أحادياً وتلقياً إجبارياً مثل ما كانت تتميز به نظم الإعلام التقليدي هذه، ولكنه تفاعل يختار فيه الناس احتياجاتهم، ويشاركون في الوقت ذاته ليس بإبداء الرأي فقط، ولكن بإعلام شخصي خاص بكل فرد على حدى، إعلام هو الذي تحول فيه المستمع والمشهد إلى مستخدم User، ما يستوجب إعادة النظر جيداً في مفهوم "الجمهور" والتعرف أكثر على سماته.

رابعاً: المؤسسات الإعلامية وحتمية إشراك الجمهور كمورد بشري جديد

لقد فتحت مؤسسات وسائل الإعلام التقليدية جسراً إعلامياً Bridge media، يربطها بمختلف الأشكال الجديدة، التي تسمح بمشاركة الجمهور في إنتاج الخبر الصحفي، وأدجت جهود هؤلاء من الذين يمتلكون مساحات وخدمات إعلامية وإخبارية جيدة، ضمن خطط وتصورات المؤسسة نحو الوصول إلى الخبر، حيث أصبح الجمهور مورداً بشرياً هاماً مثله مثل الصحفي الميداني بل حتى منافساً له في سرعة الوصول إلى السبق الصحفي، يقوم بتزويد المؤسسة بالمستجدات والأخبار العاجلة والصور ومقاطع الفيديو التي قد يُستعصى على الصحفي الوصول إليها. واقع رفع من معدل الديناميكية ومستوى الثقة في علاقة مؤسسات الإعلام بجمهور لم يعد متلقياً للمضامين، بل منتجاً وصانعاً لها (***) .

فتلبية لمطلب الجمهور، أنشأت القناة الفرنسية France 2، منصة للتدوين مفتوحة للجمهور، خصوصاً لأولئك الذين لا يجدون في المنتديات الآلية الكافية والمناسبة للتعبير، كما أنشأت أيضاً صفحة موازية لاستقبال بعض نصوص المدونات حسب مقاييس مخصوصة (الأكثر تحديثاً، الأكثر إدراجاً للمقالات...). أما مجموعة القنوات الإيطالية RAI، فقد أنشأت فضاء مستقلاً لمشاركة الجمهور Community، يتيح خدمات التدوين والمشاركة في الاستفتاءات والمنتديات. كما يوفر موقع الـ BBC، فضاء خاصاً بمشاركة الجمهور باسم (Have your say)، وهو الذي يمكن مستخدميه من المشاركة بالصور والفيديوهات، وحتى اقتراح مواضيع التقارير الإخبارية⁽²¹⁾.

وهو ما يبرز التوجه التدريجي نحو تقاسم سلطة "صناعة الأخبار" بين المؤسسة وجمهورها.

وهذا الأمر لا يقتصر على المؤسسات السمعية البصرية فقط بل مس حتى الصحف والمجلات؛ حيث عملت في هذا الإطار شركة Gannett، كأحد أكبر الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية على إحداث نقلة في جمعها وعرضها

للأخبار من خلال تضمين جهود هؤلاء الهواة الصحفيون المواطنون" في صفحاتها من خلال متابعة نقاشاتهم الجارية على الأنترنت، لإعداد قصص إخبارية موثوقة⁽²²⁾.

كما لجأت صحيفة "الغارديان" البريطانية مطلع أكتوبر 2011 إلى نشر قوائم الأخبار التي تتولى تغطيتها حتى يتمكن القراء من المشاركة فيها، وذلك من خلال المقال الافتتاحي لرئيس تحريرها راسبريدجر، الذي أشار فيه إلى أهمية الانفتاح على القراء باعتبارهم جزءاً من عملية إعداد الأخبار⁽²³⁾.

حيث ينقل عبد العالي رزاقى بالقول:

"... بالنسبة إلى هؤلاء الصحفيين، فإن المواقع المفتوحة الشخصية لا سيما المتخصصة منها، تعتبر مصدراً جديداً للمعلومات، يتعين اعتباره من الآن فصاعداً. وبالفعل فإن وسائل الإعلام التقليدية تبنت هذا الموقف، منشئة تبعاً لذلك مواقعها المفتوحة الخاصة، بهدف الحفاظ على التفاعلية والحوار مع قرائها"⁽²⁴⁾.

ويوضح كيللي ماك برايد من معهد بوينتر، الاختلاف الحاصل بين الصحافة المحترفة وصحافة المواطنين في مقال له عام 2006؛ عن مواقع الجرائد التي تدعو المشاركين لكتابة القصص الإخبارية، تبعاً لما نقلته جين فورمان:

"عظيم أن تستضيف الجرائد تلك المواقع، إنها خدمة رائعة للمجتمع، إنها جرائد شيقة ومثيرة للغاية. ولكنها لم تكن صحافة... إن الصحافة عمل مستقل لمعلومات تم تجميعها بطرق منظمة، ويعتبر العمل كاملاً في خدمة القراء، إنه ولاء الصحفيين للقراء والمشاهدين، ومن المتوقع أن تقوم تلك القيم بإشادة عملية الأخبار للمجتمعة...."⁽²⁵⁾.

ففي ذات الصدد، تعتبر إحدى المحاكم الأمريكية The ninth D.C circuit court بحسب (Ashley Packard) أن "ما يعتبر صحافة ليس شكلها وإنما مضمونها". والسؤال الحرج في إصدار القرار في شأن إثارة الفرد

الكاتب لحق الامتياز، ما إذا كان هذا الفرد يقوم بجمع الأخبار لنشرها في أوساط الجمهور⁽²⁶⁾.

تقر المحكمة الدستورية العليا في أمريكا أن مبدأ حرية الصحافة "حق دستوري فردي" وليس حصراً على الصحافة. وهذا يدل على أنه من حق أي كاتب في الإعلام الاجتماعي أن يستند إلى نص المادة الأولى المعدلة من الدستور في استخدام حقه في التعبير دون أي تدخل حكومي⁽²⁷⁾. وتؤثر هذه الأحكام السابقة إلى عدم ارتباط تعريف الصحفي بالمفهوم التقليدي الشائع، وإن كانت هناك شروط جمع المعلومات ونشرها في أوساط الجماهير...

ويعتمد إشراك المؤسسة لمضامين هؤلاء الجماهير (المتلقين / المرسلين)، على غربة ما يقومون بإرساله عبر مختلف أشكال التطبيقات الإلكترونية، قبل أن تقوم بإعادة نشرها وبثها بما يتوافق والرؤية التحريرية لها. حيث أصبحت هذه الخطوات في كثير الأحيان حلولاً إجبارية لا اختيارية، في ظل تسارع وتيرة الأحداث الدولية من جهة، ورهانات الوصول إلى السبق الصحفي في ظل المنافسة الإعلامية الشرسة بين مؤسسات الإعلام من جهة ثانية.

ويمكن عرض جملة من الأسباب التي دفعت و/ أو أجبرت مؤسسات الإعلام على إشراك الجمهور في صناعة المضامين الإعلامية في:

- تعرض الصحفيون والمراسلون إلى كثير من المضايقات والضغوطات والاستفزازات أثناء التغطية الميدانية خصوصاً مع الأوضاع غير المستقرة أمنياً. وهو ما يحتم هنا على المؤسسة، الأخذ بتغطيات الجماهير كشهود عيان للحدث، وناقليه بالصوت والصورة والحركة.
- إغراءات "السبق الصحفي"، خصوصاً مع المنافسة المتزايدة بين المؤسسات الإعلامية، حيث تسعى كل واحدة إلى الانفراد ببث الخبر، الصورة ومقاطع الفيديو... وهذه المسألة غالباً ما استطاع الصحفيون الهواة تحقيقها في ظل قربهم لمواقع الأحداث، إن لم يكونوا وسطها.

▪ عدا قربه من موقع الحدث، يعد هذا المتلقي كمواطن رقمي، غير مكلف وذوو مصداقية - ولو نسبية من وجهة نظر المؤسسة المستفيدة-⁽²⁸⁾ خصوصاً إذا تضمن إرساله مقاطع الفيديو صوتاً وصورة وبوضوح.

لقد اعترف كل من الباحثان شاين برومان وكريس وليس & (Willis Chris) (Bowman Shayne) على أن متطلبات الديمقراطية ستفرض على المؤسسات الإعلامية الاستجابة لمشاركة جماهيرها المواطنين في جمع وتحرير وتحليل مختلف القضايا، حيث وفي ديباجة موقع نحن الإعلام We The Media، أوردنا:

"نحن في بداية الحقبة الذهبية للصحافة، هي صحافة لم نعهدها من قبل. وقد تنبأ الكثير من الخبراء في مجال المستقبلات أن خمسين بالمائة من الإنتاج الصحفي سيتم بواسطة المواطنين مع حلول عام 2021"⁽²⁹⁾.

حيث كان الباحثان قد أعدا دراسة ضمن تقرير النصف الأول من عام 2003، رأياً فيها أن الغرض من مشاركة جمهور الإعلام، هو توفير تلك المعلومات المستقلة والدقيقة التي تحتاجها الديمقراطية، فيما يتعلق ببحث القضايا التي بحاجة إلى توفر معلومات ذات صلة ويمكن الاعتماد عليها⁽³⁰⁾.

خامساً: صحافة المواطن وإعادة التفكير في فلسفة المفاهيم

من بين المفاهيم الجديدة التي أفرزها الفضاء الافتراضي في علاقته بالممارسة الإعلامية:

المستخدم المبتكر: فالجمهور تحول إلى مبتكر فعلي للمضامين ومنتج لها (صور ومضامين تتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية اليومية)، بحيث تكون على شكل إبداعات أصيلة أو إعادة تدوين لمضامين الإعلام الكلاسيكي، فتصبح بذلك هذه المضامين صناعة ثقافية متفردة⁽³¹⁾.

وبالتالي لم يعد الجمهور مجرد متلقي؛ ففعل التلقي "Reception"، يشير إلى تسلم الرسالة الإعلامية، الذي يتم مع نهاية كل عملية اتصالية كاملة، ما يُمكن أن

يؤدي إلى وظيفة اجتماعية وثقافية. فالمتلقي في عملية التدوين وبشكل موازي وعند قراءته لأية رسالة، يستدعي مجموعة القواعد والبنى الجماعية التي على أساسها وقعت صياغة مضمون الرسالة⁽³²⁾.

فشبكة الانترنت وتطبيقات الأفراد لوسائلها، تعكس فضاء حرية التعبير وإبداء الآراء إزاء مختلف القضايا، من خلال الرموز الجماعية.

▪ **النخب الافتراضيون:** حيث برز الكثير من المدونون وأصحاب صفحات التواصل الاجتماعي ومنتديات النقاش المثيرة للجدل من رحم هذه الفضاءات الإلكترونية، وأصبحوا يشكلون نخباً جديدة في المجتمع رغم هويتهم الافتراضية الهجينة... بل أصبحوا نجوماً فوق العادة، مع سعي المؤسسات الإعلامية التقليدية ذاتها إلى استضافتهم. فموقع التواصل الاجتماعي الـ "Facebook" - الأكثر انتشاراً - أصبح ملاذاً لكبار النشطاء السياسيين والرياضيين وكذا الفنانين، فرصة لكسب أعداد إضافية من المؤيدين والمعجبين.

المنتج المستهلك: ف (Dan Gillmor) صاحب كتاب "We The Media"، يميل إلى التفاؤل في موضوع إعلام المواطن الذي بات منتجاً للمحتوى الإعلامي، ومستهلكاً في الوقت نفسه، حيث يعتبر أنه إذا ما تم الدفاع عن هذا النوع الجديد من الإعلام بقناعة، فإن المستقبل سيكون أفضل، يقول⁽³³⁾:

▪ "سيكون التحقيق والإنتاج المستقبلي عبارة عن حوار، أو حلقة دراسية، ستسقط الحدود بين المنتجين والمستهلكين... ستصبح الشبكة الاتصالية نفسها، أداة الكل لإسماع صوتهم، ولن يقتصر الأمر على أولئك الذين يستطيعون امتلاك صحف مطبوعة، أو إطلاق أرقام صناعية، أو استثمار رخص حكومية لاستخدام الترددات العمومية".

▪ **جماهير الإعلام:** إذ أن مستخدمي الوسائط الاتصالية أصبحوا جزءاً فاعلاً في تشكيل وصناعة المشهد الإعلامي، جنباً إلى جنب مع وسائل الإعلام التقليدية. لذا فإن الإقرار بمصطلح الإعلام الجماهيري، هو إقرار في حد

ذاته بالنظرة العمودية تجاه هذا الجمهور، فالقارئ أو المستمع أو المشاهد أو المستخدم كجمهور مستهدف، هو في حكم الوسيلة الإعلامية، وإلا لما كان من وظائف وسائل الإعلام إثناء وعي هؤلاء والارتقاء بتوجهاتهم ورغباتهم - مع مرحلة التلقي الكلاسيكي.

ويقول (Remy Rieffel) أن "معجم المهن" في طبعته لسنة 1880، يبين أن "ما يؤسس لـ (مهنة) هو التحضير المسبق لها، وعند الانتهاء من هذا التحضير، نباشر في ممارستها بنية شبه مؤكدة على امتحانها مدى الحياة، باستثناء حدث طارئ يحول دون ذلك. وعليه فإنه يمكن أن نكون مهندسين حتى وإن كنا دون منصب، ويمكن أن نكون أطباء أو محامين حتى إن لم يكن لنا زبائن... غير أنه لا يمكن أن نكون صحفيين، إلا إذا كتبنا في صحيفة... وعليه فإن الصحافة ليست مهنة بالمفهوم المعتاد للكلمة⁽³⁴⁾.

فهكذا تعريف بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في تصوراته تجاه المهنة والصحفي، واتجاه التطورات الحاصلة والمتسارعة للتقنية، التي جعلت من البعض صحفيين، حتى من "دون قصد"، فالبعض ومن خلال إبحاره وسط مواقع التواصل الاجتماعي، بإمكانه صناعة الحدث بمجرد بثه لصورة أو مقطع فيديو أو وثيقة ما للرأي العام، لم يكن للصحفيين المحترفين القدرة على الوصول إليها... أليس بالمقدور إذن نكون صحفيين، حتى وإن كنا دون منصب؟

فقد جلب المشهد المتغير لوسائل الإعلام وظهور نماذج جديدة للتوزيع والاستهلاك على الانترنت، ميلاد أدوار جديدة وتشكيلات مهنية مغايرة، فضلاً عن الجهات الفاعلة - شبه مهنية -، التي تُجمع تحت اسم الافتراضيون، أو ما يعرف بـ "صحافة المواطن"، فهناك سجل مفتوح حول المعايير التي لا بد من أن يتوفر عليها هؤلاء حتى نسميهم بـ "الصحفيين"... ومع أن الكثير من الدراسات وفي سياق المسح، تعتمد إلى إقصاء هذه الفئة من الأفراد المدونين بحجة هويتهم الافتراضية، إلا أن صفحات هؤلاء الهواة، تعتبر مصادر لكثير من الصحفيين المحترفين في رحلة توفير هؤلاء للمحتويات الإخبارية... مع أن هذه الأشكال

الجديدة للصحافة، تبقى تظهر بشكل هامشي في إحصاءات الهيئات المهنية والنقابات ومنظمات هذه الصناعة⁽³⁵⁾.

إلى ذلك فإن ضم ودمج المؤسسات الإعلامية Integrated media organization لهذه المنصات التقني- إعلامية، من شأنه أن يضفي نتائج غير مسبوقه على أشكال العمل الصحفي، خصوصاً عند التغطية الميدانية التي بإمكان الهيئة الصحفية تقاسم عبء توفير المعلومة مع أكثر من منصة إلكترونية. فتوظيف هذه البدائل التكنولوجية في الإنتاج الإعلامي، يؤدي لا محالة إلى إعادة تشكيل الهوية المهنية للصحفيين، وللعمل الصحفي ككل⁽³⁶⁾.

خاتمة:

لقد وفر ظهور شبكات التواصل الاجتماعي فتحاً ثورياً، أخذت الصناعة الإعلامية إلى تحديات غير مسبوقه، حيث أعطى لمستخدميه فرصاً أوسع في التأثير والإبحار عبر الحدود من دون قيود ولا رقابة - إلا نسبياً -، فقد أتاح هذا الظهور إمكانية إنتاج المعنى وتشاطر المحتويات مع الآخرين، في تطور يُشكك في جوهر النظريات الاتصالية المعروفة، ويوقف احتكار صناعة الرسالة الإعلامية، فالميديا الجديدة أجبرت وسائل الإعلام على الرضوخ لمنطقها من خلال إعادة تقاسم السلطة...

فكبرى المؤسسات التلفزيونية اليوم أعادت استراتيجياتها بما يتناسب وهذا الفضاء التقنوي الجديد، وباتت أكثر انفتاحاً على المجتمع، من خلال الاستثمار في فضاءات التفاعلية وخاصة مواقع الويب التي تمثل المنصة الأساسية لنظام جديد من التواصل الاجتماعي، قصد تشجيع الجمهور على تقاسم الأفكار والآراء إزاء قضايا الشأن العام، ومن ثم مقاسمته صناعة النظام الاتصالي مستقبلاً.

إن ما شكلته الميديا الجديدة، هو الانتقال الملحوظ والسلس؛ من نموذج إعلامي تحتكره السلطة، وتتأسس شرعيته على إيديولوجيا الهوية والتماسك، إلى

إعلام فقدت فيه السلطة المقدره كل المقدره على تنميط الوُجُهاَت، حينما تحول أفراد الصوامت" إلى صحفيون نشطون يمارسون مفهوم "الحق في الإعلام" إزاء مختلف الأحداث والقضايا ويشاركون نقلها، وهو ما يؤشر إلى تحول في طبيعة المجتمع، وفي طبيعة السلطة، وفي علاقة هذا الجمهور بالقائم بالاتصال، وهو في النهاية تحول في ماهية العيش المشترك.

إن تمثل رهانات التكنولوجيا الشبكية لا يقتضي منا اختزالها ك"عدة تقنية" فحسب، وإنما يجب علينا أن نُجتهد أكثر في البحث عن طبيعة العلاقة التي أفرزتها هاته الحوامل التقنية المتسارعة بين عناصر الفضاء الإعلامي، ومحاوله التفكير في انعكاسات استخدام هذه الحوامل داخل الفضاءات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المستخدم لها. ومن ثمة إعادة بناء مفاهيم إعلامية جديدة تتوافق وفلسفة هذه الممارسة الاتصالية. مع ضرورة التأكيد في ختام الورقة على أن نمط العلاقات الاجتماعية الجديد في المنطقة العربية ما يزال قيد التشكل ولم يكتمل بعد، وما يوجد فقط هو نمط يجمع بين المجتمع التقليدي والنظام التعاقدية الحديث⁽³⁷⁾.

❖ هوامش البحث:

(*) الصحافة كانت النواة الأولى للمجال العمومي العربي من جهة أنها مجال لتداول الأفكار والآراء، حيث مثلت الصحافة حلبة للجدل الفكري، كان المثقفون الفاعلين الأساسيين فيها.

Voir: Hichem Djait, *La crise de la culture islamique*, CERES éditions, 2000, P 200.

(1) دان جيلمور، الإعلام، أساس الصحافة من الجميع ومن أجل الجميع، (ترجمة: نيفين نور الدين)، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2010، ص 19 – 22.

(2) نصر الدين العياضي، (وسائط جديدة وإشكاليات قديمة، التفكير في عدة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية)، *المجلة الجزائرية للاتصال*، العدد 22، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، دار هومة، الجزائر، 2014 م، ص 138.

(3) جمال الزرن، (صحافة المواطن، المتلقي عندما يصبح مرسلًا)، *المجلة التونسية لعلوم الاتصال*، العدد 51 و52، 2009، ص 01.

(**) يشير نصر الدين عياضي، إلى أن البحث في المداخل المتعلقة بمواقع الشبكات الاجتماعية، أدى إلى تجديد إشكاليات البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال، وهو ما أدى أيضاً إلى تبلور مجموعة من الانشغالات البحثية المرتبطة بجملة من الثنائيات: (العزلة/ الاندماج)، (الحياة الخاصة/ الحياة العامة)، (الحرية الفردية/ الرقابة الجمعية)، (استبطان المعايير والقيم الاجتماعية/ التمرد عليها)، (التمايز/ التماثل)... وغيرها من الانشغالات الثنائية.

أنظر: نصر الدين العياضي، مرجع سبق ذكره، ص 136 – 137.

(4) الصادق رابح، (إعلام المواطن، بحث في المفهوم والمقاربات)، *المجلة العربية للإعلام والاتصال*، *المجلة العربية للإعلام والاتصال*، العدد 06، السعودية، 2010، ص 225 – 226.

(5) الصادق الحمامي، (الإعلام الجديد، مقارنة تواصلية)، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 04، 2006، ص 11.

(6) فائزة يخلف، (الإعلام الجديد وسوسيولوجيا التغيير في العالم العربي)، مجلة جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، العدد 91، الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر 2012، ص 53 – 54.

(7) A. Brody Douglas, **New media : New Perspective in communication**, New York, Longman, 2008, p13.

(8) **Benoit**، نقلًا عن: نصر الدين العياضي، مرجع سبق ذكره، ص 125.

(9) أولجا جوديس بيلي وآخرون، فهم الإعلام البديل، (ترجمة: علا أحمد إصلاح)، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2009، ص 71.

(10) Michel Dumais, **Technologie : Regard sur le journalisme citoyen**, deuxième partie, sur:

(www.LeDevoir.com).

(11) رحيمة عيساني، (شبكات التواصل الاجتماعي، أرقام ومؤشرات)، مجلة جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، العدد 96، الإمارات العربية المتحدة، فيفري 2014، ص 60.

(12) **Andreas Kaplan et Michael Haenlein.**

Voir: Les médias sociaux, Travaux menés par les membres de l'IAB (Interactive Advertising Bureau) France, November 2010, P 06.

(13) Ibid, P 06.

(14) أنظر الرابط:

Lasica, J. D, **What is Participatory Journalism?**, Online Journalism Review, 7 August 2003.
<<http://www.ojr.org/ojr/workplace/1060217106.php>>

المراجعة لـ: عباس مصطفى صادق، (مصادر التّظهير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، من فانفر بوش إلى نيكولاس نيغروبونتي)، ورقة علمية مقدمة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي، الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، أيام 07، 08 و09 أبريل 2009، ص 34.

⁽¹⁵⁾ Mark Glaser, **Digging Deeper: Your Guide to Citizen Journalism**, MEDIASHIFT, Sept. 27, 2006.

⁽¹⁶⁾ الصادق رايح، (إعلام المواطن، بحث في المفهوم والمقاربات)، مرجع سبق ذكره، ص 245.

⁽¹⁷⁾ الصادق الحمامي، (الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء والانبعاث)، مجلة الإذاعات العربية، تونس، ص 18.

⁽¹⁸⁾ نائلة حمدي، توصيف المدونات على الأنترنت ومستخدميها (Bloggers) في العالم العربي، نقلاً عن الموقع الإلكتروني:

www.aucegypt.edu/nhamdy/home.html

⁽¹⁹⁾ الصادق الحمامي، (الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء والانبعاث)، مرجع سبق ذكره، ص 22.

⁽²⁰⁾ أنظر كتابات Zizi Papacharissi:

- Zizi Papacharissi, **Virtual Sphere Internet as a Public Sphere**, in new media and society, 14 (01), 2002.

- Zizi Papacharissi, **A Networked Self, Identity, Community and Culture on Social Network Sits**, Routledge, 2011.

(***) صار نقل الخبر أو تأكيده أو تكذيبه لا يأخذ أكثر من ثواني معدودة، كما أصبحت الصور الملتقطة عبر كاميرات الهواتف النقالة، وأجهزة الأياد لقطات أساسية وحاسمة في نشرات أخبار كبريات القنوات.

أنظر:

A. Brody Douglas, Op cit, p 33.

(21) الصادق الحمامي، (الإعلام الجديد والإعلام الكلاسيكي بين الاتصال والانفصال، التلفزيون العمومي نموذجاً)، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، العدد 33، مصر، 2009، ص 22 - 23.

(22) عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد، المفاهيم، الوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان، 2008 م، ص 189.

(23) نقلاً عن: عبد العالي رزاق، (دور الإعلام الشعبي الإلكتروني في الثورات العربية)، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 22، الجزائر، 2014، ص 188 - 189.

(24) رضا النجار، جمال الدين ناجي، (تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الفرص الجديدة المتاحة لوسائل الإعلام بالمغرب العربي)، قمة مجتمع المعلومات، اليونسكو، تونس، نوفمبر 2005 م، ص 120.

(25) جين فوريمان، أخلاقيات الصحافة، (ترجمة: محمد صفوت حسن)، ط 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، 2012، ص 492.

(26) Ashley Packard, *Digital Media Law*, Willey-Blackwell, MA, USA, 2013, p 327.

نقلاً عن: عبد الرحمان عزي، قوانين الإعلام في ضوء الإعلام الاجتماعي، قراءة معرفية في النظام الأخلاقي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2014، ص 133.

(27) عبد الرحمان عزي، المرجع نفسه، ص 133 - 134.

(28) يُدخل البعض هذا الشكل من الصحافة، ضمن "اقتصاد المجان"، عكس الصحافة التقليدية التي تقوم في أغلبها على "اقتصاد سوق الأخبار".

(29) عباس مصطفى صادق، (مصادر التَّنْظِير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، من فانفر بوش إلى نيكولاس نيغروبونتي)، مرجع سبق ذكره، ص 34.

(30) Bowman, S. and Willis, C, **We Media: How Audiences are Shaping the Future of News and Information**, The Media Center at the American Press Institute, 2003.

(31) الصادق الحمامي، (الميديا الجديدة والمجال العمومي، الإحياء والانبعاث)، مرجع سبق ذكره، ص 22.

(32) Iannis Pledele, **Les blogs, les promesses d'un média à travers ses représentations collectives, illusions ou réalités à portée de clic ?** Le 31 mars 2013,

<http://archivesic.ccsd.cnrs.fr/docs/00/06/51/48/HTML/>

(33) **Voir:** Dan Gillmor ,**We the Media**, Grassroots Journalism by the People, for the People, O'Reilly Media, USA, 2004.

(34) Remy Rieffel, **Sociologie des médias**, éd. Ellipses, Paris, 2001, p 89 – 90.

(35) Economisti Associati, The Evaluation Partnership and European Journalism Centre, **Feasibility study for the preparatory action "ERASMUS for journalists"**, final report - Statistical Review, European Union, march 2010, p 20.

(36) **Voir:**

Edler I.J, **Researching Media Convergence and Crossmedia News Production Mapping**, the Field Nordicom Review 28, 2, 2007, pp 52 – 54.

نقلاً عن: الصادق الحمامي، (الإعلام الجديد والإعلام الكلاسيكي، بين الاتصال والانفصال)، مرجع سبق ذكره، ص 30.

⁽³⁷⁾ رشيد حمدوش، (مسألة الرباط الاجتماعي وسوسيولوجية الحياة اليومية أو المعاش)، مجلة إضافات، بيروت، عدد 17 و18، شتاء وربيع، 2012 م، ص 111 – 125.

دور الإعلام الجديد في التربية والتعليم

الدكتور: علي صالح أبو عائشه، جامعة الزاوية، ليبيا

الملخص:

إن وجود الإنترنت، وما يسمى بـ "الإعلام الجديد" من شبكات تواصل اجتماعي، ومواقع للفيديو يعتبر نقلة نوعية في المجتمع، وقد اجتهدت المؤسسات التعليمية للمقاربة بين التعليم وبين كل هذا العالم التقني، وأدخلته إلى داخل أسوار المؤسسات التعليمية، وربطت المناهج به، مما يجعلنا نتساءل كيف يتم استخدام الإعلام الجديد في التعليم؟ إن التعليم في الآونة الأخيرة استطاع مواكبة الإعلام الجديد، فلم يقتصر التعليم على الأساليب التقليدية المعتادة، بل أصبح المتعلم يجد المعلومات أينما ذهب، سواء كانت قنوات تعليمية على التلفاز أو قنوات تعليمية على شبكات التواصل الاجتماعية، ولقد ظهرت مؤخراً قنوات تعليمية مفيدة جداً، لاقت قبولاً في الوسط التربوي، وأصبح الإعلام الجديد إحدى الوسائل التعليمية المهمة.

Abstract :

The existence of the Internet, and so-called new media of social communication networks, video sites is a quantum leap in the community, has worked hard to educational institutions of approach between education and between all this technical world, and entered into the walls of educational institutions, and linked the curriculum it, which makes us wonder how it is the use of new media in education ? that education recently was able to keep up with the new media, film education is limited to the usual conventional methods, it has become a learner find information wherever he went, whether educational channels on television or educational channels on social networks, and has recently appeared educational channels were very helpful, they encountered widely accepted in the educational center, and became one of the new media teaching aids task.

مقدمة:

إذا اردنا ان نصف العالم اليوم، فعلينا ان نقول انه ذلك العالم الذي اختفي فيه حاجز الزمان والمكان، ففي غضون الثانية الواحدة، وفي اطار اختلاف التوقيت بين دولة وأخرى يمكن لأي شخص ان يطلع على ما يجري في أي جزء من اجزاء العالم، كذلك فلم يعد البعد المكاني يشكل حاجزا جغرافيا، فالاتصال بأي شخص يعيش في أي بقعة من بقاع الكرة الأرضية أصبح أمرا ممكنا .

كذلك أزيلت الحواجز اللغوية بين الأفراد، وأصبح هناك لغة واحدة للتعامل، وهي اللغة التي يجب ان يتقنها من يريد ان يتعامل مع الاخرين عبر وسائل الاتصال الحديثة (شبكات المعلومات والانترنت) لكي يواكب العصر، ويتوافق مع عالم متغير يتميز بثورة اعلامية ومعلوماتية تتضاعف وتنتشر بشكل لم يسبق له مثيل.

ويثير ذلك الامر جدلا شديدا بين المتخصصين حول النتائج والآثار المحتملة لتلك الثورة التكنولوجية الهائلة، سواء في الجوانب السلبية او الجوانب الايجابية، مثل الحق في التعبير، وحرية نشر المعلومات والضوابط القانونية المنظمة لها سواء كانت في المجتمعات المختلفة أو في المجتمع الواحد، وخاصة في وجود تدفق احادية الاتجاه، وهذا ترتب عليه سيطرة العالم المتقدم على العالم النامي، وممارسة ضغوط ثقافية واقتصادية وسياسية ناتج عن عدم التكافؤ في تبادل المعلومات.

ومن هنا تثار قضية كيفية توظيف تلك الثورة التكنولوجية الهائلة لوسائل الإعلام في القضايا المهمة، وقد تكون المعلومات الموضوعية البعيدة عن التزييف والتحريف التي يتناولها الإعلام الحديث وسيلة فعالة للتقريب بين الشعوب، والمساهمة في تطوير جميع المجالات سواء كانت مجالات تربوية تعليمية أو في مجالات التنمية البشرية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال هل الاعلام اليوم بقفزيته الرهيبة اثر على البشرية في مختلف انحاء العالم؟ وتتفرع عليه اسئلة فرعية منها. ما هو الاعلام الجديد، ومفهومه وخصائصه؟ وما هو الاعلام التربوي ودوره في العملية التعليمية؟

1. الإعلام الجديد :

كثر الحديث عن الاعلام الجديد وأهميته ودوره الهام والمميز في جميع مجالات الحياة، ويعتبر هو العامل المساعد علي اعادة تشكيل خارطة العالم في هذا العصر، عصر ما يعرف بالعولمة والتكنولوجيا الحديثة، والتي تعتبر من اهم العوامل التي ساعدت على تطوره، والإعلام الجديد تم تعريفه بعدة تعريفات نورد بعضها منها :-

الإعلام الجديد New Media أو الإعلام الرقمي Digital Media هو مصطلح لكافة تقنيات الاتصال والمعلومات الرقمية التي جعلت من الممكن إنتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات التي نريدها في الوقت الذي نريده وبالشكل الذي نريده من خلال الأجهزة الالكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالانترنت والتفاعل مع المستخدمين الآخرين كائناً من كانوا وأينما كانوا⁽¹⁾.

كما عرفته مجلة بي سي بأن الإعلام الجديد هو " شكل من أشكال التواصل في العالم الرقمي والتي تتضمن النشر على الأقراص المدمجة وأقراص الدي في دي (D.v.D) وبشكل أكثر أهمية على شبكة الإنترنت⁽²⁾.

وكذلك تم تعريفه من قبل موسوعة ويب أوبيديا من ناحية أخرى بأن الإعلام الجديد "مصطلح يضم كل أشكال التواصل الإلكتروني المختلفة والتي أصبحت ممكنة من خلال استخدام تقنيات الحاسب الآلي. وبالنظر إلى علاقة هذا المصطلح بوسائل الإعلام القديم مثل الصحف المطبوعة والمجلات والتي تتسم بوضوح نصوصها ورسوماتها، فإن وسائل الإعلام الجديد تشمل كذلك على

المواقع على الشبكة العنكبوتية، والنقل المتدفق للصوت والفيديو وغرف الدردشة البريد الإلكتروني، ومجتمعات الإنترنت، وإعلانات الإنترنت، أقراص السي دي، والدي في دي، الواقع الافتراضي، دمج البيانات الرقمية مع الهاتف، والكاميرات الرقمية والهواتف الجواله⁽³⁾.

2. خصائص الإعلام الجديد

اختلف الاعلام اليوم على ما كان عليه في السابق سواء كان في الوسائل المستخدمة او الادوار التي يقوم بها، وأصبحت له خصائص تختلف على تلك الخصائص التي كانت للإعلام في السابق، ومن اهم خصائص الاعلام الجديد هي⁽⁴⁾.

- الإعلام الجديد باستخدام التكنولوجيا الحديثة غيرت من شكل أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال والتي تطلب درجة عالية من الانتباه، فالمستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل (active) يختار فيه المحتوى الذي يريد الحصول عليه، فالإعلام الجديد من ناحية أخرى غير تلك العادات بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بين المستخدم والوسيلة.
- الإعلام الجديد باستخدام التكنولوجيا الحديثة، أدى إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى، وألغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل، فبعض الصحف اليوم مثلاً أصبحت صحف إلكترونية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي تستخدم الأقمار الصناعية لإرسال صفحاتها إلى عدة مراكز طباعة في نفس الوقت وتستخدم الكمبيوتر في كافة عملياتها بل أنه يمكن قراءتها مباشرة على الإنترنت، كذلك التلفزيون والإنترنت اندجما أيضاً بشكل شبه كامل، فجهاز التلفزيون أصبح يستخدم لمشاهدة برامج التلفزيون وفي نفس الوقت استخدام الإنترنت وإرسال واستقبال رسائل البريد الإلكتروني.

كما أن جهاز الكمبيوتر أصبح بالإمكان استخدامه كجهاز استقبال لبرامج التلفزيون والراديو، شركات الكيبل التلفزيوني أصبحت تعتمد على الأقمار الصناعية في بث برامجها، وهكذا نجد أن معظم وسائل الإعلام الجماهيري الحالية أصبحت وسائل إلكترونية، وهذه خاصية أخرى هامة لتكنولوجيا الإعلام الجديد أنها جعلت من حرية الإعلام حقيقة لا مفر منها، فالشبكة العنكبوتية العالمية مثلاً جعلت بإمكان أي شخص لديه ارتباط بالإنترنت أن يصبح ناشراً وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة لا تذكر، هناك أيضاً على الإنترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار التي يمكن لمستخدميها مناقشة أي موضوع يخطر على بالهم مع عدد غير محدود من المستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم، كما أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات إضافة إلى انتشار أجهزة الهواتف الذكية المزودة بالكاميرات الرقمية والقدرة على الارتباط بالإنترنت من أي مكان أدت إلى رفع سقف حرية التعبير والحصول على المعلومة والقدرة على الاتصال بشكل غير مسبوق.

- الإعلام الجديد هو إعلام متعدد الوسائط حيث أنه أحدث ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي الذي يحتوي على مزيج من النصوص والصور وملفات الصوت ولقطات الفيديو، وهذا المحتوى متعدد الوسائط انتشر بشكل هائل خلال السنوات الماضية وبشكل خاص عبر ما يعرف بصحافة المواطن وكان له تأثيرات اجتماعية وسياسية وتجارية كبيرة تستلزم التدبر والدراسة.

- تعدد الخيارات - ويقصد بذلك زيادة وتعدد الخيارات أمام مستهلكي وسائل الإعلام والذين أصبح وقتهم موزعاً بين العديد من الوسائل مثل المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية وألعاب الفيديو الإلكترونية بجانب الوسائل التقليدية من صحف وإذاعة وتلفزيون.

- أصبح ليس من الضروري لوجود المرسل والمتلقي في نفس الوقت، فالمتلقي بإمكانه الحصول على المحتوى في أي وقت يريده .

1. الانتشار وعالمية الوصول، ويقصد بالانتشار شيوعه ووصوله إلى جميع شرائح المجتمع تقريبا، إضافة إلى عالميته وقدرته على تجاوز الحدود الجغرافية.

3. مراحل تطور الاعلام الجديد

على مدى عصور طويلة مضت، كانت وسائل الإعلام التقليدية من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون هي محور الوسائل الاتصالية والإعلامية التي يتم استخدامها للوصول إلى الجماهير وإيصال الرسائل المختلفة إليهم سواء كانت تلك الرسائل تحمل طابعا سياسياً أو اجتماعياً أو تجارياً أو غير ذلك.

وكان البث التلفزيوني والإذاعي، محدودا وفي نطاق ضيق بسبب الاعتماد الكامل على تواجد المراسل أو الصحفي في موقع الحدث ليقوم بأخذ الصور عن طريق كاميراته وبعض المعلومات من الأشخاص المتواجدين في موقع الحدث، وقد تأخذ المعلومات والأخبار وقتاً طويلاً كي تصل إلى المتلقي في بلدان أخرى

وبالرغم من أهمية الدور الذي كانت تقوم به تلك الوسائل، إلا أن وسائل الإعلام الجديد أعادت تشكيل خارطة العمل الاتصالي والإعلامي في المجتمعات المعاصرة بما تحمله من خصائص عالمية الانتشار وسرعة الوصول وقلة التكلفة.

وبوجود شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، لم تعد كتابة الأخبار حكراً على المراسلين أو القنوات الإخبارية، حيث أصبح بإمكان أي شخص عادي أن ينشر الأخبار والمعلومات ويمررها للآخرين مرفقاً بالصور أو بمقاطع الفيديو المناسبة، ومع الطفرة التكنولوجية الحديثة أصبح بالإمكان نشر الأخبار والمعلومات في دقائق معدودة لكل الأشخاص في مختلف البلدان والأقطار، وصار بالإمكان أخذ وجهات النظر في نفس اللحظة، وذلك بوجود الوسائط المتعددة التي تسهل عملية انتقال المعلومات، وهذا ما يسمى بالإعلام الجديد (New Media) فعندما يتسلح أي مواطن بمجموعة من آلات الاتصال الالكترونية الصغيرة (كاميرا رقمية، حاسب محمول، مسجل صوتي صغير.. الخ) وينطلق إلى

الميدان يقتنص الأخبار، فإنّ هذه التقنية الذكية تمكّنه من أن يتحوّل إلى صحفي، وعندما يقوم أي مواطن بإعداد حديث صحفي مع شخصية عامّة وينشر تفاصيله على مدونته الالكترونية فإنّ هذا العمل يخوّله أن يصبح صحفياً محترفاً، وعندما ينشر أي مواطن أخباراً ومعلومات لم تسبقه إليها المؤسسات الإعلامية التقليدية العريقة فإنّ هذا السبق الصحفي يضيف عليه صفة الصحفي⁽⁵⁾.

لقد بقيت وسائل الإعلام التقليدية لفترة ليست بالقليلة مسيطرة على المشهد الاتصالي في المجتمعات البشرية المعاصرة. ولقد كانت النظرة التقليدية لوسائل الإعلام بأنها وحدة مركزية للتواصل داخل المجتمع لا يمكن تجاوزها، فكل من يرغب في التواصل بأي شكل سواء كان أفراداً أو مؤسسات كان يجب عليه أن يصل لهذه المؤسسات لكي يستطيع العبور من خلالها للجماهير العامة، وفي ظل هذا الأسلوب واجهت الكثير من الصعوبات في اغلب الاحيان في الوصول للشرائح المستهدفة عبر هذه البوابات، وذلك نظراً لمتطلبات متعلقة بالسياسات والتكاليف المادية وأسلوب العمل في هذه المؤسسات، ولقد جاءت وسائل الإعلام الجديد لتحل مشكلة سيطرة وسائل الإعلام التقليدية المركزية، وأصبح بإمكان الأفراد والمؤسسات مخاطبة الجميع مباشرة وبتكلفة معقولة⁽⁶⁾.

إن قوة وسائل الإعلام الجديد لا تقتصر على مجرد خاصية التفاعل التي تتيحها والتي تسمح لكل من المرسل والمستقبل بتبادل أدوار العملية الاتصالية، ولكن تلك الوسائل أحدثت أيضاً ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي متعدد الوسائط والذي يشتمل على النصوص والصور وملفات الصوت ولقطات الفيديو.

وهذه الوسائل دفعت الجميع أفراداً وشركات ومنظمات غير ربحية وحكومات إلى القفز على تلك الوسائل الجديدة التي استطاعت خلال فترة زمنية قصيرة إحداث الكثير من التأثيرات المذهلة على المستويات السياسية والتجارية والاجتماعية والتقنية، حيث برزت شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر والمدونات ويوتيوب وغيرها إضافة إلى الانتشار الكبير للهواتف الذكية مثل

الآي فون وبلاك بيري وكذلك الأجهزة اللوحية مثل الآي باد وجالكسي تاب والتي كان لها تأثيرات كبيرة لا يمكن تجاهلها⁽⁷⁾.

4. شبكات التواصل الاجتماعية وأثرها على العالم

شهدت البشرية عبر تاريخها ظهور العديد من الاختراعات التي أثرت تأثيراً جذرياً على حياة الناس، فقد شهدت القرون الماضية على سبيل المثال ظهور ابتكارات تقنية بالغة التأثير مثل السيارة والتلفزيون والراديو والكمبيوتر والتي وبالرغم من التأثير الكبير الذي أحدثته، إلا أن تلك التأثيرات لا تزيد في أهميتها على تلك التي يقوم بها الإنترنت اليوم من حيث سرعة التأثير وعمقه وانتشاره .

إن أهمية الإنترنت تكمن في قدرته على تغيير مفاهيم الاتصال وتوزيع المعرفة، وقد ازدادت تلك الأهمية مع ظهور وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر والتي استطاعت أن تغير بشكل كبير طريقة تواصل الناس وتفاعلهم، وطريقة تسويق المنتجات وبيعها، وطريقة تواصل الحكومات مع مواطنيهم، وطريقة أداء الشركات لأعمالهم، كما أنها غيرت مفهوم العمل التطوعي والكيفية التي يمارس بها الناشطون السياسيون والاجتماعيون والحقوقيون أشطتهم، ونلاحظ إن تلك الشبكات الاجتماعية بدأت في التأثير في العملية الديمقراطية نفسها⁽⁸⁾.

هذه الشبكات الاجتماعية بدأت في الظهور كأدوات ثورية التأثير وقدرات كامنة لم يظهر منها حتى الآن إلا القليل.

1.4 تعريف شبكات التواصل الاجتماعي

شبكات التواصل الاجتماعي: هي مصطلح يشير إلى تلك المواقع على شبكة الإنترنت والتي ظهرت مع ما يعرف بالجيل الثاني للويب (Web2) حيث تتيح التواصل بين مستخدميها في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم وفقاً لاهتماماتهم أو انتمائهم، بحيث يتم ذلك عن طريق خدمات التواصل المباشر كإرسال الرسائل أو المشاركة في الملفات الشخصية للآخرين والتعرف على أخبارهم ومعلوماتهم التي

يتيحونها للعرض، وتتنوع أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام وتكوين الصداقات حول العالم وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين شبكات اجتماعية في نطاق محدود في مجال معين مثل شبكات المحترفين وشبكات المصورين وشبكات الإعلاميين.

وتعرف موسوعة ويب اوبيديا الشبكات الاجتماعية بأنها: "عبارة تستخدم لوصف أي موقع على الشبكة العنكبوتية يتيح لمستخدمه وضع صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على الصفحة الشخصية، ومواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع الاجتماعي، مجموعات النقاش الحي، غرف الدردشة وغيرها من المواقع الاجتماعية الحية⁽⁹⁾.

ويوجد حالياً على الإنترنت أكثر من 400 موقع شبكات اجتماعية، وتتمثل أهم تلك الشبكات الاجتماعية في المدونات والمنتديات، إضافة إلى مواقع عديدة مثل الويكي Wiki، والفيسبوك وتويتر، إضافة إلى تلك التطبيقات التي قدمتها بعض الشركات الكبرى لدعم الفكر الاجتماعي في التفكير والمشاركة مع مستخدمي مواقعها مثل جوجل وياهو واللذان أهما بالتحديد الجمعي والكتابة وتنفيذ العروض المشتركة، ومواقع خدمات وتخزين الصور وإعادة عرضها وإرسالها مثل فليكر Flickr ونشر مقاطع الفيديو مثل يوتيوب YouTube، وغيرها من الخدمات والتقنيات التي تجذب اهتماماً فردياً مع تبادل المشاركة والنشر بين المستخدمين.

لقد أحدث هذا الاختراع انعكاسات كبيرة على قواعد حرية النشر والتعبير، وتدعيم الفكر الديمقراطي وحقوق الإنسان وغيرها من مفاهيم سياسية واجتماعية وتجارية انتشرت وتكونت حولها الجماعات مستفيدة من سهولة استخدامها والمشاركة فيها دون خبرات تقنية أو تكاليف مادية يرى البعض أنها سوف تؤدي إلى بزوغ "فكر كوكبي" يعمل على تغيير العالم⁽¹⁰⁾.

2.4 بعض ايجابيات وسلبيات الاعلام الجديد

التربية الإعلامية هي المبادئ والأحكام التي يكتسبها الفرد من وسائل الاعلام وتعريفه بالأسلوب الصحيح للتعامل مع هذه الوسائل، وقد كشفت الدراسات العلمية عن أهمية التربية الإعلامية في المجتمعات العربية الاسلاميه بعدما هيمنت وسائل الاعلام على الساحة الدولية، وأصبحت تشكل خطورة على الجمهور المتلقي، الذي اصبح ضحية لكل ما يقدم له دون ان يميز بين ما يضره وما ينفعه في عصر ثورة العلم والمعرفة التي نعيشها بفضل التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال لا سئما الاعلام الفضائي لما يتمتع به من سعة في الانتشار وقوة في التأثير تتزايد لدى الجماهير يوما بعد يوم، والإعلام الناجح هو مرآة يعكس ما يدور في العالم بما ينقله من رسائل واقعية وأخرى خيالية، ومفاهيم ومعارف، وقد توصلت إحدى الدراسات إلى ان ثلثي معلومات الفرد أصبح يحصل عليها من وسائل الاعلام المختلفة⁽¹¹⁾.

وسائل الاعلام العربية يرى البعض انها دون مستوى التحدى في بناء مجتمع المعرفة وحماية الجماهير في العالم العربي لأنه قلما تهتم هذه الوسائل بصفة خاصة بالعلماء والمفكرين والمبدعين بل نجدها تمجد نجوم السينما والفن والرياضة والطرب حتى اصبحوا مثلا أعلى للشباب، والطامة الكبرى بما تقدمه من إعلانات تليفزيونية مما قد يدعو الشباب صراحة إلى الانحراف والابتذال فيتحول الإنسان العربي إلى شخص استهلاكي ينشغل فقط بتحقيق رغباته ومتعة الشخصية، وهذا يعني أن الإعلام العربي قد اصبح في حاجة إلى وقفة كى يكون إعلاما هادفا له رسالة، ويدعو إلى العمل والبعد عن الاستهلاك المبنى على التسلية والترفيه فقط ويسهم في تحقيق التنمية الحقيقية التي تسعى إلى الارتقاء بمستوى معيشة البشر وأنماط حياتهم بفضل التحول من الجمود إلى الانجاز، إلى إنسان يهتم ويفكر في المستقبل العام للوطن، ومن ثم فإنه لا بد من تشجيع وسائل الاعلام على تنمية نمو العقل الفكري الحديث لإيجاد المجتمع الانتاجى الذى يعتمد على

نفسه لا المجتمع الاستهلاكي الذي يعتمد على الغير ويستهلك انتاج حضارة الآخرين دونما عطاء مقابل⁽¹²⁾.

5. مسؤولية الاعلام العربي في عصر العولمة

إذن لابد من إيجاد الاعلامى الذى يملك الثقافة العلمية التربوية الحقيقية وله القدرة فى توصيل المعلومات والمعارف، والرسالة الإعلامية، وفي الحقيقة ان رجال الاعلام هم ضيوف على كل بيت وفى كل وقت وهم أحوج ما يكونوا إلى التربية الإعلامية السليمة، وإعدادهم وتأهيلهم التأهيل السليم، لأن التأهيل التربوي لرجل الاعلام عن طريق التعليم والتدريب المستمر هو الطريق للوصول لممارسة إعلامية سليمة طالما أننا نتطلع إلى اليوم الذى يشهد فيه العالم العربى نهضة إعلامية تقودها كوادر قادرة على النهوض بهذه الرسالة السامية.

إن المناهج الدراسية فى شتى مراحل التعليم الاساسي والمتوسط فى العالم العربى تفتقر إلى وجود مادة إعلامية فى مناهجها الدراسية شأنها فى ذلك شأن التربية الموسيقية والرياضية والفنية والزراعية والتجارية والحرفية، ولا يخفى ان التربية الإعلامية تواجه تحديات كثيرة يلزم مواجهتها على المستوى العربى والإسلامى، إذن لابد من الدخول بقوة فى عصر المعلومات والتدفق المعرفى بحيث يمكن اللحاق بأسرع ما يمكن من منجزات العصر العلمية والتكنولوجية، والى جانب التأكيد على منظومة القيم التى تشكل الخصوصية الثقافية العربية ومن أهمها القيم الدينية والأخلاقية والعادات والتقاليد والموروث الشعبى، مع ضرورة التحوار مع الثقافات الأخرى من منطلق الندية لا التبعية ويجب لا نقع فريسة لأيه ثقافة.

التربية التعليمية يجب أن تأخذ على عاتقها تحقيق التوازن بين المحافظة والتجديد دون التوقوع فى ماض عريق أو التعولم المطلق غير المشروط و إنما التقدم المحسوب الذى يحكمه منطق الانتقاء فى ضوء الحاجة إلى الحدائة مع التمسك بالهوية العربية الاسلامية، ومساعدة الجماهير العربية على مواكبة العصر

وتوظيف معطياته والإسهام بالجهد الذى يجعل منها منتجة للحضارة وليسوا فقط مستهلكة لها، ولا نحسب الأمر باليسير إذ ان تربية الفرد إعلاميا فى مثل هذا المجتمع وفى مثل هذا العصر أمر بالغ الصعوبة لأنها تحدث فى مناخ تسوده قيم غير ثابتة سريعة للتحوّل متعددة الاتجاهات، ونظرا لأهمية التربية الإعلامية فإنه يلزم بذل الجهد من قبل المفكرين والباحثين الاعلاميين والتربويين لوضع تصور علمي للمعلومات والمعارف التى ينبغي ان يلم بها الإنسان العربى وهو يعيش الآن فى القرن الحادى والعشرين وكذلك القيم والاتجاهات التى ينبغي ان يتحلّى بها، وتصميم برامج تدريبية للمعلمين فى مجال التربية الخاصة بوسائل الإعلام، يقتضى تصميم برامج تربوية لجميع المراحل التعليمية⁽¹³⁾.

6. الإعلام التربوي

يعتبر الإعلام التربوي احدى الدعائم الاستراتيجية لتطوير البنية التحتية للمنظومة التربوية والتعليمية فى البلاد، والتي تحتاجها البلاد لبناء مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحضارية، كما انه يحظى بأهمية كبيرة مقارنة بالفروع الإعلامية الأخرى باعتباره إعلاما يخاطب العقول ويهدف لتربية الفرد وبناء شخصيته، ويقوم الإعلام التربوي بعملية التكامل بين الإعلام والتعليم ورفع درجة الوعي والثقافة والإمام بالعلوم والمعارف والمحافظة على القيم والأخلاق الفاضلة كما تقره المناهج التربوية، على اعتبار أن كل ذلك يعد من الضروريات الإنسانية لرقى المجتمعات وتقدمها، فالتربية وسيلة للحفاظ على التراث الثقافى والقيم وتشكيل الفرد وتكوين ثقافته، وتساعد على مواجهة تحديات الثقافات الوافدة .

ولتزايد كمية المعلومات ونوعيتها اصبح الإعلام التربوي ضرورة ملحة لمواكبة تطورات العصر ليسهم فى التجديد التربوي المعتمد على الأساليب التكنولوجية الحديثة كي يقوم بعملية التنشئة والتثقيف متجاوزا عقبات المكان والزمان وعاملا على بث المواد والبرامج التربوية والتعليمية بشكل مباشر وغير مباشر إلى كل الأعمار ومختلف الفئات مما يساهم فى زيادة القدرات الثقافية

والعلمية للجميع ويزيد فرص الناس من التمكن من المناهج التربوية، داعماً لعملية التنمية والتطوير للعملية التربوية وأهم الاستراتيجيات المناسبة للنهوض بها.

1.6 مفهوم الإعلام التربوي

ظهر الإعلام التربوي في أواخر السبعينات عندما بدأت المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) باستخدامه كمصطلح للدلالة على التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية وأساليب توثيقها وتصنيفها، والاستفادة منه، وذلك أثناء انعقاد الدورة السادسة والثلاثين للمؤتمر الدولي للتربية عام 197م.

وتطور مفهوم الإعلام التربوي مع التطور التقني الهائل الذي طرأ على وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة، والذي تمثل في إلغاء الحواجز الزمنية والمكانية من خلال تقنية البث الفضائي عبر الأقمار الاصطناعية، وامتد ليشمل الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة، المتمثلة في السعي لتحقيق الأهداف العامة للتربية في المجتمع، والالتزام بالقيم الأخلاقية⁽¹⁴⁾، والبعض يعزى تطور مفهوم الاعلام التربوي إلى تطور مفهوم التربية الذي أصبح أوسع مدىً، وأكثر دلالة فيما يتصل بالسلوك وتقويمه، والنظرة إلى التربية على أنها عملية شاملة ومستدامة، وتحورها من قيود النمط المؤسسي الرسمي، والي انتشار وسائل الإعلام على نطاق واسع، وتنامي قدرتها على جذب مستقبل التربية الرسمية، وكذلك تسرب بعض القيم السلبية، والعادات الدخيلة على ثقافة المجتمعات، وتحديدًا في البلدان النامية تحت غطاء حرية الإعلام .

إن مفهوم الإعلام التربوي هو استثمار وسائل الاتصال من أجل تحقيق أهداف التربية في ضوء السياستين التعليمية والإعلامية للدولة، لكن ظل هناك اختلافًا حول المفاهيم الخاصة به حسب التصورات والمدارس الفكرية المختلفة فهناك من اعتبره عملية التركيز على معلومات تربوية وبذلك يكون الإعلام

التربوي هو الإعلام عن الجهود التربوية ويعرف حسب والبعض الآخر بأن مفهوم الإعلام التربوي ينحصر في جمع الوثائق .

ويُعرف الإعلام التربوي بأنه (نظام إعلامي يخدم الجوانب التربوية عن طريق تسخير الوسائل الإعلامية، وبما وصلت إليه من تقنيات عالية في إيصال المعلومة لنقل الأسس والمفاهيم التربوية التي من شأنها تعديل السلوك والاتجاهات لدى المجتمع والوقوف في وجه التدخلات الإعلامية)⁽¹⁵⁾.

كما يعرفه البعض الآخر على انه (خدمة فئات معينة من العاملين في ميدان التعليم بينهم المخططون والباحثون والأخصائيون والموجهون ومصمموا المناهج والمختصون في اقتصاديات التعليم وفي شؤونه الإدارية) .

بينما يرى فريق آخر أن الإعلام التربوي هو الاستفادة من علوم الاتصال وتقنياته من اجل الوصول إلى أهداف التربية، وعلى هذا الأساس، عُرف الإعلام التربوي بأنه (الاستفادة من التقدم في تقنيات الاتصال وعلومه لتحقيق أهداف التربية)⁽¹⁶⁾.

ويمكن الوصول لتعريف اجرائي للإعلام التربوي بأنه : —

(فرع من فروع الإعلام المتخصص يستخدم الوسائل الإعلامية المختلفة لخدمة الأهداف التربوية والتعليمية بطريقة تكاملية بما يمكن من إنجاز أهداف العملية التربوية بشكل أوسع و اكثر فاعلية متجاوزا عقبات المكان والزمان، أي أنه التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية وأساليب توثيقها وتصنيفها والاستفادة منها) .

2.6 أهمية الإعلام التربوي

إزدادت أهمية الإعلام التربوي في المجتمع مع زيادة نمو صناعة الإعلام وأهمية المعلومات الاتصالية في العصر الحالي، وبرز كضرورة ملحة للتعامل مع الواقع الجديد لكسب التعلم والثقافة، يساعدها في ذلك تعاظم بث المعلومات

والأحداث في عصر ثورة المعلومات باستمرار بدون اي انقطاع وبشتى الأشكال و الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة سواء كانت ورقية أم إلكترونية.

وهنا تبرز أهمية دور الإعلام التربوي في توجيه المجتمع بكل فئاته وشرائحه المختلفة من خلال كيفية التعامل مع تلك الكميات الهائلة من المعلومات واستغلالها في اكتساب الثقافة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعلم والإبداع والبحث عن الحقائق وكيفية الوصول إليها ، وتجنب الوقوع في الجوانب غير المفيدة.

وتكمن أهمية الإعلام التربوي بدوره الكبير في العملية التربوية والتعليمية باعتباره الوسيلة الأكثر انتشارا، فمن خلال وسائطه المتعددة له القدرة على الإسهام في تصحيح وترسيخ القيم والأفكار والارتقاء بتعليم الأجيال، حيث يقع على عاتق الإعلام التربوي مهمة تنشئة وإعداد الأجيال وتمكينها من التكيف والتأقلم مع مستجدات العصر من خلال التحكم في التدفق المعلوماتي لمختلف المجالات التربوية، لأن تأثيره يصل إلى قطاعات واسعة من شرائح المجتمع.

ويقوم الإعلام التربوي بدور التربية في المجتمع، ويؤثر في التفكير والقيم والسلوك والعواطف لكافة أفراد المجتمع، وهو الحقل الضروري لتكاثف جهود الإعلاميين والتربويين لتعزيز مسيرة التطوير التربوي والمعرفي في المجتمع وكما تظهر أهمية الإعلام التربوي في مجالات التثقيف ومساندة عملية التنمية الشاملة.

فالإعلام التربوي يقوم ببناء واقع ملموس ينتج على ضوئه بناء فهم شخصي للعالم من قبل الفرد وكذلك يعمل على تكوين وتشكيل وجهات نظر من خلال ما يبثه من مواد وبرامج توجيهية وتثقيفية وتعليمية مبنية على الخبرة والخلفية الثقافية، ومجموعة من القيم التي توجه سلوك الفرد وتؤثر فيه بشكل إيجابي من خلال ما يحتويه من مضامين ثقافية واجتماعية وسياسية تحمل قيم وأيديولوجيات مختلفة، وتبرز أهمية الإعلام التربوي في توفيره لإمكانية وصول الناس إلى المهارات والخبرات التي يحتاجونها في كيفية تشكيل إدراكهم وتهيتتهم

لمشاركة اجتماعية بصورة اكثر فاعلية وتأثير، كما يعمل الإعلام التربوي على دمج التقنيات الحديثة في التعلم، و يشجع حركة الإصلاح التربوي، كما أنه يعمل على تنمية الشعور بالمسؤولية والعمل الجماعي و يحث الإعلام التربوي على الاستهلاك الحكيم للمواد والبرامج الإعلامية المختلفة من قبل الناس ويزيد من قدراتهم الاتصالية والتعبيرية ويمكنهم من كيفية التعامل مع الثقافات وتوفير فرصة لتطوير المناهج الدراسية، وبناء مهارات المواطنة المطلوبة للمشاركة العامة .

3.6 أهداف الإعلام التربوي

الأهداف للإعلام التربوي متعددة، و يتزايد الاهتمام بها وذلك لأهميتها في توجيه النشاطات التربوية المتعددة، وإضافة لأنها اداة من ادوات التقويم لأداء المؤسسات التعليمية ومن أهم هذه الاهداف ⁽¹⁷⁾.

- ✓ الإسهام في تحقيق أهداف سياسة التعليم وتنمية الاتجاهات السلوكية للأفراد عبر وسائل الإعلام المختلفة.
- ✓ المحافظة على التراث التربوي للمجتمع ونشره والتعريف بالجهود التربوية والعلمية المبذولة من قبل الباحثين والعلماء والخبراء وإبراز منجزاتهم والمحافظة عليها.
- ✓ المشاركة في نشر الوعي التربوي على مستوى القطاعات التعليمية المختلفة وعلى مستوى المجتمع بوجه عام والأسرة بوجه خاص .
- ✓ التنسيق بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات التربوية- لتغطية مختلف جوانب العملية التربوية والتعليمية وتوثيق نشاطاتها .
- ✓ إبراز دور المدرسة بصفقتها المؤسسة الأساسية للتربية والتعليم والتأكيد على ضرورة دعمها ومساعدتها في أداء رسالتها العظمى.
- ✓ إيجاد قنوات إعلامية للتعليم المستمر والتعليم عن بعد ..

✓ التعريف بالتطورات الحديثة في مجالات الفكر التربوي، والتقنيات التعليمية والمعلوماتية.

✓ تلمس مشكلات المجتمع والإسهام في معالجتها معالجة تربوية إعلامية.

✓ العناية بالتربية الوقائية والإنمائية والعلاجية.

4.6 وسائل الإعلام التربوي

للإعلام التربوي وسائل متعددة، أهمها (18):

• القنوات التلفزيونية: و تعد الوسيلة الإعلامية الأولى من حيث الفعالية في الاتصال والتأثير و ينبغي الاستفادة منها في مجال العملية التربوية التعليمية.

• الصحف والمجلات: و تمتاز بإمكانية الطرح المتعمق والواسع، و المشاركة الجماهيرية، و سهولة الاحتفاظ بها و تداولها، وخاصة الصحف والمجلات المتخصصة في التربية والتعليم.

• النشرات والمطويات والمطبوعات والملصقات : و يمكن لهذه الوسائل أن تؤدي دوراً على مستوى المدرسة و البيئة المحيطة بها، والمهتمة بمضامين تربوية جيدة .

• الكتب والدوريات المتخصصة: و هي وسائل ضرورية لتثقيف القائمين على التربية والإعلام التربوي، ومن خلالها يتم عرض النظريات التربوية.

• التكنولوجيا الحديثة: ويمكن استثمار ثورة الاختراعات التكنولوجية وخاصة في مجالات التواصل ومجال تطوير الكمبيوتر.

• المدونات وشبكات التواصل الاجتماعي: إذ تعتبر إحدى أهم الوسائل الإعلامية في مجالات التخصصية بسبب تعدد المحررين وبهذا تكون فائدتها عميقة وسريعة.

5.6 وسائل الإعلام التربوي وأثاره على العملية التعليمية :

وسائل الإعلام التربوي هي ادوات التواصل الجماهيرية بين المتعلم والعالم الخارجي وقد تطورت بصورة مذهلة في السنوات الأخيرة - خصوصا في الجانب المرئي- وتوفرت العديد من الخيارات، لدرجة أن نجد العديد من المتعلمين خاصة صغار السن لا يعرف الشارع، ولا يخالط أسرته وجل مادته المعرفية وثقافته الشخصية مصدرها وسائل الاعلام، لذلك يمكن القول ان وسائل الاعلام بأنها المؤثر الأول والأقوى على المتعلم.

والإعلام المشاهد والمقروء والمسموع مؤثر هائل في تكوين شخصية الافراد ، لما يتمتع به من حضور وجاذبية وإتقان، والمشكلة اليوم أن المتعلمين لا يتعرضون لتأثير إعلام واحد صادر عن جهة واحدة ، يمكن التفاهم معها من أجل التقريب بين مفردات الرسائل التي يوجهها لهم، بل تنتمي إلى أكثر من (130) بلداً في العالم ، وهي تعكس ثقافات وديانات وتطلّعات متباينة، وإن نسبة غير قليلة من الناس قد تركت أبنائها للفضائيات من غير قيود تُذكر، ولهذا فإن ما يقوله الأبوان بات يُفهم لدى أبنائهم في ضوء الخلفية الثقافية العميقة والمتماسكة التي بناها الإعلام بشتى صورته ومكوناته لديهم، وبهذا فعلاً يصبح ما يقوله الأبوان جزءاً مرتبهاً للكل أكثر من أن يكون بعضاً منه ⁽¹⁹⁾.

لقد أصبحت المادة الإعلامية الموجهة للأفراد وخاصة صغار السن منهم من أخطر الصناعات الإعلامية في العصر الحالي، ومن أكثر الصناعات التي تشهد إقبالا من طرف المستثمرين وشركات الانتاج العالمية، نظرا لما تدره من أرباح سنوية تقدر بملايين الملايين من الدولارات بسبب استهدافها لمختلف شرائح المجتمع، وأصبحت تتسع دائرتها باستمرار، لتشمل كل الشرائح سوى كانت شريحة الاطفال او الشباب او اليافعين، وبفضل انتشار الصحون الفضائية وتعدد القنوات الإعلامية وظهور شبكة الانترنت وعوامة الصوت والصورة أصبح الإعلام التربوي يشهد تناميا ملحوظا، وصار أكثر قربا من المتعلم داخل البيت، وقد حمل هذا الانتشار السريع معه أساليب جديدة وأكثر تطورا لاستمالة الفرد

والسيطرة على عقله وسلوكياته ودفعه الى الإدمان على ذلك الصندوق السحري العجيب .

ولاشك ان هذا التوسع المذهل في تجارة التسلية الموجهة لمختلف شرائح المجتمع وخاصة صغار السن، و هو يخفي الكثير من المخاطر والسلبيات، فجل الشركات المنتجة والعاملة في هذا القطاع هي شركات غربية توجه نشاطها، وممارساتها وعاداتها حسب ثقافة المجتمعات الغربية، والتي تتعامل مع الإعلام بمنطق السوق والجري وراء الربح دون اهتمام بالقيم والعادات والأعراف، وفي حالة التعارض بين هدي الكسب وزرع القيم فإن الغلبة تكون للأولى على حساب الثانية⁽²⁰⁾ .

وتشير الدراسات العلمية في هذا الصدد إلى أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على مختلف الشرائح إيجاباً أو سلباً، حتى أنه يصعب على تلك الشرائح أن تفلت من قبضتها، فهي تحيط بها وتحاصرها من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات، ليلاً ونهاراً...وتحاول أن ترسم لها طريقاً جديداً، وأسلوباً معاصراً لنشاطاتها وعلاقاتها، ومن ثم فهي قادرة على الإسهام بفاعلية في التثقيف والتعليم، والتوجيه السليم، اذا استغلت الاستغلال الصحيح .

كما تأتي وسائل الإعلام المعاصرة في مقدمة قنوات الاتصال التي ترفد المتعلمين بالأفكار والمعلومات والأنباء وتحقق لهم التسلية والمتعة، و حتى ان لم يَسعَ الفرد إلى وسائل الإعلام فإن هذه الوسائل سوف تسعى هي إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من اكتشافات ومعارف، لا سئماً بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، فأصبح الفرد اليوم أسيراً لهذه الوسائل تحاصره في كل وقت وفي كل حين، فلا يستطيع الفكك منها أو الحياة بدونها⁽²¹⁾ .

6.6 دور الإعلام التربوي في العملية التعليمية :

يشكل الإعلام التربوي أساس الإصلاح التربوي المعاصر في العملية التعليمية من خلال ما يمتلكه من المهارات المختلفة في عصر المعرفة، والتي يمكن توظيفها في مجاله للقيام بعملية الإصلاح والإسهام في العملية التربوية واهم المهارات التي يمكن استغلالها:

- مهارات التفكير الإبداعي: وتشمل مهارات التكيف والتوجيه الذاتي والابتكار ومهارات التفكير العليا، وإنتاج مواد إعلامية أصيلة على المستوى الشخصي، والمستوى الثقافي.
- مهارات الاتصال الفعال: تشمل مهارات العمل في فريق ومهارات التواصل الشخصية والمسؤولية الشخصية والاجتماعية والاتصال التفاعلي، واستخدام تقنيات الاتصال عن بعد في التعاون والنشر والتعليم والتفاعل مع الأقران والخبراء وأفراداً آخرين في مجال القضايا التربوية ذات الاهتمام الشخصي.
- مهارات العصر الرقمي: وهي المقدرة على استخدام التقنية الرقمية وأدوات الاتصال، والشبكات للوصول إلى المعلومات وإدارتها وتشمل مهارات الثقافة الأساسية والعلمية والاقتصادية والتقنية والبصرية والمعلوماتية وفهم الثقافات المتعددة والوعي الكوني، واستخدامها في تحديد مواقع ومصادر معلوماتية حول القضايا الإعلامية والوصول إليها، والتي تخدم وتعمل على تطوير العملية التعليمية والتربوية.
- مهارات الثقافة المعلوماتية: استخدام المعلومات بفاعلية وكفاءة لتحقيق أهداف محددة واستخدام المصادر التقنية لحل المشكلات التربوية التعليمية، وتقدير التنوع والاختلاف الثقافي على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.
- مهارات التوجيه الذاتي: استخدام تقنيات المعلومات في متابعة

الاهتمامات الشخصية حول القضايا المختلفة و تحديد أهداف واضحة للاهتمامات الخاصة وإدارة الوقت واستخدام أدوات الإنتاجية التقنية في تطوير مهارات إنتاج محتوى إعلامي بصيغ مبتكرة، فالإعلام التربوي يقدم ثقافة معلوماتية تتمثل بمهارات استخدام تقنيات المعلومات والاتصال الحديثة، وتنمية مهارات التفكير العليا أو التفكير الناقد، ومهارات الاتصال، ان معايير المثقف المعلوماتي هي ان يصل إلى المعلومات بكفاءة وفاعلية، ويقوم المعلومات تقوياً ناقداً و متمكناً، يستخدم المعلومات بدقة، ويتابع المعلومات الخاصة و المتعلقة بالاهتمامات الشخصية، ويقدر الأدبيات التعليمية والصور الابتكارية الأخرى.

7.6 مجالات الإعلام التربوي وبرامجه :

تتنوع مجالات الإعلام التربوي وبرامجه ، ومن ذلك على سبيل المثال (22) :

برامج التربية الوقائية : لمكافحة بعض السلوكيات والعادات والممارسات غير المرغوب فيها مثل:

التسرب، الغياب، المخدرات، التدخين، الغش في الامتحانات، السلوك العدواني، الانحرافات الأخلاقية .

2- برامج التربية البيئية: وتهدف إلى تحسين تفاعل الإنسان مع بيئته، وبصفة خاصة التوعية في مجالات: ترشيد استخدام الماء، ترشيد استخدام الطاقة، مكافحة التلوث بأنواعه، المحافظة على مكونات البيئة، الحث على النظافة، المحافظة على الممتلكات العامة .

3- برامج الإرشاد التربوي: لما تمثله من البرامج من تحسين للعملية التعليمية ورفع كفاءتها وزيادة فعاليتها، ونظراً لتشعب جوانب العملية التعليمية وصعوبة فصل عناصرها بعضها عن بعض فان برامج الإرشاد التربوي ينبغي أن تتنوع لتشمل كل

من له علاقة بالعملية التعليمية التربوية مثل الطالب ، المعلم ، اولياء الامور ، الادارة المدرسية ، البرامج التعليمية المتخصصة 4-برامج التوعية العامة : ويقصد بها توعية المحيطين بالعملية التعليمية وذوي العلاقة بها بما يضمن مشاركتهم في توفير المناخ الملائم لتحقيق الأهداف التربوية التي تسعى الى تحقيقها، وتشمل برامج توعية الأسرة، وبرامج محو الأمية، برامج للحث علي المشاركة الإيجابية، وكافة البرامج التوعوية ذات البعد التربوي التي تنمي في الطالب سلوكا ايجابيا .

5 - برامج الثقافة والتراث: وهي برامج متعددة تهدف الى صقل وتنمية قدرات المتعلمين ومنها

(أ) برامج لتعميق الثقافة الإسلامية في نفوس الناشئة ، والتعريف بأهم التوجيهات التربوية في الإسلام والكشف عن الحياة المشرقة للمفكرين المسلمين، والتعريف بجهودهم التربوية والعلمية.

(ب) برامج لنشر التراث والتعريف به، والتصدي لمحاولات تشويه التراث والثقافة العربية والإسلامية.

(ج) برامج لحماية فطرة الطفل المسلم من التيارات الوافدة التي يتعرض لها. (د)برامج لتعريف الشباب بتاريخ أمتهم وحاضرها وبوطنهم وماله من مكانة متميزة، وما يمكن أن يتسم به في المستقبل من مكانه فائقة بين الأمم، والتأكيد على دور الشباب المنتج الفعال في هذا الميدان الحيوي .

(هـ) برامج للتعريف بالتطورات التقنية المعاصرة، التي تقدم للشباب كل ما هو جديد في مجال معارف العلوم، وتنمي فيهم الرغبة في الاستزادة من معطيات الثقافة المعاصرة المتطورة .

خاتمة:

من خلال هذه الورقة توصل الباحث الى بعض النتائج والتوصيات والتي اوجزها في النقاط الآتية :

✓ وسائل الإعلام الجديد أعادت تشكيل خارطة العمل الاتصالي في المجتمعات المعاصرة بما تحمله من خصائص عالمية الانتشار وسرعة الوصول والتفاعل وتعدد الوسائط وقلة التكلفة.

✓ شبكات التواصل الاجتماعي أحدثت انعكاسات كبيرة على قواعد حرية النشر والتعبير وتدعيم الفكر الديمقراطي وحقوق الإنسان وغيرها من المفاهيم السياسية والتجارية والاجتماعية والتربوية، والتي انتشرت بسرعة نتيجة لسهولة استخدامها والمشاركة فيها دون حاجة إلى خبرات تقنية أو تكاليف مادية ، لدرجة أن البعض يرى أنها سوف تؤدي إلى بزوغ (فكر كوكبي) يعمل على تغيير العالم .

✓ وسائل الاعلام الجديد أظهرت قدرات كبيرة في مجالات خدمة القضايا الاجتماعية مثل التعليم والرعاية الصحية وتنسيق عمليات التطوع، واستفادات منها ووظفتها المنظمات الخيرية غير الربحية العالمية بشكل كبير.

✓ رغم الإمكانيات الكبيرة التي تتيحها شبكات الإعلام الحديث إلا أن توظيفها عربياً لا زال ضعيفاً ولم يرقى إلى الاستفادة من كل الامكانيات المتاحة وخصائصها سواء كان في مجالات التعليم أو في المجالات الأخرى .

والواقع أن الإعلام التربوي ضعيف جداً أمام هيمنة وسيطرة وسائل الإعلام المختلفة العربية والأجنبية التي لها بعض التجاوزات في ما يتعلق بالعادات والتقاليد والقيم والمقدسات، وصار الإنسان العربي المسلم متهماً ومحارباً في قيمه ومعتقداته وحتى في أرضه وعرضه وتاريخه، وصار يسمع و يرى ولا يتكلم خوفاً من وصفه بالإرهاب .

- (1) الفطافطة، محمود (2011)، علاقة الإعلام الجديد بجرية الرأي والتغيير في فلسطين: الفيسبوك نموذجاً.
- (2) www.pcmag.com.
- (3) www.webopedia.
- (4) حمزه أحمد أمين بيت المال، (2011)، أهمية التخطيط الإتصالي والإعلامي لتوظيف وسائل الإعلام الجديد في التوعية بمخاطرة المخدرات. بحث مقدم المؤتمر «نحو استراتيجية فعالة للتوعية بأخطار المخدرات وأضرارها.
- (5) انتصار إبراهيم عبدالرزاق و د. صنف حسام الساموك، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، بغداد، 2011.
- (6) حمزه أحمد أمين بيت المال، (2011) مرجع سبق ذكره.
- (7) http://www.youtube.com/watch?v=E7dIINDgrjM&feature=playe_embedded#at=98.
- (8) Kirkpatrick, David. The Facebook Effect: the inside Story of the Company That Is Connecting the World. New York: Siman 8 Sehuster, 2010.
- (9) www.webopedia.com . مرجع سابق
- (10) الفطافطة، محمود (2011)، علاقة الإعلام الجديد بجرية الرأي والتغيير في فلسطين: الفيسبوك نموذجاً.
- (11) www.webopedia.com .
- (12) حسن بن أبو بكر العولقي ، دور المدرسة في التربية الإعلامية الواقع والمأمول، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، قسم التربية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 2007م.

(13) كريم، بدر بن أحمد، 23 ، ربيع الثاني 1424هـ ، التربية الإعلامية، جريدة الجزيرة، 2003م.

(14) محمد عطية خليل أبو فودة: دور الإعلام التربوي في تدعيم الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006.

(15) - محمد عطية خليل أبو فودة . مرجع سبق ذكره.

(16) <http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=43&issue=10284&article=403069>.

(17) عقيل محمود رفاعي: الإعلام التربوي دراسات مقارنة، بيروت، 2008.

(18) اديب خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الحادي والعشرين ، دمشق، 2000.

(19) عبد الكريم بكار موقع الاسلام اليوم.

(20) هدى جمعة ، مقال.

(21) محي الدين عبد الحلیم، الرؤية الاسلامية لاعلام الطفل المسلم.

(22) حسن بن أبو بكر العولقي، دور المدرسة في التربية الإعلامية الواقع والمأمول، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، قسم التربية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 2007م.

الدراسات التاريخية

مسؤولية الدولة الفرنسية في تنظيف الصحراء الجزائرية من الإشعاعات النووية التي

خلفتها فرنسا الاستعمارية إثر تفجيرها للقنبلة النووية سنة 1960

الدكتور: غيلاني السبتي ، جامعة ، باتنة، الجزائر

الباحث: فيصل فالتة، جامعة باتنة الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بإحدى جرائم الاحتلال الفرنسي المقترفة ضد الشعب الجزائري من خلال تفجيره للقنبلة النووية في منطقة "رقان"، هذه الجريمة النكراء التي أهلكت البيئة وأهلكت الحرث والنسل في هذه المنطقة، وتهدف أيضاً إلى توضيح ما مدى مسؤولية الدولة الفرنسية في تعويض المتضررين من هذه التفجيرات النووية أسوة بالجنود الفرنسيين وعائلاتهم المتواجدين في رقان وضواحيها وقت التفجير، إضافةً إلى ذلك مسؤوليتها في تنظيف البيئة من الإشعاعات النووية التي مازال يعاني منها سكان الجنوب الغربي للجزائر.

Abstract:

This study aims to define one of the French occupation crimes against the Algerian people by detonating a nuclear bomb in Reggane region of this heinous crime that decimated the environment in this region, also aims to clarify the responsibility of the French state in compensation for victims of nuclear explosions as the French soldiers and their families who were in Reggane and its suburbs at the time of the explosion, in addition to its responsibility to clean the environment against nuclear radiation, the southwest of the population of Algeria still suffers.

مقدمة:

لكي تتحقق التنمية المستدامة في مجتمع ما ،لابد من توافر العديد من الأدوات اللازمة لتحقيق هذا الغرض ومنها حماية الدولة للأمن الإنساني، وليس هو حماية حقوقه وحرياته الأساسية فقط ،بل كذلك حمايته من التلوث البيئي في وقت السلم وفي أوقات الأزمات المحلية والنزاعات المسلحة، ولأن الإنسان هو المحور الرئيسي للأمن البشري فيجب على الدولة أن تجعل حمايته من أولويتها وذلك على المستوى الوطني والإقليمي والدولي وخاصة فيما يتعلق بوضع استراتيجية لحماية بيئته واتخاذ جميع الإجراءات والتدابير للحد من التلوث من مصادره المختلفة وتعويضه ماديا في حالة إصابته بإضرار وخلفات الحرب⁽¹⁾.

ولمعرفة مسؤولية الدولة الفرنسية في تنظيف المحيط من التلوث البيئي بصفة عامة والتلوث الإشعاعي الناجم عن التجارب النووية العسكرية التي قامت بها فرنسا الإستعمارية سنة 1960 في منطقة رقان بصفة خاصة والتي مازالت آثارها قائمة ليوم الناس هذا حسب كاظم العبودي الذي عمل لمدة تزيد عن 20 سنة على هذا الملف والذي يقول: "إن آثار الإشعاع تبقى 4500 سنة وعبر مساحة واسعة تمتد إلى 800 كلم"، وقد أكد ذلك الباحث الفرنسي المتخصص في التجارب النووية الفرنسية "برينو باريلو" الذي قال "إن حجم الإشعاع النووي ومخاطره لا يتركز على محيط رقان فقط كما هو معروف بل تمتد مخاطره إلى مساحة 600 كلم مربع"⁽³⁾.

كما يجب على الدولة الجزائرية أيضا ومن ورائها الأحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية والجمعيات بمختلف مشاربها؛ التحرك لدفع الدولة الفرنسية لتحمل مسؤولياتها اتجاه الكارثة البيئية التي خلفتها على إثر التجارب النووية التي قامت بها في صحراء الجزائر وتعويض ضحايا هذه التجارب والتخلص من النفايات النووية التي دفنتها في الصحراء، لأن المسؤولية المدنية للدولة الفرنسية ثابتة.

ونظرا لأن هذا الموضوع، الذي نولي له أهمية كبيرة، يتطلب منا التنقيب عن الوثائق والملفات بصورة معمقة وخاصة أن الجمعية الوطنية الفرنسية تنكرت للجزائريين ضحايا هذه التجارب النووية ورفضت أي تجريم لها محاولة تبييض صفحات حقبة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ونظرا للحيز الضيق لهذه المقالة، فإنها تقتصر على مسؤولية الدولة الفرنسية في حماية الإنسان وبيئته في هذه المنطقة المتضررة والتي مازالت مغلقاتها قائمة لحد الآن كما لم استثن في هذه الدراسة مسؤولية الدولة الجزائرية في حماية مواطنيها في الصحراء من الإشعاعات النووية.

الإشكالية:

على ضوء ما سبق التطرق إليه تأتي إشكالية هذه الدراسة ممثلة في مجموعة من التساؤلات هي:

- 1- ماهي آثار التلوث البيئي الذي خلفه الاحتلال الفرنسي في منطقة رقان ؟
- 2- ما مدى إمكانية ترتيب المسؤولية الملقاة على عاتق الدولة الفرنسية لدفعها إلى تعويض المتضررين عن الجريمة البيئية؟
- 3- في ظل التكتم الذي تمارسه فرنسا في حق الشعب الجزائري عن جرميتها التي أتت على الأخضر واليابس وعلى كل مظاهر الحياة بمنطقة رقان والمناطق المجاورة لها التي تأثرت بهذه الإشعاعات، ما هو الدور الذي لعبته وتلعبه الدولة الجزائرية لحماية البيئة ومحيطها في هذه المنطقة؟

هي أسئلة كثيرة أحاول الإجابة عنها من خلال جملة من المحاور تداعت إلى ذهني، لكن لا يمكن الإمام بكامل الموضوع نظرا للحيز الضيق لهذه المقالة كما أن سبق وأن ذكرت وهذه المحاور هي:

مفهوم البيئة

البيئة هي مجموعة الأشياء التي تحيط بالإنسان وتؤثر على وجود الكائنات الحية على سطح الأرض وتتضمن الماء والهواء والتربة والمعادن والمناخ والكائنات أنفسهم، كما يمكن وصفها أيضا بأنها مجموعة من الأنظمة المتشابكة مع بعضها البعض والتي تؤثر على بقائنا في هذا العالم الصغير⁽³⁾.

وقد عرّف مؤتمر ستكهولم عام 1972 البيئة على أنها كل شيء نتحسسه عن طريق السمع والبصر والشم واللمس والذوق سواء كان هذا الشيء من صنع الطبيعة أو من صنع البشر⁽⁴⁾.

أما المشرع المصري فقد عرف البيئة حسب القانون المؤرخ في 5 فيفري 1994 تحت رقم 4 الوارد في الجريدة الرسمية المصرية على أنها: الماء والهواء والأرض وما يقيمه البشر من منشآت مختلفة.

أما المشرع الجزائري لم يتطرق صراحة في المرسوم التنفيذي الصادر في 05 فيفري 1983 تحت رقم 83/03 والمتضمن قانون حماية البيئة في الجزائر إلى التعريف بالبيئة وحمايتها، بل حدد الإطار القانوني للسياسة الوطنية لحماية البيئة والتي ترمي إلى حماية الموارد الطبيعية واثقاء كل اشكال التلوث والأضرار الناجمة عنه ومكافحتها وتحسين إطار المعيشة ونوعيتها⁽⁵⁾. ويجدر بنا أن نذكر بأن هذا المرسوم التنفيذي جاء ليملاً الفراغ القانوني الذي كانت تتخبط فيه السياسة الوطنية للبيئة التي كان ينظر إليها على أنها عائق للتنمية⁽⁶⁾.

وبعد صدور المرسوم المذكور آنفا بدأ المشرع الجزائري في إصدار مجموعة من القوانين تخص البيئة لكنها تبقى غير فعالة ومجدية.

أنواع البيئة

البيئة نوعان وهما:

1- بيئة مادية كالهواء والماء والأرض.

بيئة بيولوجية كالنباتات والحيوانات والإنسان (7).

1- تعريف التلوث:

أصبح التلوث البيئي في مقدمة الموضوعات التي تثير النقاش والجدل الجاد في مختلف الأوساط والدوائر وفيما بين المواطنين أنفسهم فهو يشغل بال المشرعين الذين يسنون القوانين ويتحملون مسؤولية مراقبة الحكومات المتعاقبة على الحكم لدفعها لحماية الإنسان من التلوث البيئي (8)، هذا التلوث الذي يؤثر بطبيعة الحال على الحياة النباتية والحيوانية وعلى المواد وعلى حياة الإنسان بصفة عامة، هذا الأخير الذي يصيبه الانقباض والضييق عندما تغيب عنه المناظر الطبيعية الجميلة كما هو لدى سكان منطقة رقان وما جاورها (9).

التلوث هو إحداث تغيير في البيئة التي تحيط بالكائنات الحية بفعل الإنسان وأنشطته اليومية مما يؤدي إلى ظهور بعض الموارد التي لا تتلاءم مع المكان الذي يعيش فيه الكائن الحي ويؤدي إلى اختلاله (10). ولا يمكن أن ننكر أن السبب الرئيسي في إحداث عملية التلوث في البيئة هو الإنسان، فالتقدم الصناعي والتقدم التكنولوجي وسوء استخدامهما مرتبط بالإنسان لا غير.

مستويات التلوث

هناك مجموعة من مستويات التلوث وهي:

1- التلوث غير الخطير: وهو التلوث الذي يستطيع الإنسان أن يتعايش معه دون أن يتعرض للضرر أو المخاطر كما أنه لا يخل بالتوازن البيئي.

2- التلوث الخطير: وهو التلوث الذي له آثار سلبية تؤثر على الإنسان وبيئته التي يعيش فيها

3- التلوث المدمر: وهو التلوث الذي يحدث فيه انهيار للبيئة والإنسان معا ويقضي على كافة أشكال التوازن البيئي وهو نتيجة للتطور التكنولوجي الذي يبدع فيه الإنسان (11).

أنواع التلوث:

- 1- تلوث الهواء .
- 2- التلوث بالنفايات .
- 3- التلوث البصري .
- 4- التلوث السمعي .
- 5- تلوث الماء .
- 6- تلوث التربة .
- 7- التلوث الغذائي⁽¹²⁾ .

التجارب النووية الفرنسية في الجزائر

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، التي كانت من ضمن نتائجها إخضاع الإمبراطورية اليابانية للقوة الأمريكية، هذه الأخيرة التي ألقت أول قنبلة نووية على مدينة هيروشيما في 06/08/1945 وبعدها مباشرة ألقت قنبلة ثانية على مدينة ناغازاكي في 09/08/1945، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، حتى قام الصراع على أشده في ميدان التسليح بدعوى أن المحافظة على السلم تقتضي الاستعداد للحرب، كما أن حفظ السلم يتطلب وسائل رادعة تفرض على الدول الالتزام بالسلم. فشرعت الدول الكبرى في ذلك الوقت (الولايات المتحدة الأمريكية -الاتحاد السوفياتي، بريطانيا) في إنتاج أسلحة نووية، وقد نتج عن هذا التوجه ظهور مبررات سياسية فرضتها الظروف الدولية الراهنة عقب الحرب التي شهدت انقسام العالم إلى معسكرين متصارعين المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت الحرب الباردة بين المعسكرين فدعت الضرورة إلى إحداث توازن القوى⁽¹³⁾.

وفي هذا الوقت كانت فرنسا تبحث عن مكانتها في التحالف الغربي الذي كانت تقوده الولايات المتحدة الأمريكية لتتمكن من الحصول على أسرار الطاقة النووية لتحذو حذو الدول الكبرى وتلتحق بالنادي النووي آنذاك بغية إظهار

عظمتها للعالم، لكنها لم تستطع الحصول على الأسرار النووية التي أرادت الحصول عليها من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فأنشأت مفاعلا نوويا في 8 أكتوبر 1958 معتمدة في ذلك على علمائها ومهندسيها وتمكنت من صنع عناصر القنبلة الذرية⁽¹⁴⁾. فكانت فرنسا الاستعمارية في حاجة إلى تجربة قدراتها النووية، فلم تجد سوى صحراء الجزائر التي تعتبرها قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي، بعد أن رفض السكان في فرنسا فكرة التفجير النووي على الأراضي الفرنسية، حيث لجأت السلطات العسكرية إلى جبال الألب التي وجدتها صالحة بكل المقاييس لكنها اكتشفت أن الدراسة يجب أن تخضع لموافقة السلطات العمومية⁽¹⁵⁾.

حيثذ وقع اختيارهم على منطقة رقان الجزائرية بعد أن أجريت بها عدة استطلاعات سنة 1957 .

وفي سنة 1958 انطلقت أشغال تحضير القاعدة التي مالبت أن أصبحت بعد ثلاثة سنوات مدينة عمرانية استقر بها 6500 فرنسي مابين علماء وتقنيين وجنود و3500 جزائري كعمال بسطاء ومعتقلين، وفي سنة 1960 أصبحت منطقة رقان منطقة محرمة بعد ان قُسمت إلى ثلاثة مناطق رئيسية لتنفيذ مشروع التجربة النووية .

1. المنطقة المركزية ومساحتها 60 ألف كلم مربع وقد مُنع عليها الطيران بصفة دائمة.

2. المنطقة المحيطة بركان وتمتد على مساحة 50 كلم مربع وسميت بالمنطقة الزرقاء ومُنع الطيران فوق أراضيها على ارتفاع أقل من 3000 متر أثناء الست الساعات التي تعقب وقت الانفجار.

3. المنطقة الخضراء وتتربع على مساحة 2000 كم عرضا (شرقا وغربا) و 150 كلم طولا (شمالا وجنوبا) مُنع الطيران فوقها على ارتفاع أقل من 3000 متر في مدة 12 ساعة التي تعقب الانفجار(16).

4. وفي الساعة السابعة وأربع دقائق من صباح يوم 13 فيفري 1960، أقدمت السلطات العسكرية على تفجير أول فنبلة لها أطلقت على هذه التجربة اسم اليربوع الأزرق (GERBOISE BLEUE) بلغت طاقتها 70 كيلو طن أي أكثر من ثلاثة أضعاف القنبلة النووية التي ألقتها الولايات المتحدة الأمريكية على مدينة هيروشيما اليابانية سنة 1945.

ومن أجل الوقوف على درجة مفعولها أخضعت فرنسا عينات عناصر من الحياة على الأرض وهي الحيوانات والنباتات وحتى الإنسان بدليل أن السلطات العسكرية الفرنسية أعطت كل شخص يقطن في منطقة رقان قلادة مرفوقة بقطعة معدنية صغيرة بها رقم تسلسلي يقابل هوية الشخص الذي يحملها وفق ما كان قد تم تقييده قبل توزيع القلادات في سجلات خاصة تحضيراً لعملية الانفجار والهدف من ذلك طبعا، هو التعرف على الجثث في حالة تشوهها من جراء الانفجار وقد وُضعت أيضا في محيط التجربة أنواع من الحيوانات كالجمال والكلاب وبعض الزواحف والحشرات والطيور والنباتات وكذلك الماء والأغذية، واستعملت أيضا 150 سجينا والنساء الحوامل والشيوخ والأطفال وقد كانت هذه التجربة سطحية لذا كانت خطورتها عظيمة، حيث انتشرت سحابتها النووية حتى في البلدان المجاورة. وقد بلغت تكاليف هذه القنبلة مليار و260 مليون فرنك فرنسي⁽¹⁷⁾.

وقد عارضت المملكة المغربية هذه التجربة النووية، حيث أقدمت على إلغاء الاتفاقية المغربية الفرنسية المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية، وترجع معارضة المملكة المغربية إلى ما قبل إجراء التجربة النووية، إذ قامت سنة 1959 بتوجيه رسائل إلى الحكومة الفرنسية من أجل الامتناع عن القيام بالتجارب النووية، ونتيجة لعدم رد فرنسا قامت باستدعاء الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة للانعقاد وأصدرت توصياتها في هذا الموضوع في دورتها المؤرخة في 20 نوفمبر 1959 وبعد التفجير مباشرة أي في 16 فيفري 1960 اجتمعت 26 دولة تشكلت منها لجنة من تسعة دول وهي: المملكة المغربية-السودان-تونس-اليابان-لبنان-سيلان-غينيا-أثيوبيا-أفغانستان، إلا أن هذه الدول لم تنجح في الحصول على إدانة

من الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة، نظرا لقرار القانون الدولي لقواعد تنظيم موضوع التجارب النووية. ويعود سبب تأخر القانون الدولي في ميدان تنظيم التسليح النووي إلى عدم رغبة واستعداد الدول النووية في مناقشة القواعد الدولية التي تحكم موضوع الأسلحة النووية⁽¹⁸⁾.

لقد واصلت فرنسا تجاربها النووية في الصحراء الجزائرية إلى غاية 16 فيفري 1966 بمعدل 17 تجربة إلى مابعد استقلال الجزائر مستغلة في ذلك بقاء وجودها في بعض المواقع التي كانت ضمن اتفاقيات إيفيان، وقد جاء على لسان أستاذ الفيزياء الطبية في جامعة لوزان السويسرية عباس عروة أن التجارب النووية استمرت في الجزائر إلى غاية 1978 بمعدل 57 تجربة نووية تحت أنظار المسؤولين الجزائريين⁽¹⁹⁾.

ومهما كان هول الحدث وآثاره المادية في عين المكان على الطبيعة وعلى الإنسان، الذي مازالت معاناته كبيرة فإن الآثار السياسية هي بالغة الأهمية كذلك، الهدف من ورائها القضاء على الثورة التحريرية الجزائرية وقبول الأمر الواقع الذي تبحث عنه الحكومة الفرنسية وهو فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال وبذلك تحافظ فرنسا على التواصل بين مستعمراتها الإفريقية⁽²⁰⁾.

آثار التلوث البيئي الذي خلفه الاحتلال الفرنسي في منطقة رقان

التلوث النووي و إشعاعاته القاتلة الذي خلفه الاحتلال الفرنسي في منطقة رقان نتيجة تجاربه النووية يهدد جميع ما هو حي على سطح الأرض و تدهور لخصوبة التربة الزراعية في هذه المنطقة وفي غياب المعلومات عن المكان الذي دفنت فيه المواد الملوثة بالإشعاع تزداد الخطورة أكثر مما كانت عليه نتيجة رفض الدولة الفرنسية تسليم السجلات الخاصة بالتفجيرات النووية وحجة وزارة الدفاع الفرنسية في ذلك أن الدراسات التي أجرتها في ذلك الوقت بينت لها أن مستويات الإشعاع التي تعرض لها السكان المحليون كانت دون المستويات المقبولة وان تلوث البيئة لم يصل إلى درجة من السوء يشكل معها تهديدا للصحة. وقد كشف الباحث كاظم العبودي من خلال دراسات فيزيائية تحدد مناطق الخطر الإشعاعي

والتداعيات الكيماوية على الإنسان والبيئة في مناطق التفجيرات وأن حجم الإشعاع النووي ومخاطره لا يتركز على محيط رقان فقط كما هو معروف بل تمتد مخاطره إلى مساحة 600 كلم مربع وتسببت النفائات وبقايا التفجير في إبادة 60 ألف جزائري ما بين 1960 و1966 تاريخ خروج القوات الفرنسية من القواعد، كما قسم الباحث الجزائري عباس عروة المتضررين من هذه الإشعاعات إلى 6 فئات.

الفئة الأولى: السكان المقيمون قرب الموقع والرحل

الفئة الثانية: الجزائريون المعتقلون المجندون للحفر والبناء

الفئة الثالثة: الجنود الفرنسيين

الفئة الرابعة: السكان والرحل الذين استخرجوا النفائات مثل الصفائح والأسلاك النحاسية من الأرض لغرض بيعها أو استعمالها في منازلهم وهم لا يعلمون بأنها ملوثة بالإشعاع النووي.

الفئة الخامسة: الأجيال القادمة من السكان والرحل التي ستظل هذه الإشعاعات تؤثر في محيطهم البيئي لمدة 24 الف سنة.

الفئة السادسة: البيئة معناه الثروة الحيوانية والنباتية والمياه الجوفية كل هذه الأشياء معرضة للتلوث.

أما الأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة هذه الإشعاعات فقد صنفتها عروة كما يلي :

1- إصابة العين بالماء الأزرق CATARACT .

2- إصابة الجهاز العصبي.

3- سرطان الجلد.

5. تأثر العناصر الحيوية للخلايا مما يؤثر ذلك على الأجيال القادمة (21).

أضف إلى ذلك الظواهر الغريبة التي عرفها سكان المنطقة بعد التجارب النووية مباشرة كالولادات المشوهة عند الإبل والأغنام، حيث تراجع عددها وظهور عدد كبير من الأمراض الغريبة عن المنطقة كمرض البارد وهو ورم سرطاني و الورم المخي المسمى بالمشظاظ يصيب الحيوانات ومن بين الحالات التي خلفتها هذه الجريمة البيئية أيضا ولادة خروف برأس حمار و ماعز بستة أرجل .

ولقد لاحظ سكان المنطقة كذلك في السنوات الأخيرة اختفاء عدد كبير من الزواحف مثل الثعبان والطيور كطائر الصفراء وطائر الكحيلية الذي اختفى نهائيا، أما الفلاحون فيقولون أن المحاصيل الزراعية التي كانت تزخر بها المنطقة قد تراجعت كثيرا لاسيما زراعة الطماطم، أما التمور فلم تعد أية علاقة تربط رقان الصحراوية بزراعة النخيل فقد تعددت الأمراض الطفيلية التي باتت تحصد أشجار النخيل بالمئات كل سنة لاسيما مرض البيوض .

خلال السنوات العشر الأخيرة ارتفعت نسبة الوفيات بين السكان مما أثار مخاوفهم حيث تم تسجيل 16 حالة وفاة بين سنة 2004 و سنة 2006 وحسب دراسة جامعية أجريت بالمنطقة سنة 2001 تحت إشراف الدكتور كاظم العبودي أن عدد الإصابات بمرض السرطان في منطقة رقان تنوعت واختلفت خصوصا عند الأشخاص الذين عاشوا مراحل التجارب النووية، وهناك 28 حالة سرطان ثدي أدت بحياة 6 من النساء الحاملات للسرطان وكذلك سرطان الدم والكبد والرئة والحنجرة وسرطان المعدة وأمراض القصور الكلوي إضافة إلى مرض السكري. كما تطرقت الدراسة إلى عينات مثل ولادة مولود برأس كبير مملوء بالماء لم تكتب له الحياة أكثر من يومين، وآخر بدون مخ توفي بعد الولادة، وحسب السكان، أن حالات الإجهاض بالمنطقة وصل عددها 169 حالة في سنة 2000، بينما كان عددها حوالي 801 حالة إجهاض بين سنة 1995 وسنة 1999 بمستشفى رقان وحده، كما أن حالات العقم التي ظهرت بعد سنوات التجارب النووية مباشرة، والتي أثرت على الجنسين الذكر والأنثى، باتت اليوم شائعة وفي غياب الإحصائيات والمراقبة الطبية لتطور الصحة في رقان إبان

فترة الاحتلال قبل وبعد التفجيرات الأولى، يظل الصمت والتكتم يلفان حقيقة موضوع الصحة بالمنطقة بعد التجارب النووية وذلك لغياب السجل المدني قبل سنة 1967 أي قبل رحيل المحتل الفرنسي من منطقة رقان العسكرية، إن أي حديث عن تأثيرات التلوث البيئي يضل تنقصه الدقة والموضوعية أحيانا نظرا لاعتماد شهادات من عايشوا الحدث في معرفة الحقيقة وربط كل الأمراض الوراثية المستجدة بالتجارب النووية التي يتعدى تأثيرها إلى الأجيال القادمة⁽²²⁾.

وفي نفس السياق أوردت صحيفة الشروق الجزائرية شهادة المحامية فاطمة بن براهيم هذه الأخيرة التي كانت تجمع كل الوثائق عن التجارب النووية الفرنسية التي أجريت في الصحراء الجزائرية مقدمة للصحيفة صورة لجندي جزائري أم واجبه الوطني في منطقة رقان، حيث تقول كان يزن قبل أن يلتحق برقان 68 كجم وبعد أن تم خدمته فاق وزنه المائة كجم من جراء الإشعاعات النووية المتسربة لهواء وماء المنطقة وتقول المحامية بن براهيم أيضا أن مطالبنا تتجه أيضا إلى رفع الحظر على ملفات الأرشيف الفرنسي المتعلق بفترة الاحتلال الفرنسي لأن الحاجة إلى هذه الملفات مهمة لأنها ستحدد لنا بدقة الأماكن التي أجريت فيها التجارب والنفائات النووية التي ردمت في الصحراء والتي لا نعلم مكانها بالضبط.

كما عرضت الصحيفة أيضا حالة محمد بن جبار وهو أنموذجا لهذه الحالات التي تعرضت لآثار الإشعاعات النووية، إذ كشف الأطباء وجود هذه الإشعاعات في جسده بعد عمله في رقان في إحدى القواعد العسكرية، مما دفعه سنة 1985 إلى رفع دعوى قضائية ضد الدولة الفرنسية في مدينة تولوز، غير أن هذه الدعوى رُفضت شكلا ومضمونا⁽²³⁾.

وللتذكير فإن النفائات النووية ما زالت تشكل خطرا على البيئة في رقان، فلم تعد المناطق، مناطق صالحة للزراعة أو لشيء آخر وهذا ما يدخل في خانة تدهور الغطاء النباتي وانخفاض انتاج المحاصيل الحقلية وظهور سلالات خضرية ضعيفة الانتاج والمقاومة اتجاه الأمراض النباتية والحشرات والفطريات والكائنات الدقيقة، كما أن التربة نتيجة لعملية الحرق النووية تصبح غير صالحة وتولد عملية

الإحراق النووي حرارة في الجو نتيجة الإشعاع الذي ما يزال موجودا وعواصف تترتب عن هذه التغيرات المفاجئة في المناخ والتغيرات في حركة الكتلان الرملية، كما تلوث المياه الجوفية بهذه الإشعاعات وقد لوحظ تأثيرها على الأعضاء البشرية والحيوانية والنباتية⁽²⁴⁾.

المسؤولية الملقاة على عاتق الدولة الفرنسية في تعويض المتضررين عن الجريمة البيئية

تعنت فرنسا وتمسكها بعدم الاعتراف بجريمتها-خاصة وأن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي صرح بقوله لُسنا مجبرين عن الاعتذار عما مضى ولم نكن طرفا فيه⁽²⁵⁾.

هو الذي يدفعنا للقول أن المسؤولية الجنائية للدولة الفرنسية ثابتة، لهذا يجب أن تتحمل مسؤولية جرائمها لأنها تشكل انتهاكات للقانون الدولي ولا تسقط هذه الجرائم بالتقادم طبقا للمرسوم الذي أصدرته الحكومة الفرنسية نفسها في 1964/12/26 في مادته الوحيدة، التي تنص على ما يلي " أن الجرائم ضد الإنسانية تعتبر غير قابلة للتقادم حسب طبيعتها⁽²⁶⁾.

فمن الناحية القانونية فإن فرنسا قد خرقت أحكام اتفاقية جنيف لسنة 1949 الخاصة بحماية الأسرى واستقدمتهم من الشمال لاستخدامهم كفتران تجارب على حد تعبير الباحث الفرنسي المتخصص في التجارب النووية الفرنسية "برينو باريلو" الذي قال " إن سلطات الاحتلال الفرنسي استخدمت 42 ألف جزائري في تفجير أولى قنابلها النووية في صحراء الجزائر في 13 فيفري 1960 و27 ديسمبر من نفس السنة⁽²⁷⁾.

ومن هذا المنطلق وطبقا للمرسوم السالف الذكر، يمكننا أن نستفيد من التجربة الاسترالية في تعقب المملكة المتحدة لقيامها بتجاربها النووية قبل استقلال استراليا ونقاضي الدولة الفرنسية أمام الجهات القضائية الدولية المختصة لإجبارها على تقديم التعويضات المادية اللازمة للمتضررين من هذه التفجيرات، على الرغم من أن المسؤولية الفرنسية في هذه الجريمة كاملة الأركان كما قلت ولا تحتاج إلى

قرار إدانة، إلا أن الحكومة الفرنسية لا تريد الاعتراف بهذه الجرائم، ورفضت تسليم كل المعلومات، حتى إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وحتى الآن مازالت ملفات التفجيرات النووية الفرنسية سرية وغير متوفرة للإطلاع عليها حتى للمنظمات الدولية التي تشرف على المراقبة، وتجدر الإشارة هنا أنه من الناحية القانونية تعتبر التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في محيطها وبيئتها التي تعيش فيهما، ومن واجب القانون الدولي معاقبة المجرمين وإرغامهم على دفع التعويضات وإجبارهم على التخلص من الإشعاعات النووية الناجمة عن هذه الانفجاريات وكذلك الأوبئة والتلوث البيئي⁽²⁸⁾.

وقد أثير موضوع التفجيرات النووية الفرنسية مؤخرا من قبل الفرنسيين ليس لإبراز حقوق الجزائريين وحجم الجرائم التي ارتكبتها الفرنسيون بحقهم ولكن من أجل الحديث عن حقوق الجنود الفرنسيين الذين أجريت التجارب في حضورهم أو قريبا منهم، وقد كان المتضررون منهم هم السباقون إلى رفع دعاوى قضائية ضد وزارة الدفاع الفرنسية المسؤولة في تلك الفترة عن البرنامج النووي الفرنسي، فأنصفهم القضاء الفرنسي بأن حكم لصالحهم بالتعويض عن الضرر الجسماني الذي تسببت فيه الهيئة المسؤولة عن الضرر المادي والمعنوي فتزايدت الدعاوى القضائية ضد وزارة الدفاع وزاد حجم التعويضات، مما دفع بوزارة الدفاع الفرنسية باعترافها بما ارتكبه في الصحراء الجزائرية وبولينيزيا دون ذكر فظائعها.

وقد صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على قانون تعويض ضحايا التجارب الفرنسية في الجنوب الجزائري، وقد نال هذا القانون قسطه الوفير من التغطية الإعلامية الكبيرة مما جعل المصالح الإدارية لبلديات تمنتراست وأردار تجمع ملفات كل الأشخاص الذين سبق لهم العمل في منطقة رقان وبانكير، لكن لا جديد يذكر بعد إصدار البرلمان الفرنسي لقانون التعويض في سنة 2010 وهو ما يؤكد مخاوف جمعيات ضحايا التجارب النووية في الصحراء الجزائرية من سعي الدولة الفرنسية لقمع ملف التجارب النووية.

لقد نددت الجمعيات المدافعة عن ضحايا التفجيرات بالسياسة الفرنسية المنتهجة ضد المتضررين الجزائريين وتنصلها من المسؤوليات التاريخية من مخلفات التجارب النووية الفرنسية على سكان الصحراء الجزائرية في رقان و تمنراست وذكرت الجمعيات أيضا بأن وزارة الدفاع الفرنسية بعد استشارة لجنة تعويض ضحايا التجارب النووية أصدرت 12 قرار تقضي بالموافقة على ملف تعويض واحد فقط ورفض 11 ملفا. ويتواجد ضمن الملفات المرفوضة طلب أرملة ضحية معترف بها من طرف وزارة الدفاع الفرنسية بأن زوجها توفي متأثرا بالإشعاعات النووية لكن لجنة التعويضات أقرت غير ذلك بحجة أن المرض المفضي للوفاة غير مدرج ضمن قائمة الأمراض المعتمدة ضمن قانون التعويض، كما رفضت اللجنة ملف تعويض مجند سابق في الجيش رغم إصابته بمرض بعد تعرضه للإشعاع النووي معتبرة أن نسبة التعرض للإشعاعات عادية .

وفي هذا الإطار انتقدت الجمعيات الطريقة المنتهجة من طرف لجنة التعويض لاحتساب نسبة التعرض للإشعاعات النووية وإقصاء عدد كبير من ضحايا الإشعاعات واعتماد عتبة معينة للتعويض وهي المادة التي رفضها غالبية النواب الفرنسيين، ومن غير المستبعد أن يكون هذا الشرط سببا في إقصاء آلاف السكان كانوا يقطنون على بعد 50 كلم من مواقع التفجيرات النووية خلال أو بعد التجارب النووية ونفس الأمر ينسحب على الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي والمصابين بالإشعاعات النووية خلال إشراكهم عنوة في إنجاز مراكز التجارب النووية بالصحراء وقررت الجمعيات الطعن أمام المحكمة الإدارية في قرارات الرفض لأن ملفات التعويض المودعة استوفت كل الشروط التعجيزية المطلوبة. من جهته قال الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين السعيد عبادو أن قانون التعويض يعتبر بحد ذاته تطورا في الموقف الفرنسي ففي الماضي كانت فرنسا لا تعترف أنها أجرت تجارب نووية في الجزائر لكن هذا القانون جاء متأخرا بالنظر إلى التجارب التي كانت بين 1960 و 1966 والملاحظ أن مشروع القانون لم

يتكلم عن الطرف المتضرر الجزائري ولا عن البيئة التي تضررت وتلوثت بفعل الإشعاعات النووية الفرنسية

وفي نفس السياق قال النائب في الجمعية الوطنية الفرنسية ريشا أريهو ممثلا عن مدينة بولينيزيا الفرنسية أن نص القانون الذي صوت عليه مجلس الشيوخ الفرنسي حول تعويض ضحايا التجارب النووية الفرنسية في بولينيزيا والجزائر لا يستجيب لتطلعات الضحايا الذين مازالوا على قيد الحياة على الرغم من التعديلات التي أجريت عليه⁽²⁹⁾.

وخلاصة القول أن المسؤولية الجنائية للدولة الفرنسية ثابتة في تعريض المدنيين والأسرى الجزائريين للتجربة النووية بمنطقة رقان وعليه، فمن واجب المجتمع الجزائري ممثلا في البرلمان التحرك بقوة لدى الأمم المتحدة و الوكالة الذرية للطاقة النووية، هذه الأخيرة التي أقرت وبشكل قاطع وجود الإشعاعات النووية في منطقة رقان وما جاورها، للمطالبة بتعويض ضحايا الانفجارات النووية والتخلص من النفايات التي لوثت المنطقة بشكل كبير الأمر الذي جعل الباحثين يدقون ناقوس الخطر من تلوث البيئة في الشمال من جراء هذه الإشعاعات التي تنقلها الرياح، وأن قضية التفجيرات النووية الفرنسية لم تكن سوى جزء يسير من الحجم الكبير من الجرائم التي ارتكبتها الاحتلال الفرنسي في حق الشعب الجزائري وامتدت هذه الجرائم إلى ما بعد الاستقلال.

مسؤولية الدولة الجزائرية في حماية البيئة ومحيطها في منطقة رقان

كان الكلام عن قضية التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والتلوث البيئي الذي خلفته هذه التفجيرات يعد من الطابوهات لدى الساسة الفرنسيين والجزائريين على حد سواء ولم يكن الشعب الجزائري يعلم بهذا الملف ماعدا القليل منه، ربما يرجع ذلك إلى المسؤولية الإعلامية المغيبة في الجزائر قبل التعددية الحزبية التي أقرها الدستور الجزائري لسنة 1989، لأن الإعلام قبل هذا الوقت لم يلعب الدور المنوط به في البحث عن الحقيقة والتحقيق في مسألة حساسة وخطيرة

مثل قضية التفجيرات النووية في صحراء الجزائر، حتى جاء اليوم الذي اعترف فيه بعض ضباط الفرنسيين السابقين العاملين في المجال النووي الفرنسي، حيث هزت هذه الاعترافات مشاعر الناس، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك شكل من أشكال التجاهل الإعلامي والتهرب من المسؤولية الإعلامية .

كان من المفروض أن يكون هناك تجند إعلامي لجميع وسائل الإعلام ؛ المرئية والمسموعة والمقروءة بإطلاق حملة إعلامية واسعة المجال وبعيدة المدى تكشف اللثام عن ما اقترفته فرنسا في حق الأمن البيئي للإنسان الجزائري في منطقة رقان وكشف الأثار المدمرة للطبيعة والحيوان. كل هذا بغية إيقاظ الوعي الوطني وتغذية الإحساس بالمسؤولية الجماعية كصورة من صور التضامن والتكامل ضد أي نوع من أنواع الاستهزاء بذاكرة الجزائريين فالمسؤولية يشترك فيها السياسي والحقوقى والمؤرخ والإعلامي وكل المواطنين مهما كانت مواقعهم للتصدي لمثل هذه التصرفات وخاصة أن السلطات العسكرية الفرنسية استعملت الجزائريين في التجارب النووية دون أن تقوم أصلا بأرشفة أو حفظ هويات الضحايا خارقة بذلك كل الأعراف الدولية في مجال حقوق الإنسان⁽³⁰⁾.

إن الدولة الجزائرية لم تضع لهذه الكارثة البيئية برنامجا وطنيا تشرك فيه الفعاليات السياسية والعلمية والتكنولوجية للحد من التلوث البيئي في هذه المنطقة ، ماعدا المحاولات الفردية التي يقوم بها الأفراد والحركات الجمعوية مثل الدكتور كاظم العبودي الذي حاول أن يقوم بدراسات في عينات من دم الإبل وعينات من بعض المواطنين وقد وجدوا بعض التغيرات ، لكن هذا غير كافي حسب الباحث عباس عروة⁽³¹⁾.

وفي هذا الخصوص أعرب الدكتور مصطفى خياطي مدير مؤسسة ترقية الصحة وتطوير البحث عن اسفه لعدم وجود برنامج صحي للسكان المتضررين من الأشعة النووية لهذه التجارب وذلك بسبب عمليات الكشف والأرشفة الصحي وأبرز الدكتور خياطي عدم وجود دراسة حول العلاقة بين هذه التفجيرات على المدى البعيد وارتفاع عدد المصابين بشمال الجزائر ، ولمواجهة هذا

الوضع البيئي دعا خياطي إلى إعادة الأرشيف الصحي سيما الملفات الطبية لسكان منطقتي رقان وأيكر وضواحيهما⁽³²⁾.

وعليه فإن الدولة الجزائرية يجب أن تحصر وتصنف المخاطر الناتجة عن التجارب النووية ومن هنا تتضح أهمية وضع التصور العلمي الفاعل والفعال لمواجهة تلك المخاطر والملوثات الناتجة عن التجارب النووية الفرنسية ومن واجبها أيضا توفير الحماية والأمن البيئي للشعب الجزائري و كشف خبايا وآثار هذه الجرائم التي ارتكبتها الاحتلال الفرنسي أثناء الحقبة الاستعمارية للجزائر كما أن عليها واجب الضغط على الحكومة الفرنسية بتنظيف الصحراء من النفايات النووية، لأن الدولة الفرنسية قد أنفقت الملايير من أجل تنظيف الشواطئ والمناطق في بولونيزيا فالسؤال لماذا لا تفعل ذلك مع الصحراء الجزائرية؟ هل هو تقاعس المسؤولين الجزائريين عن مطالبة فرنسا بذلك؟ كما يجب منع الزيارات إلى مواقع التفجير لأن كل شيء في هذه المناطق ملوث بالإشعاع النووي كالرمال والحجارة وغيرها من الأشياء الموجودة على هذه الأرض.

في الآونة الأخيرة وخاصة بعد أن حرك بعض الفرنسيين المتضررين من التفجيرات النووية دعوى قضائية ضد وزارة الدفاع الفرنسية، حذا حذوهم الجزائريين المتضررين كذلك، فتحركت السلطات الجزائرية عن طريق وزير خارجيتها مقلدة من قيمة مشروع القانون الفرنسي المتعلق بتعويض ضحايا التجارب النووية في صحراء الجزائر والمستعمرة الفرنسية بولونيزيا، وقال إن التعويض المادي ليس مطلبنا الوحيد" إنما الأمر يتعلق بإزالة التلوث الإشعاعي الناجم عن تلك التجارب⁽³³⁾.

ويضيف أن هدف الطرفين الجزائري والفرنسي هو الشروع في تقييم الوضعية بشكل شامل ويمكننا التكفل بكل المشاكل مؤكدا العمل المشترك الذي تقوم به الجزائر مع فرنسا حول الانعكاسات السلبية والمؤسفة للتجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي كما يقول "نحن نعمل حاليا معا للتكفل بآثار هذه التجارب".

من خلال تصريح وزير الخارجية الجزائري نلاحظ أن خطاب الدولة الجزائرية اتجاه هذه القضية قد تغير خلافا لما كان عليه في العقود السابقة، حيث سكتت السلطات الجزائرية سكوتا رهيبا عن هذه القضية، وقد تمت هذه التفجيرات بعلمها، ربما سكوتها هذا راجع إلى بنود اتفاقيات إيفيان التي تسمح لفرنسا مواصلة نوعا من النشاطات العسكرية في الصحراء الجزائرية حتى انسحابها النهائي لكن دون الإشارة إلى هذه النشاطات، وذلك ما استغلته فرنسا لتقوم بجريمتها ضد الإنسانية⁽³⁴⁾.

ولكي يتحقق الهدف المنشود في تقليل آثار التلوث الناتجة عن التجارب النووية الفرنسية؛ الحكومة الجزائرية مطالبة بوضع برنامج عملي وبرنامجا للتحرك ويكون هذا التحرك واضحا حيث يلزم الدوائر الحكومية بالإسراع في حماية الأمن البيئي للسكان في منطقتي رقان وأيكر، الذين تفتك بهم الأمراض والتشوهات الجسدية وكذا حماية الحيوانات والنباتات من التلوث البيئي، كما يجب على الحكومة أيضا والهيئات النيابية والأحزاب السياسية وتنظيمات المجتمع المدني الإسراع بسن وإصدار قوانين تجرم الاحتلال الفرنسي، حيث تسمح للجزائريين المتضررين بمتابعة فرنسا وخلق محاكم جزائية للفصل في قضايا الجزائريين ضحايا التجارب النووية.

خاتمة:

إن الاهتمام بمكافحة تلوث البيئة وتحقيق الأمن البيئي أصبح يحتل موقعا في السياسات العامة للدول عامة والدول المغاربية بصفة خاصة، كالجزائر التي خصصت وزارة للبيئة لتحقيق أمنها البيئي.

إن الاهتمام الوطني بمشكلات البيئة أصبح يُعبر عنه في الدراسات الإستراتيجية بمصطلح أمن البيئة نظرا لتزايد معدلات تلوثها، ونتيجة للزيادة الكبيرة في عدد المصانع والمعامل ووسائل النقل ومحطات توليد الطاقة الكهربائية والزراعة المكثفة للأراضي، أما في منطقة رقان موضوع دراساتنا فقد تدهور الأمن البيئي في هذه المنطقة وزادت نسبة الملوثات في الجو نتيجة التفجيرات النووية الفرنسية سنة 1960 إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد نتج عن هذه التفجيرات تدمير المحاصيل الزراعية والأعشاب وتقليل مناعة الإنسان بشأن مقاومة الأمراض المعدية بالإضافة إلى تلوث المياه والهواء، وقد أدى هذا التلوث البيئي بمنطقة رقان بأردار وأيكر بتمنراست إلى تدهور الحياة، حيث انقرضت بعض الحيوانات والنباتات نتيجة لتدمير بيئتها .

وهكذا فإن تلوث البيئة بكافة أشكاله يشكل تهديدا لأمن المواطن في حياته وبيئته، وهو ما يثير التساؤل عن التدابير التي اتخذت لحماية الأمن البيئي في منطقة رقان وأيكر بتمنراست التي تسببت في تدميره السلطات العسكرية الفرنسية على مسمع ومرآى السلطات الجزائرية بعد الاستقلال.

لذا يجب على الدولة الجزائرية أن تحافظ على نظافة الهواء والماء والمحافظة على النباتات والحيوانات والمحافظة أيضا على الغطاء الأخضر وتنميته في رقان وأيكر في تمنراست بعد تنظيف المنطقتين من النفايات النووية، وتسطير برنامج وطني شامل يعتمد الشفافية تشارك فيه الوزارات المعنية، مثلا كوزارة الصحة ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة المجاهدين ووزارة الخارجية، للوقوف على حجم الكارثة البيئية التي تسبب فيها الاحتلال الفرنسي سنة 1960

واتخاذ الإجراءات الضرورية الصارمة لحماية الأمن البيئي للمواطن الذي يعاني من شتى الأمراض التي تفتك به وبيئته سواء منها النبات أو الحيوان وكذلك الماء والهواء.

❖ هوامش البحث

(1) لمزيد من المعلومات أنظر عبد الله العوضي بدرية دور الإنسان في حماية الأمن الإنساني- دراسة مقارنة من المادة 14 الفقرة 1 من الميثاق العربي لحقوق الإنسان والذي اعتمد من قبل القمة العربية السادسة عشرة بتونس في 23 ماي 2004 .

(2) WWW.elkhaber.com/quotidien/?ida=144252&idc=32&dateinsert=20090214&dat

(3) لعبي هاتو خلف، محاسبة التلوث البيئي، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2009، ص 18

(4) رزيق(كمال): دور الدولة في حماية البيئة، مجلة الباحث، العدد الخامس، سنة 2007، ص 96

(5) المرسوم التنفيذي 03/83 المؤرخ في 05 فيفري 1983، المتعلق بحماية البيئة، الوارد في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، عدد 1983، 06

(6) خنيش السنونسي: الإدارة والبيئة في النظرية والتطبيق (دراسة حالة الجزائر)، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت في معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997-1998، ص 360

(7) لعبي، مرجع سابق، ص 18

(8) حسن أحمد شحاتة: التلوث البيئي ومخاطر الطاقة، مكتبة الدار العربي للكتاب-القاهرة، 2003، ص 200

- (9) أنور محمود عبد الواحد: مكافحة تلوث البيئة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر- القاهرة، 1972، ص 90.
- (10) فتحي عبد العزيز عفيفي وعصمت محمد كامل: السموم والملوثات البيئية، دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة، 2000، ص 3.
- (11) لعبيبي ، مرجع سابق ، ص 38
- (12) فتحي عبد العزيز عفيفي: دورة السموم والملوثات البيئية في مكونات النظام البيئي، دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة ، 2000 ، ص 81.
- (13) شيخي عبد المجيد: القنبلة الذرية الفرنسية الأولى جريمة ضد الإنسانية والشعب الجزائري مجلة الرؤيا، العدد الأول، سنة 1996، ص 189.
- (14) فكاير عبد القادر: التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والمواقف الوطنية مجلة المصادر، العدد 15 ، سنة 2007، ص 141.
- (15) عروة عباس فرنسا ومسؤوليتها التاريخية عن تفجيرات الجزائر مقابلة تلفزيونية أجرتها قناة الجزيرة القطرية مع الباحث يوم الأربعاء 26/05/2010 في الساعة الرابعة مساء
- (16) قوبي سامية: التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، ترجمة رشيدة الجواني، مجلة الجيش ، العدد 472، سنة 2002، ص 32.
- (17) فكاير ، مرجع سابق ، ص 143.
- (18) سالم علي محمد كتي: التجربة النووية الفرنسية 13 فيفري 1960 جريمة حرب، جريد الحوار المتمدن ، العدد 2919، المؤرخ في 16 فيفري 2010.
- (19) عروة، مرجع سابق.
- (20) شيخي ، مرجع سابق
- (21) عروة مرجع سابق.

- (22) أنظر جريدة الشروق المؤرخة في 12 مارس 2009.
- (23) المرجع السابق.
- (24) كاظم العبودي "صرخة الصحراء" موقع إلكتروني.
- (25) بقاق عزوز: لا يمكن ترميم العلاقات الجزائرية الفرنسية في ظل حكم ساركوزي" جريدة الشروق اليومي، عدد 3100، الصادر في 30 أكتوبر 2010، ص 20.
- (26) غربي أسامة: "مسؤولية فرنسا عن ارتكاب جرائم حرب في حق الجزائريين دراسة على ضوء القانون الدولي" مجلة المصادر، عدد 14، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2006، ص 151
- (27) WWW.elkhaber.com/quotidien/?ida=144252&idc=32&dateinsert=20090214&dat28-sites.google.com.site
- (28) djazairelakhbar./home/Algeria/algerie
- (29) ibid.
- (30) عروة، مرجع سبق ذكره.
- (31) djazairelakhbar,op.cit.
- (32) www.ech-chaab.com/ar/index.php?option=com_content&task=view&id=5983&itemid=98
- (33) www.islamonline.net
- (34) عروة: مرجع سبق ذكره.

التعایش المذهبي بالجزائر العثمانية، مؤسسة الوقف أنموذجا

(التحبيس على المذهب الحنفي)

الأستاذة: وافية نفطي، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

لقد ساهمت العديد من العوامل في انتشار الأحباس في الجزائر العثمانية، السياسية والدينية والاجتماعية. وسوف نركز في هذه الدراسة على دور المذهب الحنفي الذي دخل إلى الجزائر مع الوجود العثماني، وأخذ العمل به في مجال التحبيس، حيث يقول حمدان بن عثمان خوجة: «... وعلى العكس فلو طبقت مبادئ القضاء المالكي فإن الأوقاف تقل بكثير» فكيف انتشر المذهب الحنفي في الجزائر وما هي مجالات تطبيقه؟ كيف تعایش مع المذهب المالكي؟.

Abstract:

The Wakf or habous, charity and solidarity deed tool within Muslim communities. In Algeria, particularly in Ottoman Empire era, Algeria has expanded in the late 18th and early 19th century. There are several factors that contribute to this significant expansion of the Wakf, and in this study we will based on a religious factor, and the domination of Hanafi school (madhabe Hanifite) towards the Maliki school (madhabe Maliki) because a significant number of transaction was pious foundations still registered with the Hanafi school (madhabe Hanifite) in Algiers because if schools (madhabe) was more softer against the Wakf operation.

مقدمة:

الأوقاف أو الاحباس، مؤسسة عرفت بها البلاد العربية والإسلامية وقد لعبت أدوار متشعبة أثرت في الحياة الاجتماعية والثقافية في المدن والأرياف. ومؤسسة الوقف في الجزائر عرفت تطورا كبيرا ونموا سريعا خلال العهد العثماني وخاصة منذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وأصبحت تمثل مؤسسة قائمة بذاتها تهتم بالشؤون الاجتماعية والثقافية. وعمل الحكام والقائمون على الأملاك الموقوفة على تنظيم شؤون الأوقاف، فأنشئوا إدارة محلية يتولى المفتي الأكبر الإشراف عليها وينظر في أمورها المجلس العلمي الذي يضم علماء المالكية والحنفية ويشرف على سير مصالحها النظار (الوكلاء) والشواش.

ومنذ ذلك الحين اعتبرت مؤسسة الوقف هيئة شبه مستقلة تتوزع على عدة مؤسسات دينية وخيرية وتعليمية أهمها مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين- مكة والمدينة- ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم و مؤسسة سبل الخيرات (مساجد الحنفية) ومؤسسة أوقاف أهل الأندلس بالإضافة إلي باقي المؤسسات الأخرى التي تتولى رعاية أوقاف الأولياء والشرفاء والجند والعيون والحصون والثكنات العسكرية.

أصبحت الأوقاف تستحوذ على مايزيد عن نصف الأراضي المستعملة زراعيًا وتساهم بما يعادل نصف الإنتاج الزراعي وهذا مادفع بعض الكتاب إلي القول بأن الأضرحة ومزارات الأولياء أصبحت تنتشر في كل مكان وبأن جل بساتين ضواحي مدينة الجزائر ومنازلها تعود إلي أوقاف الحرمين الشريفين.

ومن خلال هذه الأهمية التي عرفتتها مؤسسة الأوقاف يمكن أن نطرح التساؤل التالي ماهي العوامل التي جعلت مؤسسة الوقف تأخذ هذه الأهمية وتتمتع بهذا العدد الكبير من الأملاك الموقوفة؟ ماهي الظرفية التاريخية التي تطورت فيها الاحباس بالجزائر خلال العهد العثماني وماهي إستراتيجية المحبسين الجزائريين في حرصهم على تحبيس أملاكهم على المذهب الحنفي رغم أنهم يتبعون المذهب المالكي؟ هل عمل الجزائريون بالمذهب الحنفي في جميع المجالات أم اقتصر

الأمر على تحييس الأملاك فقط؟ هل وقع فرض المذهب الحنفي من جانب السلطة العثمانية في الجزائر؟

إن تطور مؤسسة الحبس أو الوقف و إكتسابها الأهمية الكبرى بالجزائر، لم تكن خاصة انفردت بها الجزائر خلال العهد العثماني فقط، بل شملت جميع البلدان العربية والإسلامية التي خضعت للسلطة العثمانية منذ بداية القرن السادس عشر.

لقد تصدت العديد من الدراسات العلمية حول أهمية الوقف ودوره في كل من تركيا⁽¹⁾ في حد ذاتها والقاهرة⁽²⁾ ودمشق⁽³⁾ و حلب⁽⁴⁾ و تونس⁽⁵⁾ و غيرها من المدن العربية و الإسلامية التي كان لمؤسسة الوقف الدور الرئيسي في تطورها التاريخي والاجتماعي والطوبوغرافي على الخصوص.

ولقد بينت هذه الدراسات أيضا أن الوقف شهد تطورا و أهمية مع الوجود العثماني بهذه المناطق فذهب يديليز Yediyildiz في أطروحته حول مؤسسة الوقف في تركيا في القرن الثامن عشر من خلال تحليل أسباب هذا التطور وهذه الأهمية داخل تركيا و تنوعها و تداخلها. ولخص هذه العوامل، اجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية و الدينية، و بين الروابط التي توجد ما بين مؤسسة الوقف و البنية الاجتماعية و التطور التاريخي و التنظيم السياسي و الإداري التي وجدت فيه، و أيضا علاقتها مع ذهنية الأشخاص الواقفين. لذلك وجب التساؤل عن الظروف التي تطورت في ظلها مؤسسة الحبس في الجزائر خلال العهد العثماني و خاصة في فترة القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر الميلاديين؟

1- الأسباب والظروف التي تطورت فيها مؤسسة الحبس في الجزائر:

نحن لا نريد الخروج عن القاعدة، لم تكن الجزائر استثناء، فقد خضعت للسلطة العثمانية منذ سنة 1519 عندما اقنع خير الدين بربروس أعيان مدينة الجزائر وأهاليها بضرورة تقديم الولاء للدولة العثمانية، حيث كانت تمثل القوة الإسلامية الوحيدة في البحر الأبيض المتوسط القادرة على القضاء على الخطر

والمد المسيحي الإسباني في المنطقة. وكانت أولي وأهم الأعمال العسكرية والعمرائية التي اهتم بها خير الدين هي طرد الأسبان نهائيا من مدينة الجزائر وإنشاء ميناء مدينة الجزائر الذي عرف في تلك الفترة برصيف المول ذلك في سنة 1529- 1533 وجعل من الجزائر قاعدة بحرية جهادية تنطلق منها عمليات الجهاد البحري، وأصبحت تهابها الدول الأوروبية.

كما كان أول وقف عثماني بمدينة الجزائر هي أوقاف خير الدين باشا بربروس وكان حسن باشا بن خيرالدين أول ناظر على هذه الأوقاف لمدة خمسة سنوات حتى وفاة خيرالدين باشا سنة 1549م، ثم تلتها أوقاف حسن باشا بن خيرالدين وأوقاف علي بچنين وهو أحد أهم رياس البحر وأوقاف حسن ميزامورطو ثم بعد ذلك تتالت وتكاثرت أوقاف البشاوات بالجزائر مثل أوقاف خضر باشا وعبدي باشا وحسن باشا.

والجدول التالي بين لنا عملية تطور الأحباس وتزايدها حسب الفترات التاريخية وذلك من القرن 10هـ / 16م إلي غاية النصف الأول من القرن 13هـ / النصف الأول من القرن 19م، حيث شهدت في هذه الفترة الأخيرة تراجعاً كبيراً.

القرن 13هـ/19م	القرن 12هـ/18م	القرن 11هـ/17م	القرن 10هـ/16م	الفترات التاريخية
1200هـ- 1255هـ	1100هـ- 1199هـ	1005هـ- 1099هـ	958هـ-993هـ 1551م	
1789م- 1838م	1688م- 1789م	1576م- 1687م	1585م	
98	323	46	3	عدد الأحباس

تم وضع الجدول أعلاه وفقا لما جمعناه من عقود الأحباس من الأرشيف الوطني الجزائري ثم ترتيبها وتصنيفها حسب الفترة الزمنية التي تعود إليها. ونلاحظ أن هذا التحسيس شمل جميع الفئات الاجتماعية الفاعلة في المجتمع و أيضا جميع العقارات الحضرية منها والريفية.

نلاحظ حسب الجدول أعلاه أن فترة القرن 16م (10هـ) شهدت تعداد الاحباس انكماشاً وهذا لا يرجع إلى قلة الأحباس في حد ذاتها في هذه الفترة فقط، ولكن إما يرجع إلى ندرة الوثائق أو عقود التحسيس التي تعود إلى هذه الفترة. فالوثائق تشهد من حين إلى آخر بعض الانقطاع بين الفترات الزمنية المختلفة. وهذه الظاهرة ميزت وثائق الأرشيف الوطني العربي العثماني بالجزائر.

أما فترة القرن 17م (11هـ) فقد شهدت تعاظماً متسارعا عشرة أضعاف تقريبا. أما الفترة التي شهدت أكبر نسبة من التحسيس كانت خلال القرن 18م (12هـ)، في حين أن فترة القرن 19م (13هـ) فقد بدأت نسبة التحسيس تتناقص فدنت تقريبا الثلث.

إن ظاهرة إرتفاع نسبة التحسيسات خلال القرن 17 ووصولها إلى الذروة خلال القرن 18، ثم تراجعها قليلا بداية القرن 19 مربوطة بالتطور التاريخي الذي عرفته البلاد خلال هذه المراحل التاريخية، كما إرتبطت بالظروف السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية للجزائر عامة و مدينة الجزائر خاصة، حيث كانت تمثل عاصمة الأيالة و أيضا الواجهة البحرية، ومركزا للتوتر السياسي و العسكري. فما هي الظروف التاريخية التي كانت وراء ذلك؟ وسوف نركز خلال هذه الدراسة على العامل الديني الذي كان سببا هاما في تطور الأحباس و كثرتها.

2- دور المذهب الحنفي في تطور الأحباس داخل مدينة الجزائر من القرن 16 إلى بداية القرن 19:

لقد عرفت الجزائر قبل الوجود العثماني بالمنطقة ظاهرة التحسيس، فقد كانت منتشرة بالمغرب الأوسط وكان المذهب الوحيد المعمول به في المنطقة هو المذهب

المالكي و بالتالي فتحبيس الأملاك كان على المذهب المالكي، وجميع الفتاوي حول التحبيس التي جمعها الونشريسي في كتابه المعيار الجزء السابع، كانت على المذهب المالكي خاصة أنه كان صريحاً في أحكامها من هذه الناحية. ترجع هذه الفتاوى إلى نهاية القرن 15 و البعض الآخر تعود إلى القرن 13 و14م بالنسبة للمغرب و القرن 10 و11 و12م بالنسبة للأندلس⁽⁶⁾.

كانت هذه المجموعة من الفتاوى عبارة عن أسئلة شرعية حول ما نزل بالأملاك المحبسة من اعتداء و إستيلاء ونهب و خراب. فكانت الأحكام الإجتهدية التي أدلى بها الونشريسي من خلال الفتاوي التي حدثت في عصره أو التي سبقته بمثابة مرحلة تطويرية عرفتها مؤسسة الحبس بالمنطقة فقد عرفت هذه المؤسسة نمواً قبل الوجود العثماني - قبل تطبيق المذهب الحنفي- وجاءت هذه الأحكام من أجل الحفاظ على هذه الأملاك المحبسة و ضمان مصدر قار للمؤسسات الدينية التابعة لها والتي تعتبر المصدر الأساسي و الوحيد لبقائها و إستمرارها.

إن أغراض التحبيس أو مقاصده كما تسمى في الشريعة الإسلامية في ظاهرها خيرية حيث تعكس لنا واقع الحياة الروحية للسكان خاصة من خلال تحبيس أملاكهم على المؤسسات الدينية: مساجد، ومدارس، وكتاتيب والزوايا وغيرها، حيث لاحظ الدكتور ناصر الدين سعيدوني أن جل الأعباس بفحص مدينة الجزائر كانت لصالح الأولياء الصالحين والمرابطين والمنتشرة أضرحتهم بتلك الأماكن وهذا راجع لإعتقاد عامة الناس ببركة هؤلاء الأولياء والمرابطين⁽⁷⁾.

لكن إذا درسنا عقود التحبيس دراسة متأنية وتحليلية نلاحظ أن هناك العديد من المقاصد الأخرى والتي يمكن أن نطلق عليها المقاصد الدفينة أو الأغراض الشخصية الخاصة بالواقف أو الحبس التي يكنها الواقف عند تحبيس أملاكه.

لقد كانت أسباب التحبيس مركبة من عاملين أو هدفين أساسيين متكاملين الأول يخدم الثاني، الأول يتمثل في ابتغاء مرضاة الله تعالى وفعل الخير

والثاني الحفاظ على الملك ومنعه من التفكك والانقسام عن طريق الإرث. هذه الأسباب لم تكن مستثنية خلال فترة ما قبل الوجود العثماني، فأغراض وأسباب التحبيس كانت دائما متشابهة وغامضة، والبعض أعلن عنها والبعض الآخر دفينه ولا يمكن تحديدها أو ملامستها إلا إذا دققنا في عقود التحبيس.

إن طبيعة الأحباس التي كانت منتشرة بالمغرب الأوسط قبل الوجود العثماني هي الأحباس الخيرية أو الوقف الخيري أو العام وهو ما أخذ فيه برأي المذهب المالكي الذي كان معمولا به في تلك الفترة، حيث كانت تعود منافع وريع هذا الوقف إلي الجهة التي أوقفت عليه مباشرة سواء كان مسجدا أو مدرستا أو زاويتا، والترميم و الحفاظ على أسوار المدينة، و تزويد السكان بالماء الصالح للشرب، وفداء الأسرى المسلمين و تحريرهم من يد المسيحية وغيرها من وجوه الخير⁽⁸⁾.

وبذلك يمكن القول أن الوقف الخيري كان معمولا به أكثر في المغرب الأوسط أما الأهلي أو العائلي كان أقل إنتشارا أو منعدما إن استطعنا القول.

إن تطور الأحباس سوف يستمر خلال العهد العثماني، الذين جلبوا معهم المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية* الذي أقروه في البلاد وأصبح مذهب الأقلية التركية و أبنائهم المولدين الذين عرفوا بالكراغلة. و بإقرار المذهب الحنفي، إنتشر الحبس الأهلي أو العائلي وهذا ما سوف نحاول البحث فيه و إبرازه من خلال هذه الدراسة. فكيف بدأ الأخذ بالمذهب الحنفي في مجال التحبيس؟ ولماذا أخذ الجزائريون في تحبيس أملاكهم بالمذهب الحنفي رغم أنهم مالكي المذهب؟ وماهو موقف علماء المالكية من هذه المسألة؟

فتعريف الوقف الأهلي (الخاص) هو تلك الأملاك والعقارات المحبسة على الواقف (على نفسه) ثم على أولاده ثم على أولاد أولاده من عقبه وبعد انقضاء العقب على المؤسسة الدينية كالحرمين الشريفين وغيرها من المؤسسات التي ظهرت في تلك الفترة. وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سوف نقوم بتعداد نسبة التحبيسات على المذهب المالكي ونسبة التحبيسات على المذهب الحنفي، ثم

دراسة عقود الوقف والعبارات التي وردت فيها، التي تنص وتؤكد على أن التحبيس تم على المذهب الحنفي، ثم دراسة الأسئلة الفقهية التي طرحت على العلماء، من قضاة ومفتيين وخاصة منها التي طرحت على المجلس العلمي، والتي يطلب فيها أصحابها، الإذن الشرعي بالتحبيس على المذهب الحنفي والعمل به نظرا لكون غالبية الجزائريين على مذهب مالك بن أنس.

أ- التحبيس بين المذهب المالكي والحنفي: لم يرد نص شرعي صريح في القرآن الكريم ولا السنة النبوية الشريفة عن الوقف، لذلك كانت أحكامه مستمدة من اجتهاد الفقهاء المستندة على المصادر التشريعية. وتتفق المذاهب الإسلامية الأربعة على جواز التحبيس عامة و تتباين من حيث شروطه و التصرف فيه ووضعوا أحكاما و شروطا وقواعد تسير عليها عملية التحبيس. علما أن أبا يوسف تلميذ أبو حنيفة النعمان كان يقول بقول أستاذه بعدم لزوم الوقف، لكنه لما حج مع الخليفة العباسي هارون الرشيد و رأى وقوف الصحابة بالمدينة و نواحيها رجع في قوله السابق وأفتى بلزومه وذلك بعد مناظرة بينه وبين الإمام مالك ابن أنس بحضرة هارون الرشيد⁽⁹⁾.

ب- فالمذهب المالكي الذي يشترط الحوز حين التحبيس خلافا للمذهب الحنفي الذي يرى في صحة الحبس الافتقار للحوز. كما أن المالكية تضع شروطا تعتمد في عمليات التحبيس، فهو يشترط منع الحبس إذا كان مخالفا لبعض التشريعات الدينية كالتحبيس على الذكور دون الإناث. بالإضافة إلى ذلك، المذهب الحنفي سمح بمعاوضة العقار المحبوس التي يرفضها المذهب المالكي، كما أنه يجيز تحبيس المالك على نفسه وهو لازم على الحبس عليه بصورة مؤبدة بعد حوزة وقبوله⁽¹⁰⁾.

بهذا نلاحظ أن الشروط التي يضعها المذهب المالكي في مجال التحبيس كانت صارمة، وأن الشخص الذي يريد أن يحبس أملاكه ليس له الحق الرجوع في ذلك. وفي المقابل نجد أن أبا يوسف أقر بجواز الوقف ووضع أحكاما وشروطا

إمتازت بالمرونة و التساهل سواء من ناحية أحكام لزومه أو طرق إستغلال الأملاك الموقوف .

هناك مسألة هامة جدا يجب الإشارة إليها قبل الخوض في الحديث عن التحجيس الجزائريين لأملاكهم على المذهب الحنفي، المتمثلة في أن المذهب الحنفي كان فقط مذهب السلطة أي الطبقة السياسية و العسكرية الحاكمة و أيضا أبناءهم الكراغلة. فالإدارة العثمانية في الجزائر لم تفرض المذهب الحنفي على بقية السكان على حساب المذهب المالكي، بل العكس بقي السكان على مذهبهم في معاملتهم اليومية و الفقهية و الاجتماعية من بيع و شراء و زواج و طلاق و كراء و منازعات و غيرها. ولم يأخذ الجزائريين بالمذهب الحنفي إلا فيما يخص التحجيس وما تعلق به من معاملات و طرق استغلال الأملاك الموقوفة. وهذه المسألة ملفتة للانتباه حيث تعايش المذهبان داخل البلاد الجزائرية تعايشا سلميا ولم تحدث تلك القطيعة بين المذهبين رغم أن الطبقة الحاكمة في البلاد كانت تزكي علماء الحنفية على حساب علماء المالكية، وكان المفتي و القاضي الحنفي يعين مباشرة من الباب العالي و يأتي مع الباشا الجديد أما فيما يخص القاضي و المفتي المالكي فقد كان يعينه الباشا. باستثناء أواخر القرن الثامن عشر أصبح تعيين المفتي و القاضي الحنفيين من اختصاص الباشا أو الداوي⁽¹¹⁾.

وكانت عائلة ابن العنابي أول عائلة جزائرية تمارس القضاء و الإفتاء الحنفي في الجزائر وكان آخر مفتي حنفي بالجزائر العثمانية عند الاحتلال الفرنسي سنة 1830م هو محمد ابن محمود ابن محمد ابن حسين الجزائري العنابي(1775م-1850م) ويذكر أبو القاسم سعد الله أن أول من مارس الإفتاء في العائلة الجد الأكبر حسين ابن محمد الذي تولى الفتوى أربع مرات و توفي سنة 1150هـ/1737م⁽¹²⁾.

و لم يقع فرض المذهب الحنفي على السكان من طرف الإدارة التركية بل كان لهم الحرية الكاملة في ممارسة حياتهم اليومية و اختيار المذهب الذي يرضونه و بالتالي ظهرت بالجزائر العثمانية مؤسستين مختلفتين، الحنفية و المالكية فنجد

محكمتين واحدة خاصة بالمذهب المالكي و الأخرى خاصة بالمذهب الحنفي و نجد مساجد مالكية و مساجد حنفية حيث كان يوجد 115 مسجدا مالكيا منهم 7 حنفية (13).

إضافة إلى اجتماع المؤسستين داخل مؤسسة شرعية واحدة المتمثلة في المجلس العلمي أو المجلس الشريف الذي يعد أعلى سلطة تشريعية وقضائية و بمثابة محكمة الاستئناف الذي يلزم فيه حضور المفتين المالكي والحنفي والقاضيين المالكي و الحنفي لحل القضايا المستعصية و الإجابة عن الأسئلة الفقهية المطروحة وكان مقره بالجامع الأعظم (المالكي).

وتذكر وثائق الأرشيف الوطني بعض الأمثلة حول لجوء الأحناف إلى المحكمة المالكية لإنهاء بعض المعاملات و العكس صحيح، لجوء المالكية للمحكمة الحنفية لقضاء حوائجهم: «الحمد لله -بالمحكمة المالكية- أمام القاضي (كذا) أشهد المكرم (كذا) السيد ساجي بن عبد الله التركي شاهديه على نفسه أنه باع من المكرم حسن يلداش ابن محمد التركي جميع جلسة الدكان التي على ملكه المعدة للسياسة الكائن قرب زنقة الدوامين بناحية باب الجزيرة التي فوق الدروج يباع تاما... بثمان خمسون ريال ذهباً... شهد مع ذكر المبتاع حسن المذكور أن إبتاعه ماذكر ممن ذكر بثمان المذكور لزوجه الولية الزهراء بنت عبد القادر ومن مالها الخاص... أواسط شوال 1187 هـ».

«ثم حضرت الآن بالمحكمة الحنفية انها باعت من المكرم مصطفى الإنجشاري بن إبراهيم التركي جميع الجلسة... بثمان خمسة و خمسون ريال كلها ذهباً و شهد ما إبتاعه هو للولية الزهرة بنت أحمد ومن مالها الخاص أوائل ربيع الأول 1192 هـ». «ثم حضر زوج زهرة بنت أحمد مصطفى ابن إبراهيم الذي لديه توكيل منها و باع من المكرم سليمان جميع الجلسة... بثمان ثلاثة وعشرون دينار ونصف دينار سلطانية ذهباً أوائل الربيع الثاني 1199» ثم «حضرة هذا الأخير وحبسها على الساقية التي هي مجرى الماء للجزائر تحببسا تاما مؤبدا... أوائل الربيع الثاني 1199» (14).

كما يمكن إدراج مثال آخر وهو عبارة تتكرر تقريبا في جميع عقود التحسيس بالدرجة الأولى و عقود المعاملات الأخرى الموجودة بالمحكمة الحنفية «إنه مالكي و يريد أن يحاكم عن طريق المحكمة الحنفية».

بعد أن بينا مدى التعايش السلمي بين المذهبين المالكي و الحنفي و الذي كان التحسيس مظهرا من مظاهره الطاغية فسوف نحاول أن نبين الأسباب و الدوافع التي جعلت الجزائريين يحسبون أملاكهم على المذهب الحنفي الذي يعتبر دخيل على البلاد وبعيدا جدا عن السكان خاصة إذا علمنا أن المذهب المالكي قد إستقر بالمنطقة منذ عهد بعيد جدا.

إن تصفحنا لعقود الأوقاف طيلة العهد العثماني و خلال القرون التالية(10هـ/16م) و (11هـ/17م) و (12هـ/18م) و(بداية 13هـ/19م) و التي تم إحصائها حيث شملت الدراسة تقريبا 470 و قفية، 10٪ منها كانت أوقافا خيرية أما الباقي فكانت أهلية أو خاصة، و أغلب هذه الأوقاف إن لم نقل جميعها كانت على المذهب الحنفي، و هنا يجب الإشارة إلى نقطة هامة جدا و أعتبرها عائقا منهجيا يجعل من الإجابة على السؤال مبتورة. و المتمثل في عدم وجود عقود تحسيس واضحة الإشارة إلى أن هذا الحبس عقد على المذهب المالكي، في حين نجد عبارة جد واضحة داخل العقود تشير و تؤكد على أن هذا التحسيس عقد على المذهب الحنفي مثلا: «الحمد لله بعد أن إستقر على ملك... أشهد على نفسه أنه حبس ووقف لله تعالى... إبتداء على نفسه مقلدا في ذلك بعض أئمة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه و أرضاه و جعل الجنة منزله و مشواه...» و الملاحظ أيضا أن العقود الوحيدة التي توفرت لدينا خلال التصف الثاني من القرن 16م أي بداية العهد العثماني ثلاث عقود فقط، حبس السيد الفقيه الحبيب أبو عبدالله محمد بن المنعم المرحوم أبو الحسن علي ابن عبدالله حسن ابن محمد ابن جرواش في ربيع الأخيرة 958هـ / 1551م⁽¹⁵⁾.

وحبس المؤذن أبو الحسن علي ابن رافع الأندلسي في أواسط جمادى الأخيرة 981هـ / 1573م (16). حبس أبو الحسن علي بن (كذا) في أواسط جمادى الأولى 983هـ / 1575م (17).

ولا يوجد بهذه العقود أية إشارة تدل على هوية هذا الحبس هل هو مالكي أم حنفي لذلك لجأنا إلى بعض الحلول واستعمال بعض الوسائل المنهجية للإجابة عن الاشكالية.

لقد حددنا من قبل الفروق الأساسية بين الحنفية والمالكية فيما يخص التحسيس، مثل عدم اشتراط الحوز - التحسيس على النفس وغيرها من الأحكام كالمعاوضة والاستبدال والرجوع في الحبس-، فالمذهب المالكي يشترط الحوز والقبول أما أبا يوسف تلميذ أبي حنيفة الذي أعطى للمحبس حق الانتفاع بالحبس، ومن هنا كان التحسيس على النفس هي القاعدة التي سوف نأخذها كعامل نفرق به بين الوقف المالكي والوقف الحنفي. اضافة إلى اللجوء للأسئلة الشرعية أو الفتاوي التي قدمها أهالي الجزائر إلى المحكمة المالكية من أجل الحصول على موافقة شرعية للتحسيس على المذهب الحنفي. وللتوضيح أكثر سوف ندرج نص العقود الثلاث:

حبس الفقيه الأصيل ابو عبدالله محمد بن المنعم أبي الحسن المرحوم السيد عبدالله محمد بن جرواش جميع اللجنة المعروفة بجدبت المشاط الكاينة خارج باب الوادي أحد أبواب الجزائر المحروسة بالله تعالى... على أولاده علي ومحمد الكبيرين وعلى أولاده الصغار الآن في حجره وهم محمد والمبارك والسميرة وسلطانة وفاطمة وعلى من سيولد له بعد مدة ذكرا أو أنثى ان قضى الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين ثم على أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الاسلام لا يدخل في ذلك الأبناء مع الأباء... فإذا انقضوا عن آخرهم ولم يوجد منهم أحد رجع حبسا على أولاد ابن عمه الفقيه محمد بن أحمد بن جرواش لذكر منهم وعلى أولاد ابن عمه أحمد بن ابراهيم بن جرواش للذكور منهم على السواء والاعتدال بينهم بالسوية... فاذا انقضوا عن آخرهم ولم يوجد منهم أحد رجع

ذلك حبسا على جامع الغزل من هذا البلد الجزائر المحروسة بالله تعالى تصرف غلاته عاما بعد عام على ما يحتاج إليه الجامع المذكور بعد أن تقام منه مصالح اللجنة المحبسة... حبسا مؤبدا ووقفا دائما لا يغير عن حاله لا يبدل عن سبيله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين اراد الحبس بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه... شهر ربيع الآخرة من عام ثمانية وخمسين وتسعمائة.

أما العقد الثاني فكان نصه: «... حبس المؤذن الخير أو الحسن علي بن رافع الأندلسي (كذا) على ولده أحمد الصغير في حجره تحت نظره وعلى كل ولد يحدث له إلي حين وفاته جميع الدار الشرقية الباب الكاينة داخل بلد المدية المعروفة في القديم بدار علي شاشير... جميع الحانوت الكاينة بسوق الخياطة وجميع البحيرة وجميع ما تحتوته املاكه من البلاد والجنان واشجار ودار... على ضريح النبي صلى الله عليه وسلم واسط جمادى الآخرة 981هـ».

أما النص الثالث: «...حبس التاجر المعظم المرعى أبو الحسن علي ابن (كذا) على ولديه لصلبه الشاب جعفر الكبير المالك أمر نفسه وإبراهيم الصغير في حجره وتحت ولاية نظره جميع البلاد الكاينة ببني ربيعة خارج الجزائر المحروسة البلاد المذكورة بتجلايين مشتملة على جنتين إثنين إحداهما مغروسة تينا وغيره والأخرى مغروسة عبا وغيره وعلى بياض ومحرث وغياب وحوش قايم وبرج جديد ودار متصلة به... على التناصف والإعتدال بين الولدين المذكورين ثم على أعقابهم... وذلك للذكر مثل حظ الأنثيين لا يدخل الأبناء في ذلك كله على الآباء وكلما مات أب قام ابنه مقامه ومن مات منهم من غير عقب رجع نصيبه على الباقيين على الوجه المذكور والمسطور... وبعدم دخول البنات في ذلك ونص عليه فإذا ماتت أنثى من الحبس عليهم رجع نصيبها لإخوتها إن كانوا وإلا فلباقي الحبس عليهم الأقرب فالأقرب على السنة المذكورة والطريقة المسطورة فإن إنقرضوا على آخرهم رجع حينئذ ذلك لأولاد البنات المصرح بعدم دخولهم الأقرب فالأقرب من الحبس... على السطر والطريق المحرث ثم أعقابهم وأعقاب أعقابهم على حكم ما ذكر فإن إنقرض عقب البنات ولم يبق واحد منهم رجع

لشعبان معتق المحبس المذكور و لإبنه محمد حفيد المحبس المذكور إنصافا بينهما... رفع المحبس على المذكور جميع المحبس المذكور إلى ابنه جعفر الكبير المالك لأمر نفسه المذكور... بتوكيل الأب على المحبس المذكور إياه على ذلك أواسط جمادى الأولى ثلاثة وثمانين و تسعمائة».

هذه النصوص الثلاث التي راعينا فيها التسلسل التاريخي حتى يتبين لنا تطور نص عقد المحبس خلال القرن السادس عشر أي الفترة الأولى من الوجود العثماني بالجزائر وكان أحدهم خاص بمحبس عقارات داخل و خارج المدينة في البداية كانت نصوص بسيطة تشمل العقار و المحبس عليهم و مرجع المحبس أما النص الثالث و الأخير فكان أطولهم و إمتاز عن الآخرين بذكر الشروط و القواعد التي وضعها المحبس نفسه و أصبحت كما جاء في العقد سنة «على السنة المذكورة و الطريقة المسطورة» و عبارة «السطر و الطريق الحرر» كما كانت قائمة المحبس عليهم طويلة و متنوعة، كما تم إخراج البنات من عقب البنات من المحبس، لكن بالمقابل لا نجد آيت إشارة على أن هذه التحبيسات عقدت على المذهب الحنفي كالتحبيس على النفس مثلا.

إذن هذه العقود الثلاث التي توفرت لدينا كانت أحباسا مالكية خاصة أن أصحاب هذه الاحباس من أصل أندلسي وكان المحبسين في تلك الفترة يجيبسون أملاكهم على أولادهم مباشرة و أولاد أولادهم وعند إنقراض أحدهم يرجع المحبس إلى وجه من وجوه الخير. أما عن ظاهرة إدخال أبناء العم في المحبس بعد إنقراض العقب و إدخال المعتوقين مع إخراج البنات و عقب البنات من المحبس فقد ظهرت أواخر القرن السادس عشر و سوف تستمر هذه الظاهرة في عقود المحبس خلال القرونين السابع عشر و الثامن عشر - أن ظاهرة الخروج على بعض قواعد و شروط و أحكام المذهب المالكي بدأت قبل تطبيق المذهب الحنفي على الأحباس -

أما عن ظاهرة التحبيس عن النفس و إنتفاع المحبس بالمحبس قبل وفاته فقد بدأت تظهر في عقود التحبيس التي تعود إلى القرن 11هـ/17م. فقد أحصينا

44حسبا حسبما ماهو مسجل بالجدول 1 (18). 6 أحباس كانت خيرية و 11 حسبا تم على الأولاد مباشرة (أي العقب) أو على الزوجة أو غيرها من الأقارب وهناك حسبا شمل معتوق و أولاده. أما التحسيس على النفس.

فقد أخذ النسبة الأكبر حيث وجدنا 19 حسبا على النفس أولاً ثم على العقب ومن الملاحظ أن التحسيس على الأولاد مباشرة دون النفس كان خلال السنوات الأولى من القرن 17م أو بالتحديد أو أواخر القرن 16م و بداية القرن 17م. أما أواخر القرن 17م و بداية القرن الثامن عشر بدأت تقل التحسيسات على الأولاد و تكثر أو حلت محلها التحسيس على النفس ثم على الأولاد . هل هذا يعني أن الأخذ بالمذهب الحنفي في مجال التحسيس بدأ محتشما خلال القرن 17 ثم تزايد العمل به مع نهاية القرن 17 و بداية القرن 18م .

أما بالنسبة للقرن 18 وبداية القرن 19 فحسب إحصاء الأحباس المسجلة بالأرشييف المحاكم الشرعية⁽¹⁹⁾. وهي تشمل فقط أحباس الأحواش والبلاد (ملكيات ريفية) وتمثل الفترة الممتدة ما بين 1099هـ- 1253 الموافق ل1689م-1837م فأحصينا 04 أحباس خيرية و 51 حسبا على النفس و 25 حسبا على الأولاد مباشرة. إذن إن ظاهرة التحسيس على النفس بدأت تنتشر و يعمل بها منذ نهاية القرن السابع عشر إلى غاية بداية القرن التاسع عشر وهي تمثل القاعدة الشرعية الأساسية في المذهب الحنفي و التي تعتبر الفرق الشرعي بين المذهبين المالكي و الحنفي، « فالمذهب المالكي يشترط أن الذي يهب ملكا ما يتعهد بأن يسمح للمؤسسة المهدي لها أن تشرع حيناً لتمتع بذلك الملك... ويعتبر المالكي التحسيس على النفس عملاً باطلاً »⁽²⁰⁾.

إذن كيف بدأ تسرب المذهب الحنفي إلى عقود الأحباس و ماهو موقف علماء المالكية من ذلك في تلك الفترة؟

ب- فقهاء المالكية والتحسيس على المذهب الحنفي: إن فقهاء و قضاة المالكية كانوا يجيزون التحسيس على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وجاء هذا في إطار الفتاوى و الأجوبة الشرعية لعلماء المالكية على المسائل الفقهية التي طرحها

المحبسين عليهم قبل تحبيس أملاكهم. إن الجزائريين لم يحبسوا أملاكهم إلا بعد سلسلة كبيرة و طويلة من الأسئلة الشرعية التي تقدم بها هؤلاء إلى السادة العلماء في تلك الفترة محاولين من خلالها إيجاد طريقة شرعية لتحبيس أملاكهم على المذهب الحنفي. و لقد اعتبرها أغلب الذين تقدموا بهذه الأسئلة الفقهية "نازلة" أو "مسألة" ومعناها حسب ما جاء في ابن منظور: «النازلة: الشديدة تنزل بالقوم و جمعها النوازل و النازلة الشدة من شداثد الدهر تنزل بالناس نسأل الله العافية» (21)

أما الهادي فيضيف: «نازلة النازلة، مؤنث النازل. و النازلة مصيبة تنزل بالناس و الجمع نوازل» (22). و يمكن أن نعطي مثال: «الحمد لله سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم و متع المسلمين بطول حياتكم جوابكم عن نازلة هي رجل له جنة ورام تحبيسها لله تعالى ينتفع بغلتها مدة حياته و بعد وفاته على من يعود له ذلك و أتى الآن متسائلا ما حكم الله في النازلة في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه هل يسوغ له ما رام من الحبس المذكور على الوجه المنظور ليس إلا جوابكم تجزون وترحمون و السلام عليكم» ونص الجواب: «الحمد لله إذا كان الأمر كما ذكر و نقرر ما سطر يسوغ له مارام التحبيس المذكور على الوجه المسطور في قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه و عليه مشايخ بلخ رحمهم الله تعالى كتبه الفقير إلى مولاه محمد بن مصطفى وفقه الله بمنه الجواب أعلاه صحيح و عليه يوافق عبيد ربه أحمد ابن سعيد وفقه الله و أحمد الله ما أجابه به الشيخان أعلاه صحيح.

و عليه يوافق الفقير إلى الله تعالى محمد ابن محمد ابن الصباغ وفقه الله بمنه « إن إعطاء هذه الصفة أو الطبيعة "النازلة"، لمسألة الوقف على المذهب الحنفي لها دلالتها الفقهية وعمقها التشريعي و التاريخي حيث تبين مدى تمسك المجتمع الجزائري بالمذهب المالكي من جهة وأيضا مدى رغبتهم الشديدة في تحبيس أملاكهم على المذهب الحنفي من جهة أخرى نظرا للتسهيلات التي يقدمها و المرونة التي يتميز بها من ناحية الأحكام و الشروط و الطرق إستغلال الأملاك

الموقوفة. قبل الخوض في الحديث عن طبيعة هذه الأسئلة الشرعية و جواب العلماء عليها أردنا أن نحدد بعض ملامح وخصائص واثاق الخاصة بهذه الأسئلة الشرعية:

هذه الأسئلة الشرعية موجودة أغلبها بسجلات المحاكم الشرعية على طريقتين، الأولى عبارة عن قصاصات صغيرة متناثرة في العلب المختلفة مسجل عليها السؤال وجواب العلماء أما الطريقة الثانية يكون السؤال الشرعي موجودا في نص عقد التحسيس نفسه ويأتي أولا، فنجد نص السؤال ثم نص الجواب ثم نص التحسيس. وهذا دليل على انه لا يتم تحسيس إلا بالحصول على الموافقة الشرعية من جانب العلماء.

طرحت هذه الأسئلة، بعض منها على العلماء و البعض الآخر على المجلس العلمي مباشرة. بعض هذه الأسئلة الشرعية لا تحمل تاريخا باستثناء التي طرحت على المجلس العلمي أو التي تسبق التحسيس أو المرفوقة بعقد الحبس، كما أن البعض منها لا تحمل أختاما. لكن هذا لم يشكل لدينا عائقا لأنه تم الإعتماد بالدرجة الأولى على الأسئلة الشرعية التي تحمل أختاما و تاريخا أما بالنسبة التي لا تحمل ختما أو تاريخا فقد تم الإعتماد على أسماء العلماء الذين أجابوا على السؤال وهم الذين في أغلبهم نفس العلماء محاولين من خلال ذلك تحديد الفترة الزمنية التي عاشوا فيها و مارسوا فيها مهامهم كقضاة و مفتيين .

إن عدد العلماء الذين أجابوا على هذه النازلة، الحد الأدنى كان عالين أما الأقصى فكان أربعة علماء. لقد ركز علماء المالكية في أجوبتهم على هذه المسألة، التأكيد على موافقتهم على التحسيس على مذهب أبي يوسف و صحة هذا العقد، و ذلك ترغيبا للناس للوقف وكانت في ذلك حججهم حيث ورد في العقود العبارة التالية: «... إذا جعل الواقف لنفسه صح عند أبي يوسف**ومشايع بلخ ترغيبا في الناس للوقف» .

كما أشار العلماء إلى الكتب الفقهية التي اعتمدوا عليها في تقديم فتوهم بالموافقة وتدعيم لجوابهم الشرعي مثل: الكافي والباقي و الملتقى و الدر المختار و

غيرها، مؤلف الدر المختار لعلاء الدين بن علي بن محمد ولد بدمشق وتوفي سنة 1088هـ⁽²⁴⁾.

و كان العلماء الذين أجازوا التحبيس على المذهب الحنفي هم: محمد بن مصطفى و أحمد بن سعيد و محمد بن محمد بن محمد الصباغ ويعود تاريخ فتواهم إلى بداية القرن الثامن عشر أما السيد حسن بن مصطفى بن عبد الله إلى منتصف القرن الثامن عشر كما نجد أيضا فتاوى كل من المفتي عبد الرحمان المرتضى و المفتي محمد بن احمد بن جعدون (مفتي المالكية) والقاضي الطاهر بن أحمد بن محمد و حسين بن محمد وعمر بن محمد بن محمد بن طاهر الحرار التي تعود فتواهم إلى أواخر القرن الثامن عشر.

إن جميع هؤلاء العلماء عاشوا خلال القرن 18م ومارسوا وظيفة الإفتاء والقضاء على المذهب المالكي، وهذا ما يدعم أكثر الفكرة التي انطلقنا منها منذ البداية، أن الأوقاف عرفت انتشارا وتطورا واسعا خلال القرن الثامن عشر وخاصة أواخره الفترة التي تكثفت فيها عمليات التحبيس على النفس التي يقرها المذهب الحنفي ووافق عليها علماء المالكية.

لقد استمر المحبس في أسئلتهم الشرعية إلى أن وقفنا على وثيقة حبس تشير إلي أنه وقع اتفاق تم ما بين علماء المالكية حول جواز التحبيس على المذهب الحنفي، ولقد جاء في هذه الوثيقة مايلي: « حبس... ينتفع بغلته وسكناه مدة حياته مقلدا في ذلك قول أبي شعبان والمالكية فيما أجاز الحبس على النفس ان كان معقبا حسبما نقل عنه الباقي وغيره رضي الله عنهم ثم بعد وفاته رجع حبس على ذريته...»⁽²⁵⁾. يعود تاريخ الوقف إلى سنة 1231هـ / 1815م.

لقد استغلت ظاهرة التحبيس على النفس في بعض النزاعات والخصومات ما بين المحبس، من أجل إبطال الحبس. لكن علماء المالكية رفضوا إبطاله و أكدوا على صحته، على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة و مثال على ذلك قضية رفعت للمجلس العلمي تمثلت في نزاع ما بين زوجة محبس المدعوة

عائشة بنت محمد و أصحاب الديون المترتبة على الحبس، حيث طلب هؤلاء من الزوجة دفع المتبقي من الديون وطالبوا بإبطال الحبس محتجين بأن التحبيس على النفس لا يصح ومنعتهم الزوجة منعا كليا وترافعت معهم في شأن ما ذكر إلى المجلس العلمي⁽²⁶⁾.

ولقد حضر بالمجلس العلمي بالجامع الأعظم، سادة علماء المالكية و الحنفية، حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعدون وأبو العباس السيد أحمد أفندي وأبو عبد الله السيد محمد. فأظهر أرباب الديون وثائق تتضمن ما أدعوه و طابقوا تاريخ الديون المذكورة بمدة مديدة: « فحينئذ ظهر لهم دامت عافيتهم... أن الحبس المذكور صحيح على كلى المذهبين إما على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة... وهو قول أبي يوسف الذي يلزم بالقول سواء كان الدين سابقا أو لاحقا فإنه صحيح وأما على مذهب إمام دار الهجرة النبوية مالك رضي الله تعالى عنه و أرضاه فقال بصحة الوقف على النفس الإمام ابن شعبان كما نقل ذلك صاحب التوضيح عن الباجي ابن (كذا) وابن عبد السلام وغيرهم عن ابن شعبان وبه جرى العمل به في بلاد الجزائر... وأن من رام إبطال الحبس المذكور لا تسمع لدعواه ولا تقبل له حجة وأن أرباب الديون المذكورة إن وجدوا أشياء من متروك الهالك أخذوه وإن لم يوجد فأجرهم على الله ولا لوم على الزوجة المذكورة في الحبس المذكور...»⁽²⁷⁾.

فصل في القضية أواخر جمادى الثانية 1192هـ/ جوان 1778 م .

ج- التحبيس بين المحكمة المالكية و الحنفية : جاء في المرأة ما يلي: « إن من كان يريد أن يهب شيئا بعد وفاته ليتوجه إلى ما يسمى بالمحكمة الحنفية،... و المالكيون أنفسهم، فإنهم كانوا يحيلون عقودهم على تلك المحكمة لتشجيع الواهبين ومساعدتهم، ولمضاعفة موارد الطبقة المعوزة. هذه الأسباب التي أدت إلى ضرورة إبقاء محكمتين و قاضيين، وكل محكمة لا تقرر إلا بعد أن يبحث الفقهاء شروط العقد و أن يكون هؤلاء الفقهاء من المدرسة التي ينتمي إليها القاضي وذلك لكي لا يقع غموض عند الناس»⁽²⁸⁾.

لقد حاول حمدان بن عثمان خوجة أن يؤكد على أن المجتمع الجزائري كان لديه الحرية التامة في إختيار المحكمة التي يقصدها كما بين أيضا أنهم كانوا يقصدون المحكمة الحنفية خاصة عند عقد الهبات (التحيس أو الوقف)، لتشجيع الواهبين لكن في حقيقة الأمر يرجع أيضا لما يتميز به هذا المذهب فيما يخص هذه المسألة.

هناك ظاهرة أخرى لفتت إنتباهنا خلال قراءتنا لوثائق الأرشيف الخاص بالمحاكم الشرعية وهي عقد التحيس على المذهب الحنفي داخل المحكمة المالكية وتحت إشراف القاضي المالكي وأردنا إدراجها ودراستها لتبيان مدى التوافق الذي حصل ما بين المذهبين بالجزائر- دائما في مجال التحيس- هذه الأحباس و البالغ عددها 12 حسبما يعود تاريخها إلى حوالي منتصف القرن 18 وبداية القرن 19 (1142هـ-1238هـ/1729م-1822م) (أنظر الجدول رقم 2) وحسب الجدول نلاحظ أن المحبس كانوا من فئات مختلفة و ذوي الوظائف و الحرف فهناك الباشا وهو حبس السيد علي باشا وأيضا الأتراك العثمانيين برتبة يلداش و منزل آغا كما نجد أيضا أهل الأندلس، عبد الرحمان ابن المرحوم السيد الحاج إبراهيم شهر بوضربة وأيضا من أهل الحرف، فهناك الحفاف و الدباغ والعالم إضافة إلى أحباس النساء .

فقد التحيسات لم يقتصر أمرها على المحكمة الحنفية بل نجد حتى الأتراك العثمانيين أصحاب المذهب الحنفي بمن فيهم الباشاوات كانوا يعقدون تحيساتهم بالمحكمة المالكية أيضا بالتوازي مع المحكمة الحنفية. وجاء في بداية هذه العقود العبارة التالية: « حضر بالمحكمة المالكية المعظم عباس منزل آغا بن محمد بن الكبير به شهر... حبس جميع شطر ما على ملكه عن جميع البلاد الكائنة بوطن يسر الشرقي نظر البلاد المذكورة مع ما اشتمل عليه الشطر من بور و معمور وجنات و بحاير سقوية و بعلية ومياه سايلة وراكدة وماعدى منه عرف به ونسب قديما و حديثا على نفسه ثم يرجع إلى فقراء الحرمين الشريفين... بتاريخ أواسط سفر ثلاثة وسبعين مئة وألف هجرية» (29).

أما المثال الثاني الذي يعتبر أكثر وضوحاً ودليل قوي على التوافق و التعايش الذي حدث ما بين المذهبين وهو التحبيس على المذهب الحنفي بالمحكمة المالكية و إمضاء و موافقة القاضي المالكي: « بعد أن إستقر على ملك المكرم مصطفى الدباغ تملك جيع الدار... حضر الآن بالمحكمة المالكية إلى قاضيها الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح (كذا) أنه حبس لله تعالى جميع الدار المذكورة إبتداء على نفسه ينتفع بغلتها ذلك مدة حياته مقلداً في ذلك مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه و عن ساير الأئمة ثم بعد وفاته يرجع ذلك حبساً ووقفاً على ولديه محمد وفاطمة وعلى مايتزايد له إن قدر الله له ذلك و والدتهم خديجة بنت محمد كواحدة منهم ماتناسلوا الذكر و الأنثى في ذلك سواء... يرجع ذلك إلى سيدي عبد الرحمن الثعالبي و الشطر الآخر على المسجد الكاين بالحمامات... أوائل رجب 1201هـ⁽³⁰⁾ .

لم يقتصر الأمر على حرية اللجوء إلى أحد المحكمتين، المالكية أو الحنفية عند عقد التحبيس بل ظهر أيضاً ما عرف بالجمع بين أحكام المذهبين في عقد واحد، و ذلك في، حبس الحاجة فاطمة بنت أحمد: « حضرت بالمحكمة المالكية و أشهدت على نفسها أنها حبست لله تعالى جميع الجلسة المذكورة إبتداء على نفسها تنتفع بغلتها مدة حياتها مقلدة في ذلك أئمة الإمام الأعظم وبعض أئمة المالكية في من يريد جواز الحبس على ان يكون معقبا(كذا) وعن سائر الأئمة ثم بعد وفاتها ترجع الجلسة المذكورة حبساً ووقفاً على بعلمها المكرم مصطفى يلداش بن إبراهيم التركي ينتفع بغلته لذلك مدة حياته ثم بعد وفاته ترجع الجلسة المذكورة حبساً ووقفاً على المؤذنين بالجامع الأعظم... أواسط قعدة 1218هـ⁽³¹⁾ .

فتحبيس الحاجة فاطمة كان أولاً بالمحكمة المالكية وثانياً أشارت خلال التحبيس أنها إعتمدت على المذهبين الحنفي و المالكي وسائر الأئمة الذين وافقوا على ذلك و بهذا فقد أخذت بأحكام و شروط المذهبين و جمعت بينهما في عقد واحد.

لقد وافق علماء المالكية على التحسيس على المذهب الحنفي وأشرفوا قضائيا على عقود التحسيس على المذهب الحنفي داخل المحكمة المالكية مما أدى إلى كثرة الأحباس وتضاعفها. كما كانت المحكمة المالكية والحنفية أيضا صارمة في مجال تطبيق نص الوقفية وكانتا تعتبره نصا شرعيا يجب تطبيقه والسهر على ذلك ومراقبة عملية التنفيذ ومآل إليه الوقف. وكانت تأتي للمحكمتين بعض القضايا حول إبطال الحبس والرجوع فيه بحجة أنه غير مطابق للشروط الفقهية بحجة ترتب الديون على الحبس، لكن تم رفض هذه الطلبات ولم يسمح للقاضي الحنفي ولا المالكي بالرجوع وحل الحبس بل يتم تجديد عقد الحبس والتأكيد على صحته وتجديد عملية توثيقه*** ولهذه الأسباب المجتمعمة تكاثرت الأحباس وتضاعفت أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م.

ولم يقتصر الأمر على موافقة علماء المالكية التحسيس على المذهب الحنفي بل أشرفوا بأنفسهم على هذه التحسسات داخل المحكمة المالكية، بل كان المالكية موظفين أساسيين داخل مؤسسة سبل الخيرات (الحنفية) - التي تشرف على إدارة مساجد الحنفية - وكان أغلبهم من الأندلسيين الذين عينوا على أوقاف الحنفية، مثل، حميدة الأندلسي الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات، ومثل سليمان الكبابطي الذي عينه خضر باشا على أوقاف جامع وأيضاً محمد بن جعدون وهو مفتي المالكية الذي عينه محمد باشا عثمان وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح⁽³²⁾

إن لجوء المحبسين إلي طرح الأسئلة الشرعية والحصول على فتوى شرعية، هو محاولة إعطاء الصفة الشرعية للحبس لضمان صيرورته حتى لا يتعرض للإبطال لأن التحسيس على المذهب الحنفي أعطى للمحبس حق الإنتفاع بالحبس في حين كان المذهب المالكي يشترط الحوز والقبول. وبالتالي كان للمحبس حرية اختيار أحد المدرستين⁽³³⁾. وهذا ما يترجم التعايش الذي حدث ما بين المذهبيين خلال الوجود العثماني بالجزائر.

لقد قال المالكية بعدم الاستثناء في مجال التحبيس، فدفعت هذه الشدة أكثر المحبيين إلى الأخذ بالمذهب الحنفي لتسامحه. وأشار أحمد قاسم الذي درس الأحباس بتونس خلال القرنين 16 و 17م فوجد أن الأحباس بتونس أيضا كانت على المذهب الحنفي، وقد شهد بذلك الموثقين والعدول، ويختارون مذهب أبي يوسف الإمام الثاني بعد أبي خنيفة رضي الله عنهما. فأبو يوسف كان قد ضيق في الحبس كل التضييق ثم رجع وتساهل واعتبره مثل العتق، من أنه إخراج للملك ولا يستوجب الحوز، كما يعتبر الواقف ملزما بما تلفظ به فلا يجوز له التراجع عنه ويجوز اشتراط الواقف على نفسه، ويقول أيضا بصحة الوقف على نفسه وعلى ذريته وعلى ذرية ذريته⁽³⁴⁾.

كما توصل أيضا علماء تونس أيضا إلى جواز الأخذ بالمذهب الحنفي معتمدين في ذلك إلى ما ورد في قضية حبس من فتاوى تناولت هذا الموضوع وتقلد إحداها عن البرزلي ما رواه عن شيخه ابن عرفة رحمها الله من أنه أجاز للمقلد تقليد إمام غير إمامه بشرط عدم التلفيق⁽³⁵⁾.

إن التحبيس بالجزائر على المذهب الحنفي كان منذ الوجود العثماني رغم أنه بدأ محتشما ثم أخذ العمل به بشكل واسع واستمر العمل به وهذا ما يؤكد قول حمدان بن عثمان خوجة: «... وبمقتضى هذه القوانين المختلفة، أجمع الفقهاء على أن يطبق المذهب الحنفي على كل الهبات المشروطة وذلك لرفع الموارد الخاصة بالطبقة المعوزة وعلى العكس، فلو تطبق مبادئ القضاء المالكي فإن الأوقاف تقل بكثير عما هي عليه»⁽³⁶⁾.

لقد تبين من خلال دراسة رسوم التحبيس والأسئلة الشرعية التي وجهت إلى علماء المالكية والحنفية على حد سواء من أجل الجواز والسماح بالتحبيس على المذهب الحنفي، إن هذه العملية أكدت من ناحية على كثرت الأوقاف وتعددتها ومن ناحية أخرى على سيطرت المحكمة الحنفية على أمور القضاء خاصة في مجال التحبيس وما يتبعه من معاملات أخرى متعددة لها علاقة بطريقة استغلال الأوقاف، مثل الكراء والمعاوضة والعناء (الكراء الأبدي) والاستبدال. وأيضا على

كل المسائل المرتبطة بالحبس من النزاعات والخصومات. كما دلت أيضا إلى معرفة مكانة القاضي الحنفي في اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام. أما القضايا التي كانت تطرح على المحكمة المالكية، في أغلبها تتعلق بمسائل البيع والشراء وغيرها.

واستمر الأخذ بالمذهب الحنفي والعمل به في مجال التحبيس طيلة العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي أيضا، رغم محاولة الإدارة الاستعمارية الفرنسية التقليل من شأن المحكمة الحنفية، حيث كان من أولى أعمال الجنرال كلوزال إلغاء المحكمة الحنفية وجاء في المادة الأولى من قرار 22 أكتوبر 1830م، ترفع جميع دعاوى المسلمين، في الميدانيين المدني والجنائي إلى القاضي العربي، ينظر فيها بكل حرية وبدون استئناف، وفقا للقوانين والعرف السائدة في البلاد. وفي حالة ما إذا القاضي العربي (المالكي) في حاجة إلى مساعدة المفتي أو القاضي التركي (الحنفي) فإن هذا الأخير لا يكون له إلا صوت استشاري، لأن القرار من اختصاص القاضي العربي وحده⁽³⁷⁾.

ذلك نجد أن الكفة رجحت لصالح القضاء المالكي أثناء الاحتلال الفرنسي من أجل ضرب الحنفية التي اعتبرت الإدارة الفرنسية من مخلفات الإدارة التركية. ويؤكد الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الفرنسيين حاولوا أن يخلقوا تنافسا بين رجال الدين المالكية والحنفية. واعتبروا المفتين الأحناف مرتبطين بالعهد التركي وعاملوهم معاملة تجعلهم تابعين لا متبوعين. وبعد أن كان المفتي الحنفي في العهد العثماني، هو الذي له اليد الطولى والكلمة العليا ورئاسة المجلس العلمي أصبح المفتي المالكي هو الذي يتمتع بهذه الميزة⁽³⁸⁾.

لكن الملفت للانتباه أن التحبيسات التي عقدت بعد الاحتلال الفرنسي بقيت على المذهب الحنفي فخلال دراستنا لوضعية الأحباس بمنطقة بسكرة ما بين 1830-1940م⁽³⁹⁾، وجدنا أنه استمر العمل بالمذهب الحنفي حين يتعلق الأمر بتحبيس الأملاك. وعلى الرغم من عدم انتشار الحنفية في المنطقة فإن أغلب عقود التحبيس اعتمدت هذا المذهب وذلك نظرا لمرونته والمخرج الذي كان يجده المحبس فيه، جعلهم يأخذون بالمذهب الحنفي في عقود تحبيسهم تخلصا من القيود التي يلزم

بها المذهب المالكي لذلك كثيرا ما نص القضاء في عقود التحبيس بما يلي: «... حسبا مؤبدا ووفقا (كذا) مسرمدا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ما تعاقبت الأزمان... وأخذ الحبس في تحبيسه هذا بقول الإمام أبي يوسف يعقوب صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وعن ساير الأئمة أجمعين القائل يكفي بانعقاد الحبس حبست ووقفت ويد الملك رفعت من غير افتقار إلى حوز ولا إلى قبول ولا إلي حكم حاكم وهذا القول المشهور هو الذي جر به العمل عندنا في إفريقية الغراء ترغيبا للناس في الأحباس وعلى القول المسطور فقد استثنى الحبس المذكور الانتفاع بكامل غلة الحبس مدة حياته فإن صار إلى دار الآخرة لحقت الغلة...»⁽⁴⁰⁾.

كما تتوفر نفس السجلات على تواريخ تعود إلي سنوات متأخرة، مثل حبس السيدة مباركة بنت علي بتاريخ 21 جانفي 1960م بعقد عدد 226: «...وقفت وأبدت جميع العقار والدار والماء المذكورين انفا أولا على نفسها تشغله مدة حياتها ثم بعد وفاتها ولحوقها بدار الآخرة يرجع ذلك حسبا على ابنتها قرموش فاطمة بنت الطاهر بن الحشاني... وعلى أولادها... مقلداتا في تحبيسها هذا قول الإمام أبي يوسف صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنعهما وعن سائر الأئمة المهتدى القائل يكفي انعقاد في الحبس قول الحبس قول ولا إلى حكم حاكم وهذا القول المشهور عند علماء بلخ وبخارى واصفهان وما وراء النهر وبه جرى العمل في إفريقية الغراء ترغيبا للناس في الأحباس»⁽⁴¹⁾.

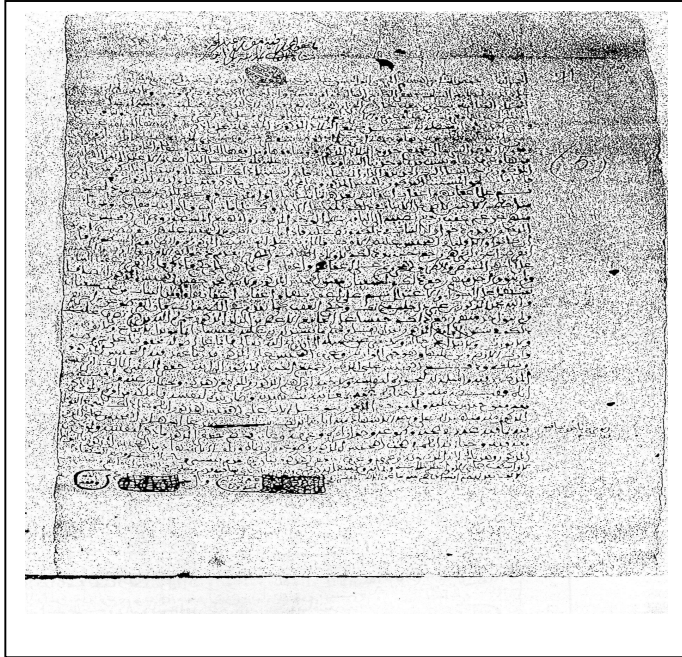
كان المذهب المالكي مذهب البلاد، لكن بعد مجيء الأتراك أصبح المذهب الحنفي مذهب السلطة. وعلى الرغم من أن المذهب الحنفي كان يأخذ به العثمانيون فقط، إلا أنه توسع نطاق العمل به وشمل بقية أفراد المجتمع بكل طبقاته وفئاته وذلك في مجال تحبيس الأملاك» وفيه جرى العمل عندنا في إفريقية ترغيبا للناس». فكثير تحبيس الجزائريين على المذهب الحنفي وكان كما رأينا المشرفين على عقود التحبيس من علماء المالكية أيضا، وتكاثفت عمليات التحبيس

وتضاعفت الأملاك المحبسة حتى أنها أصبحت تفوق في بعض الأحيان الأملاك الخاصة.

إن الأخذ بالمذهب الحنفي واستمرار العمل به حتى بعد الاحتلال الفرنسي يرجع إلى الميزات والمخارج الشرعية التي يتميز بها أهمها المرونة وإعطاء الحرية المطلقة للمحبس لوضع شروطه في الوقفية، فشروط الحبس على سبيل المثال، حقه في الانتفاع بالحبس مدة حياته، حقه في وضع الشروط التي يشاء وكيف ما يشاء والحرية في اختيار الورثة وإدخال البعض وإبعاد البعض الآخر وإخراج البنات وعقب البنات وشرط إخراج الزوجة من الحبس إذا تزوجت كما له الحق في إبطال الحبس مدة بقاءه حيا، وإن توفي ويمكن أن يعطي هذا الحق لمن يشاء.

ومن هنا نستنتج أن الحبس وجد في المذهب الحنفي حرية التصرف في ملكه وحق الانتفاع بغلته مدة حياته وفي نفس

الوقت الحفاظ عليه وضمان بقاءه. إن شروط الواقف تحترم ويعمل بها، فنص الواقف هو نص شرعي كما جاء في حبس السيد مصطفى التركي شاوش العسكر اشترط في حبسه: « متى أراد بيعه أو إدخال من يشاء أو إخراج من يشاء فله ذلك من غير معارض ومن غير منازع... أواسط شعبان 1218 »⁽⁴²⁾.



الجدول رقم-1 نماذج من عقود التحبيس خلال القرن ال11هـ / 17م.

المحبس	المحبس عليهم	مرجع الحبس	تاريخ الحبس
خضر باشا	على المسجد الذي استجد بناؤه بسوق الخراطين		1005هـ/ 1596م
قامير بنت القايد محمد شقيقة خضر باشا	على حزابين مسجد جامع خضر باشا		1006هـ/ 1597م
محمد بن الولي الصالح سيدي ابراهيم	على أولاده الذكور دون الإناث ثم على أعبابهم		1015هـ/ 1606م
الحاج يوسف بكباشي بن عبدالله	على الحمل الظاهر بزوجه مريم بنت ابراهيم وعلى مايزيد له إن شاء الله منها ومن		1017هـ/ 1608م

		غيرها	
1610/هـ1019	مكة المشرفة	على نفسها ثم على مربيته	ياسمينة بنت عبدالله وزوجة علي جلبي
1614/هـ1028 م	الحرمين الشريفين	على أعقابهم الذكور دون الإناث	أولاد الشيخ سيدي محمد بن عمران الحلبي والسيد يوسف والتواتي وأحمد
1620/هـ1030 م	شطر على الجامع الأعظم وشطر على جامع البلاط	(فندق) على زوجته نفسة بنت خلف الله وولديه من غيرها	رجب بن درواز الحايمي
1626/هـ1036 م	الحرمين الشريفين	(دار) على بناته أمينة وخديجة وعائشة وزينب معلى جميع ما يتزايد له	المعظم أبو عبدالله السيد محمد الحصار ابن ابي سعيد القطوطي
1628/هـ1038 م		على زوجته فاطمة بنت سالم الأندلسي وعلى عقبه وعقب عقبه	آغا بن إلياس التركي
1631/هـ1041	الجامع الأعظم	على نفسه ثم على أولاده	علي آغا بن جلنس التركي
أواخر صفر 1647/هـ1057 م	فقراء الحرميين الشريفين	ما يتزايد له من الحمل الظاهر	أبو زيد عبد الرحمان ابن السيد أحمد بلنسي الأندلسي
1648/هـ1058 م		على نفسه ثم ما يتزايد له من الأولاد	أحمد بن عيسى
1648/هـ1059 م	ح. ش	على نفسها ثم على اولادها	سلطانة بنت الحداد بن يحيى
1652/هـ1063 م	ح. ش	على معتوقها رمضان بن عبد الله وعلى أولاده	ياسمينة بنت السيد ابراهيم الحصار عرف اصطاولي

1655/هـ1066م	ف.ح.ش.	(دار بسويقت عمور على نفسه ثم على أولاده و على زوجته	الناسك الحاج على بن محمد الأندلس
1662/هـ1073م	ح.ش	على نفسيهما ثم على عقبها	فطيمة بنت محمد آغا
6662/هـ1073م	شطر على ح . ش وشطر على ف. أهل الأندلس		الحاج مصطفى بن محمد الأندلسي و ابنه
1669/هـ1080م	ح . ش	(دار أسفل عين الحمرة) على بعلها الحاج محمد آغا بن (كذا) التركي	عايشة بنت رمضان
1676/هـ1087م		على نفسه	شعبان خوجه ابن عبد الله
1676/هـ1087م		على ولديه محمد و خديجة	الحاج أحمد الخياط صناعة بن ابراهيم التركي
1677/هـ1088م	عائ حزابين المساجد الثلاث: الجامع الأعظم،السيدة والقهوة	(دار استجد بناءها بباب الوادي)	محمد باشا الدولتلي بن محمود
1679/هـ1090م	ف.ح.ش.	على نفسه ثم على أولاده	الحاج محمد باشا الولاتلي بن محمود
1679/هـ1090م	ف.ح.ش.	على أولادهم	الزوجان السيد الحاج محمد بالقبايل بن أحمد وخديجة بنت قاسم وابنتها فاطمة
1687/هـ1099م	ف.ح.ش.	على نفسها ثم شقيقتها حليمة ثم عقب بنات حليمة	مريم بنت محمد رئيس المدعو غانم
1680/هـ1091م	ف.ح.ش.	على نفسه ثم على زوجته	عبد القادر بن الرحوم السيد علي خوجة
1681/هـ1092م	ح.ش.	على أولادها مصطفى	خديجة بنت السيد علي

		وعلي الصغير	الطبيب
1682/هـ1093م	ح.ش.	على ابنتها نفسة بنت المرحوم عبد الباقي خوجة	عائشة بنت مصطفى الأندلسي
1682/هـ1093م	ح.ش.	على نفسه وبعد وفاته على ابنته فاطمة وزوجه عائشة بنت محمد	الحاج محمد الكبابي بن محمد الأندلسي
1682/هـ1093م	الجامع الأعظم وجامع القشاش	(دار وعلوي ومخزن) على نفسه ثم على ولده الموجود وعلى مايتزايد له وعلى مملوك والدته	أحمد رئيس بن المرحوم مصطفى رئيس بن جعفر
1682/هـ1093م	الجامع الأعظم	على نفسه	محمد آغا بن محمد عرف باشا
1682/هـ1093م	ف.ح.ش.	على نفسه وعلى ما يتزايد له	أوسطا محمود السفاح
1682/هـ1094م		على نفسه	الحاج على القواف
1683/هـ1095م		على أولاده ذكور وإناث وعلى أولادهم	محمد بن محمد الرجهلي
1686/هـ1098م	على فقراء الجامع الأعظم وفقراء الأندلس		السيد محمد بن عمر محمد الشريف الأندلسي
1686/هـ1098م		على نفسه	الحاج عبد الرحمان
1687/هـ1099م	على مسجد الولي سيدي رمضان		أبو العباس السيد أحمد بن المرحوم الحاج أحمد الهنجيط
1687/هـ1099م	ح.ش.	(حوش) على ولديه أحمد ومحمد وعلي	الحاج محمود بن المرحوم الحاج حمودة

1687/هـ1099م	ح.ش.	على نفسه	الحاج محمد آغا الصبايحية
1687/هـ1099م	ح.ش.	على نفسها ثم على أعباها	عائشة بنت مامي آغا وابنتها فاطمة
1689/هـ1101م	ح.ش. وفقراء أهل الأندلس	على نفسه	الحاج علي الفضل بن أحمد النجار
1697/هـ1109م	ح.ش.	على نفسه ثم على أولاده الموجودين	علي خوجة باي صاحب الناحية الشرقية
1697/هـ1109م	ح.ش.	على نفسه ثم ولديه وعلى مايتزايد له	أحمد بلوكباشي والي التركي
1707/هـ1119م	ح.ش.	على أنفسهما ثم أولادهما	الإشتراك مهدي الشماع بن محمد وزوجه الولية آمنة بنت رجب بلوكباشي

الجدول رقم-2- الأعباس على المذهب الحنفي التي عقدت بالمحكمة المالكية:

التاريخ	مرجع الحبس	الحبس عليهم	الحبس
1729/هـ1142م	ح.ش.	على نفسها ثم على ولديها وهما علي وعبد الرحمان ولدا محمود ثم على أولادهم	قادن بنت ابراهيم
1730/هـ1143م	ف.ح.ش.	على أولاده علي ومحمد ومصطفى وفاطمة للذكر مثل حظ الأنثيين	أبو زيد السيد عبد الرحمان بن الرحوم السيد الحاج ابراهيم شهر بوضرية
1748/هـ1161م	ف.ح.ش.	على نفسه ثم أولاده الموجودين ثم أولادهم للذكر مثل حظ الأنثيين	علي بن عبد العزيز بوالأنجاص به شهر

1759هـ / 1173م	ف.ح.ش.	على نفسه	العظيم عباس منزول آغا بن محمد بن الكبير به شهر
1759هـ / 1173م	على الجامع الذي استجد بنائه (جامع سيدي الأكحل)		السيد علي باشا
1764هـ / 1178م	ف.ح.ش.	ذريتهم وذرية ذريتهم	الإخوة عبد الرحمان وموسى وخليفة أولاد الحاج عبد الله
1765هـ / 1179م	ف.ح.ش.	ذريتهم وذرية ذريتهم	الإخوة آمنة وعلي أولاد الحفاف بن سليمان
1783هـ / 1198م	ف.ح.ش.	على نفسه ثم على ذريته	مصطفى يلداش بن محمد التركي
1786هـ / 1201م	مسجد الحمامات وضريح الثعالبي	على نفسه ثم على ولديه محمد وفاطمة وعلى ما يتزايد له	مصطفى الدباغ
1800هـ / 1215م	ف.ح.ش.	على نفسها ثم على بعلاها المكرم والي يولدش بن ابراهيم التركي	الحاجة فاطمة بنت أحمد
1803هـ / 1218م	الجامع الأعظم	على نفسها ثم ربيبتها الشاب ابراهيم الإنجشاري بن دالي محمد	ميمونة بنت محمد الإنجشاري بن محمد بن مصطفى
1822هـ / 1238م	على أربع رجال من طلبة الدين يقرؤون حزب بالجامع الأعظم بعد صلاة الظهر		العظيم الناسك المعتمر الحاج حسين صهر العظيم السيد حسين باشا كان بن والي

❖ هوامش البحث

- (1) Baheaddine, Yadiyildiz, institution waqf au 18s. en Turquie, étude socio historique, Ankara, imprimerie de la société-1 d'histoire Turque, 1985

وتعتبر هذه الدراسة الأكاديمية رسالة دكتوراه منشورة وهي من بين الدراسات التي وضعت مؤسسة الوقف في تركيا تحت المجهر و بينت أهميتها و دور الوقف الاجتماعي و الإقتصادي و الديني معتمدا في ذلك على وثائق الوقف

- (2) محمد عفيفي: الأوقاف و الحياة الاقتصادية في مصر في العهد العثماني، الهيئة العامة للكتاب، 1991

- (3) أعمال الملتقى الدولي حول:

le waqf dans l'espace islamique » I.F.E.A.D , Damas 1995

- (4) André Raymond ;« les grandes wakfs et l'organisation l'espace urbain à Alep et au Caire à l'époque ottomane 16-17em siècles» Bulletin d'étude orientale ;tom31 année 1979 ;p.113-128

- (5) Abdelhamid Hania ; **propriété et stratégies sociale à Tunis (16-18em siècles)** ;université de Tunis ; juin 1999.

- (6) Mouldi Lahmar,« les hubus dans la société et le ŠAR le Miyar d'WanŠarisi » , les cahiers de Tunisie ; tome 41/42 , N.151-152-153-154 , 1^{em}- 4em trimestre 1990 , p . 140

- (7) ناصر الدين سعيدوني: «الأوقاف بفحص مدينة الجزائر دلالات إجتماعية و مؤثرات إقتصادية» في الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر أعمال ندوة الجزائر 29-30 ماي 2001، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة الجزائر، ص.54-55

- (8) Mouldi Lahmar , op.cit , p.142

*- في حقيقة الأمر أن المذهب الحنفي لم يدخل إلى شمال إفريقيا مع الوجود العثماني، فلقد انتشر في عهد سابق خلال القرن الأول للهجرة وفرض نفسه ووقع صراع كبير وطويل مابين علماء المالكية وعلماء الحنفية المغاربة، وكان يسمى في تلك الفترة مذهب العراقيين. وقد جاء في تاريخ التشريع في افريقية أن أسد بن فرات قد جمع بين الفقه المالكي والحنفي في مؤلفه الأسدية، كما يذكر التاريخ أيضا أن القاضي ابن سحنون كان من مناصري المذهب المالكي فحارب أصحاب المذهب الحنفي وأهل البدع كما منع دروس الإباضية والصفوية والمعتزلة، فعرف عهد الأغلبة صراع بين المالكية والحنفية.

كما لقي المذهب الحنفي انتشارا أيضا خلال العهد الفاطمي، فأعتمد العبيدون على الحنفية ولولهم منصب القضاء ومكنوهم من مراقبة علماء المالكية، وأقيمت العديد من المناظرات بين المالكية والحنفية في عهدهم. لكن رغم ذلك تمسك أهل شمال افريقيا بالمذهب المالكي واعتبروه جزءا من قوميتهم ودرعا يقيهم عواطف الزيغ والتمرد في عهد المرابطين والموحدين والحفصيين والزيايين والمرينيين إلى أن جاء العهد العثماني حيث اعتبر مذهب الدولة وليس مذهب السكان. أنظر: أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء افريقية وتونس، تقديم وتحقيق على الشابي، الدار التونسية للنشر تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 وأيضا عبد الحميد مجذوب، الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، ط.2، 1985.

(9) محمد بن عبد العزيز بن عبد الله : الوقف في الفكر الإسلامي ، جزءان ، المجلد الأول، مطبعة فضالة، المغرب 1416هـ-1996م ، ص.113-114 .

(10) زهدي يكن: الوقف في الشريعة والقانون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1338هـ، ص. 10

(11) خليفة حماش: العلاقات بين الجزائر و الباب العالي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر تحت إشراف الدكتور فاروق عثمان أباطة و الدكتور خليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الإسكندرية كلية الآداب قسم التاريخ و الآثار 1408هـ-1988م ص . 76

(12) أبو القاسم سعد الله: المفتي الجزائري ابن العنابي، رائد التجديد الإسلامي (1775م-1850م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977م ص. 13-19

(13) Mustapha, Ben Hamouche , «Hanifisme, Malikime et gestion urbain cas d'Alger à l'époque ottomane» Revue d'Histoire Maghrébine, n° 93-94 vol 26 mais 1999 p .99 .

(14) الأرشيف الوطني الجزائري، محاكم شرعية ، علبة 145 وثيقة و. (31)52

(15) محاكم شرعية، علبة37 و.8 (مخطوط على الجلد).

(16) محاكم شرعية علبة 1/128 و.75

(17) محاكم شرعية علبة 55 و.5(71)(مخطوط على الجلد) أنظر الوثيقة رقم-1- بالملاحق

(18) وضع هذا الجدول حسب ما إشمئت عليه وثائق المحاكم الشرعية بالأرشيف الوطني من عقود الأقباس.(أنظر الجدول رقم-1- بالملاحق)

(19) محاكم شرعية، علبة 126-127 و علبة 124 و علبة 4 و علبة 117-118 و علبة 47 و علبة 42

(20) حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية الفنون المطبعية، 2005، ص. 237-239

(21) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله على الكبير ومحمد أحمد حبيب الله وهشام محمد الشندلي، 6أجزء، الجزء 6 من م إلي ي، ص. 440

(22) الكرمي حسن سعيد: الهادي إلى اللغة العربية، قاموي عربي عربي، 4 أجزاء، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1991، ج4(ك-ي)، ص. 285

(23) محاكم شرعية، علبة 2/18 من 1-8 ، وثيقة 10.

***- أبو يوسف هو قاضي بغداد في عهد المهدي والهادي وهارون الرشيد توفي ببغداد سنة 182هـ

(24) Zeys, E., et Mohammed ouled Sidi Said, recueil d'actes judiciaires arabes, Alger Adolphe Jordon, 1886,p. 92-24

(25) محاكم شرعية، علبة 117-118، وثيقة 36

(26) محاكم شرعية، علبة 55، وثيقة 38 (و حبس المكرم الحاج العربي أمين جماعة جيعلية كان ابن شعبان في السابق جميع البلاد الكاين بفحص بني ربيعة ابتداء على نفسه وبعده على زوجه عائشة بنت محمد وبعده وفاته على أولاده إن قدر الله... حبسا على المسجد الكائن بعمارة تيقصرين مؤرخ أواسط جمادى الأولى عام 1178هـ كما حبس أيضا جميع اللجنة الكاينة بفحص الأبيار ابتداء على نفسه وبعده على زوجه الذكورة وعلى من سيولد لهم... على فقراء الحرمين الشريفين وأخر حجة الحرام 1180هـ، 1178هـ/1764م و 1180هـ/1767م
(27) الوثيقة نفسها.

(28) حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص.240

(29) محاكم شرعية، علبة 126-127، و.4 (1173هـ/أواخر مارس 1759م)

(30) محاكم شرعية، علبة 60، و.58، (1201هـ/أواخر شهر أفريل 1786م)

(31) محاكم شرعية، علبة 145، و. (54) 29 (1218هـ/1803)

***- إحتوت وثائق المحاكم الشرعية أيضا على قضايا رفعت للمحكمتين وللمجلس العلمي يطلب فيها أصحابها الرجوع في الحبس لكن جلها رفض

(32) أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص.240

(33) Mohamed Aziz Ben Achour«le habous ou waqf :l'institution juridique et la pratique tunisoie», in hasab wa nasab , parenté ; alliance et patrimoine en

Tunisie, sous la direction de Sophie Ferchio , CNRS ,Paris , 1992 ,p,51-78 ,p 61-62.

(34) أحمد قاسم: «الوقف في تونس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر» في: الوقف في العلم الإسلامي: أداة سياسية واجتماعية، تقديم راندي ديغليم ومقدمه اندري ريمون، دمشق، 1995م، ص.9.

(35) أحمد قاسم: المرجع السابق، ص.8.

(36) حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص.238.

(37) المصدر نفسه، ص.210.

****- يقول الأستاذ شارل أندري جوليان: «كان المذهب المالكي المتمسك بالنصوص والمعارض للتأويل هو الذي تبناه المغرب. ولم ينجح المذهب الحنفي الأقل تشددا ولم يتمركز في غير المدن بالرغم من أن الحكم العثماني الذي أيده في القرن السادس عشر ولم يبق له اليوم من الأتباع سوى أقلية من أصل تركي بتونس وعدد من العائلات بمدينة الجزائر وتلمسان»، شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم والطبيب المهدي والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، مراجعة فريدة السوداني، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1956. ص.23.

(38) أبو القاسم سعدالله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة 1990، ص.314-334.

(39) وافية نفطي: الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة من خلال وثائق الأوقاف (الأحباس) 1830-1930، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس الأولى، مذكرة لنيل شهادة الدراسات المعمقة 1995-1996.

(40) سجلات محكمة طولقة وامليلي، خاصة سجلات 81 عقود مختلفة من 28-4-1938 إلى 23-02-1940.

(41) سجلات طولقة، تبرعات 1952 - 1960.

(42) محاكم شرعية، علبة 2/18، وثيقة 68.

الدراسات باللغة الأجنبية

Revue des Sciences de l'homme et de la Société



**Périodique international à comité de lecture Publié par
la Faculté des Sciences Humaines et Sociales**

Université Biskra- Algérie

ISSN 2253-0347

Dépôt Légal 1695-12

Septembre 2016

N°20

**Approche sociolinguistique du discours journalistique en
Algérie: renouvellement social et renouvellement linguistique
Nadjiba Benazzouz, Université de Biskra, Algérie.**

Resume :

Tout changement linguistique se trouve déterminé non seulement par sa structure immanente qui règle les échanges des locuteurs dans une communauté, mais aussi par son fonctionnement soumis aux lois d'évolution d'une société donnée. La modification de la structure sociale se traduit par un changement des conditions dans lesquelles se développe le langage. Dans une perspective sociolinguistique, nous nous sommes posée la problématique suivante : dans quelle mesure le changement social peut-il intervenir dans la création de nouvelles unités lexicales dans la presse écrite algérienne?

الملخص:

التغيير اللغوي ليس مرتبطا فقط بشكل الكلمات الجديدة، انه أيضا يواكب التطور الاجتماعي لمجتمع ما فالتغيير الاجتماعي يخلق وسطا جديدا لتطور اللغة. و من الملاحظ أن النص الصحفي الصادر عن الصحافة المكتوبة يختلف عن باقي النصوص الإعلامية، لذا تهدف هذه المداخلة إلى دراسة مجموعة وحدات لغوية منتقاة من الصحافة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و ذلك للإجابة عن الإشكالية التالية: كيفي تؤثر التطورات الاجتماعية على الإبداع اللغوي لدى الصحفيين.

Introduction:

La linguistique est nécessairement sociolinguistique, selon W. LABOV, c'est-à-dire qu'on ne peut étudier la langue qu'en relation avec des variables sociales. Dans la présente contribution, nous souhaitons montrer l'impact du changement social sur l'évolution linguistique, selon W. LABOV « *on peut difficilement chasser la conclusion du sens commun, selon laquelle, en fin de compte, la linguistique doit avoir pour objet l'instrument de communication qu'emploie la communauté* »⁽¹⁾.

Cette vision met l'accent sur le lien indissociable qui existe entre la langue et la société. De ce fait, les néologismes ne sont qu'un produit de société et leur étude ne se fait qu'en relation avec l'évolution sociale d'une communauté. Comme le développe W. LABOV, la société a des incidences sur la langue, et « *c'est en effet dans et par la langue qu'un individu et société se déterminent mutuellement* » (2).

Il est question, dans la présente intervention, de montrer que le rééquilibrage d'une situation linguistique comme celle en Algérie passe nécessairement par la reconstruction sociale, culturelle, politique et identitaire manifestée dans les statuts des différentes langues existantes. Le français en usage en Algérie, avec ses particularités lexicales, semble se constituer progressivement sa propre identité dans son nouveau milieu d'adoption.

1. PARTICULARITE DU DISCOURS JOURNALISTIQUE

La presse est un objet qui participe d'une réalité complexe où interviennent des facteurs aussi nombreux que divers. Son statut de moyen de communication de masse, les fonctions qu'elle assume, les enjeux dont elle est l'objet et les modélisations auxquelles elle se prête, la soumettent à un large spectre de déterminations dont il est peu probable de pouvoir dresser un état complet. Son étymologie provient du latin *pressus*, qui veut dire pressé, comprimé, serré, enfoncé. La presse ou presse écrite désigne l'ensemble des journaux. Plus généralement, elle englobe tous les moyens de diffusion de l'information écrite : quotidiens, hebdomadaires et autres publications périodiques ainsi que les organismes professionnels contribuant à la diffusion de l'information écrite.

Moyen de communication, la presse véhicule un message, ce message est mis en forme par le texte, c'est ce dernier qui fait la presse en lui conférant sa valeur pratique. Ce texte est une manifestation linguistique, issue, à l'origine, d'un besoin de communication. Cette pulsion communicative installe son produit dans des réseaux communicationnels déterminés.

Etant donné que la langue est un moyen de communication par lequel les gens échangent de l'information, il faut inventer un nouveau mot pour désigner de l'information qui serait nouvelle. Toute langue évolue nécessairement, et tout changement linguistique

se trouve déterminé non seulement par sa structure immanente qui règle les échanges des locuteurs dans une communauté, mais aussi par son fonctionnement soumis aux lois d'évolution d'une société donnée. La modification de la structure sociale se traduit par un changement des conditions dans lesquelles se développe le langage. De ce fait, le discours journalistique émis à travers la presse écrite se voit différent des autres discours médiatiques. L'analyse et la description de ce genre de discours demande un traitement un peu particulier par son caractère scriptural qui nécessite une lecture et une connaissance préalable du code (langue d'écriture y compris le processus créatif) qu'utilise cette presse.

2. PROBLEMATIQUE, CORPUS D'ETUDE ET OBJECTIFS

Les linguistes s'intéressent à l'étude des rapports entre la langue et le jeu des mouvements sociaux, accordant une attention particulière à des relations sociales établies dans et par le nouveau mot, ce qui laisse à dire que « *la formation du néologisme n'est pas une opération purement linguistique, qu'elle est à la fois un phénomène de langue et un phénomène de société* » (3).

Le signe linguistique qui constitue *l'arène* selon Bakhtine fait que le langage ne soit pas isolé de son contexte social : « *La véritable substance de la langue n'est pas constituée par un système abstrait de formes linguistiques... ni par l'énonciation monolingue*

isolée, ni par l'acte psychologique de sa production, mais par le phénomène social de l'interaction verbale »⁽⁴⁾.

Notre étude relative à l'analyse des lexies néologiques dans le discours journalistique se concentre plus particulièrement sur un corpus écrit se composant de 580 lexies néologiques extraites de la presse écrite algérienne d'expression française pendant la période s'échelonnant du 01 / 06 / 2010 au 31 / 05 /2011. Les trois quotidiens nationaux d'expression française : El-Watan, Liberté et Quotidien d'Oran en sont le support. Ce choix est bien entendu lié à l'objectif global de la recherche qui a pour ambition de donner une image des différentes facettes du français écrit en Algérie, en évoquant l'impact du changement social, culturel et politique sur les pratiques linguistiques des journalistes.

Le traitement de ce corpus va nous permettre d'étudier les nouvelles réalités de la langue française en Algérie tout en répondant à la problématique suivante : En quoi le changement linguistique est-il relié aux changements sociaux? Autrement dit, dans quelle mesure le changement social peut-il intervenir dans la création de nouvelles lexies ? Les objectifs visés à travers cette étude étant d'abord, de montrer l'impact du changement social sur la créativité linguistique et de voir comment le locuteur arrive à répondre à ses lacunes en matière de lexique en faisant recours aux différentes langues composant le paysage linguistique algérien. Le choix de la presse écrite algérienne d'expression française est un

choix conscient dans la mesure où ce discours journalistique véhicule non seulement l'information mais une effervescence linguistique marquée par la présence de différentes variétés composant le champ linguistique algérien.

Dans la présente contribution, nous allons essayer de comprendre comment fonctionne le processus néologique et dans quelles conditions sociales émerge une nouvelle unité lexicale, c'est pourquoi nous allons focaliser notre intérêt sur l'ensemble des événements et des mutations politiques, sociologiques, culturelles et religieuses qui ont présidé à l'expansion de la langue et qui ont eu une influence sur son évolution pendant la période considérée. Ces nouvelles unités linguistiques, composant notre corpus, sont produites dans des conditions précises et leur sens ne peut être appréhendé qu'en les plaçant chacune dans son contexte, il serait donc impensable de tenter de déconnecter la néologie des conditions d'énonciation qui font apparaître les néologismes. Selon MAINGUENEAU D. « *les conditions d'apparition du discours, son mode d'existence constituent d'une certaine façon son sens* »⁽⁵⁾.

C'est pourquoi, pour mieux saisir les spécificités du discours dans lequel apparaissent les néologismes, nous essayerons de mettre l'accent sur leurs conditions d'énonciation. Nous essayerons de relier, dans une perspective interprétative, les changements linguistiques aux changements sociaux, c'est dans ce sens que cette

étude abordera la question de l'évolution de la langue selon une approche sociolinguistique.

1. ESSAI DE CLASSIFICATION DES LEXIES NEOLOGIQUES

Notre recherche qui s'intéresse à l'analyse du phénomène linguistique observé depuis peu en Algérie, celui de la naissance et la création d'unités lexicales nouvelles, vise à interpréter cette dynamique lexicale de point de vue sociolinguistique et socioculturelle puisqu'il est impossible de dissocier les manifestations, les pratiques linguistiques des locuteurs qui les ont réalisés, utilisés, de leur contexte d'apparition. L'objectif étant de montrer dans quelles directions évolue le lexique et quels sont les rôles sociaux à ces changements. Le changement linguistique se produit par la différenciation à travers les générations qui coexistent dans une même synchronie. La néologie prend donc une dimension sociolinguistique. La consultation des journaux parus pendant la période choisie nous a permis d'observer un recours croissant à la création de mots nouveaux. Selon XU : « *l'analyse quantitative d'un corpus peut souvent servir à dégager une certaine tendance linguistique reliée au contexte d'une époque particulière dans une société donnée* » ⁽⁶⁾.

Ainsi, la période que nous avons choisie pour faire la collecte des néologismes, coïncide avec un contexte politico social très particulier ; elle jalonne d'évènements qui ont marqué l'actualité sur

l'échelle nationale et internationale surtout dans le monde arabe entre le 01/06/2010 et le 31/05/2011.

Pour les besoins de notre recherche, nous nous sommes intéressée au processus de répartition des lexies néologiques collectées selon les domaines de production, leurs fréquences dans un journal par rapport à un autre, leur répartition par mois. Ces critères extralinguistiques nous renseignent sur ce processus néologique et à ses causalités sociale, culturelle et identitaire.

2.1. Répartition des lexies néologiques par domaines

Les lexies néologiques seront classées par domaines sémantiques qui sont au nombre de quatre à savoir : le domaine social, le domaine politique, le domaine religieux et le domaine culturel. Il est à noter que cette classification est loin d'être exhaustive dans la mesure où les sujets traités par les journalistes sont d'ordre varié. Pour rendre notre tâche plus pratique, nous avons inclus dans le domaine social : les comportements sociaux, les faits de société, les choses du quotidien et des réalités nouvelles, les activités et les métiers, les idéologies. Même les domaines de très faible présence tels que le sport, l'économique, le tourisme...font partie dans notre classification du social.

Notre objectif à travers la classification par domaines est de démontrer que l'appartenance sociale, culturelle, politique et religieuse influence le processus néologique. La langue française utilisée par les journalistes algériens s'est appropriée pour devenir un

moyen d'affirmation sociale et culturelle. Les lexies néologiques sont réparties, selon les domaines, dans le tableau suivant:

Néologismes Domaines	Nombre de néologismes	Pourcentages
Social	342	58,96%
Politique	84	14,48%
Culturel	78	13,44%
Religieux	76	13,10%

Tableau 01: Répartition des lexies néologiques par domaines.

Ces résultats peuvent être présentés comme suit :

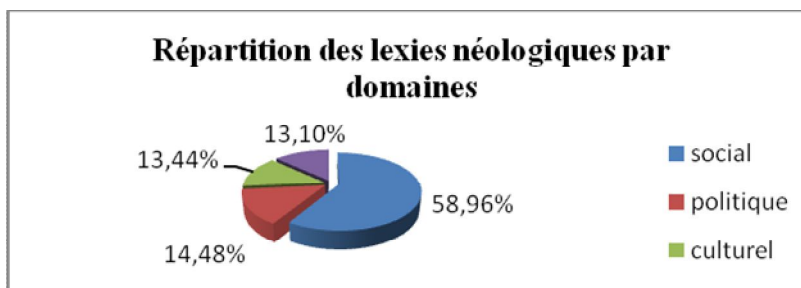


Figure : 01

D'après les résultats récapitulés dans la figure ci-dessus, nous pouvons dire que les lexies néologiques sont utilisées dans des domaines très variés : le domaine social, est celui où la création

lexicale est forte, la proportion des lexies néologiques en témoigne : 58,96%. Le domaine de la politique est bien représenté, il constitue 14,48% de l'ensemble des néologismes. Avec la proportion de 13,44%, le domaine culturel devance de très peu celui de la religion 13,10%.

Ces proportions nous permettent de constater que le domaine qui suscite le plus la néologie journalistique est celui du social, il comporte, à lui seul, plus de la moitié des créations lexicales (58,96%) suivi du domaine de la politique. Ces données peuvent être interprétées comme suit : La place importante occupée par le domaine social est, sans doute, due à la nature des articles de presse à partir desquelles ont été extraites les lexies néologiques, articles de commentaire, où les journalistes ne se contentent pas de décrire ou de commenter ce qui se passe mais tentent parfois d'explicitier certains comportements sociaux et ce, en mettant en évidence les problèmes du citoyen algérien confronté au chômage, au terrorisme...etc. Il est à noter que cette période de l'année 2010/2011 a été marquée par la pénurie de certains produits de grande consommation, la hausse des prix, crise de logements, problème de liquidité dans les postes et la question du pouvoir d'achat sont devenues des thèmes centraux dans les articles de prsses. Nous citons à titre d'exemple les lexies néologiques suivantes : *prêt-à-habiter, soucial, guellil, marchandables, s'entremanger, tout est ghali, zawaliya, prêt-à-manger, mdammar, demmerebarkisme, sans-le-douroetc.*

Le nombre des lexies néologiques renvoyant au domaine de la politique est considérable. Certes, ces résultats sont à mettre en relation avec les événements qui ont marqué la scène politique en Algérie et dans le monde arabe (printemps arabe) pendant la période s'étalant du 17/12/2010 jusqu'à l'année 2011, commençant par la révolution tunisienne, ensuite égyptienne et arrivant à celle libyenne, ainsi que d'autres événements internationaux. A l'échelle nationale, le pays a connu différents émeutes et manifestations, nous citons à titre d'exemple les émeutes du 3 janvier 2011 contre la flambée des prix de quelques produits, grèves de différentes strates de la société (médecins, étudiants, gardes communaux...) et les manifestations chaque samedi demandant la levée de l'état d'urgence. Les lexies néologiques qui relèvent de ce domaine sont nombreuses : *Anti-Bouteflika*, *moukhabarates*, *baltaguisme*, *Si –Kadhafi*, *antimeute*, *méga-grève*, *anti-Quaida*, *kabouliser*, *Bouteflikien*...

En ce qui concerne l'appartenance au domaine culturel, 13,44 % des lexies ont été concernées exemple : *Karkabou*, *El Fen el Acil*, *Layali El Malouf*, *Zorna*, *Hawzi*, *Melhoun*...etc. Signalant que pendant l'année 2011, la ville de Tlemcen a été proclamée capitale de la culture islamique, de grandes manifestations culturelles ont été ainsi organisées.

Cependant, les lexies correspondant au domaine religieux sont en dernière position malgré que la période de la collecte des néologismes a coïncidé avec l'avènement du mois de Ramadhan, les

fêtes de *l'aïd Esseghir* et *l'aïd Elkebir*. Les lexies correspondant à ce domaine sont presque égales à celles du domaine culturel, nous citons les exemples suivants : *choura, post-chorba, Adhan du Maghreb, siyam makhoul, tarrawih, zakat, sadaka...*

2.2. Répartition des lexies néologiques par journal

Nous avons sélectionné trois journaux d'étude et non pas un seul afin de collecter le plus grand nombre de néologismes. Nous avons choisi les trois journaux les plus lus, ce choix est bien réfléchi. D'une part, démontrer que le processus néologique en Algérie ne se manifeste pas seulement dans un seul journal et d'autre part, établir une comparaison dans notre analyse du corpus entre ces trois journaux pour voir si ce processus néologique est réparti d'une manière équitable. Les lexies néologiques sont réparties comme suit :

Néologismes Journal	Nombre de néologismes	Pourcentages
El Watan	128	22,06%
Quotidien d'Oran	319	55%
Liberté	133	22,93%
Total	580	100%

Tableau 02 : Répartition des lexies néologiques par journal.

A la lecture de ce tableau, nous remarquons que 319 néologismes sont produits dans le journal le Quotidien d'Oran, c'est-à-dire presque sur 2

néologismes produits, un néologisme est produit par les journalistes du Quotidien d'Oran. Ainsi les deux autres journaux, El Watan et Liberté se partagent respectivement les nombres suivants : 128 et 133 néologismes.

Ces résultats peuvent être présentés de la manière suivante :

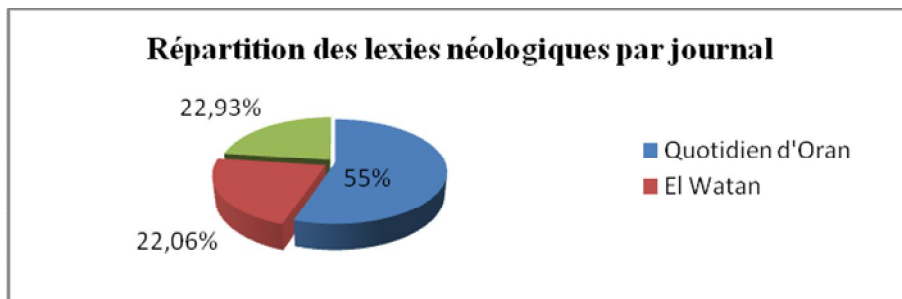


Figure 02

Ces chiffres peuvent être interprétés comme suit :

La primauté du journal Quotidien d'Oran dans la production de la plus grande proportion des lexies néologiques est remarquable. Plus de la moitié de ces lexies 55% sont collectées de ce journal, à noter que les attitudes et les comportements constituent l'un des centres d'intérêts des journalistes ce qui reflète d'ailleurs une grande subjectivité. Tandis que les deux journaux : *El Watan et Liberté* forment ensemble le pourcentage de 44.99 %. Dès lors, nous pouvons dire que le processus néologique se diffère d'un journal à l'autre selon la manière et la vision du monde de leurs journalistes.

2.3. Répartition des lexies néologiques par mois

Pour vérifier la régularité du processus néologique, nous allons procéder à leur répartition par mois. Notre objectif à travers cette répartition est de mettre l'accent sur l'influence des événements sociaux, culturels, politique et religieux sur la créativité linguistique qui émerge dans le discours journalistique algérien. La période de collecte des lexies a coïncidé avec un environnement complexe des émeutes, des manifestations et des protestations nationaux et internationaux, mais leur fréquence s'est différée d'un mois à l'autre.

Le nombre total des néologismes extraits pendant la période de douze mois (sept mois de l'année 2010 et cinq mois de l'année 2011) est 580 lexies, elles sont réparties comme suit :

	Néologismes Mois	Nombre	Pourcentage
2010	Juin	52	8,96%
	Juillet	39	6,72%
	Août	64	11,03%
	Septembre	62	10,68%
	Octobre	54	9,31%
	Novembre	33	5,68%
	Décembre	39	6,72%

2011	Janvier	58	10%
	Février	46	7,93%
	Mars	50	8,62%
	Avril	44	7,58%
	Mai	39	6,72%
Total	12	580	99,95%

Tableau 03: Répartition des lexies néologiques par mois

A la lecture de ce tableau, nous pouvons procéder au classement des mois selon le pourcentage le plus bas au plus élevé: novembre, mai, juillet, décembre, avril, février, mars, juin, octobre, janvier, septembre, août, ce qui va être présenté comme suit :

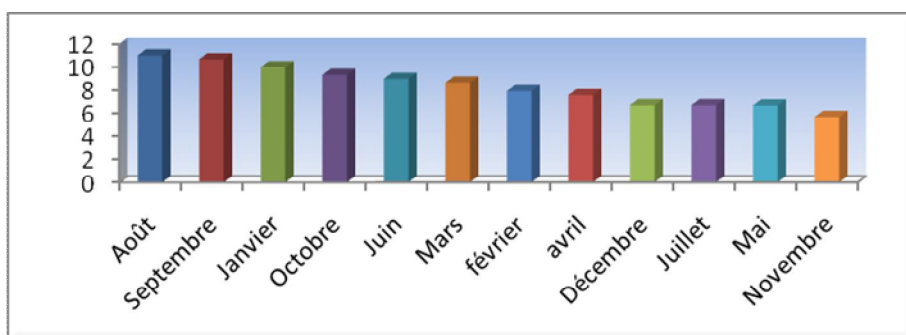


Figure 03: Répartition des lexies néologiques par mois

BENMAYOUF admet qu' « *il est impossible de dissocier les pratiques linguistiques des locuteurs qui les ont réalisées, utilisées ou colportées du contexte dans lequel les locuteurs s'inscrivent* » (7).

Si l'on prête attention à la conjoncture politique et socioculturelle pendant la période s'étalant du 01 juin 2010 jusqu'au 30 mai 2011, nous pouvons remarquer que la création lexicale est abondante durant les mois qui ont été très riches en événements. Marqués par de nombreux troubles, les 12 mois de notre période ont vu le surgissement de nombreuses formes néologiques. Ce constat permet d'affirmer que la néologie journalistique est soumise aux facteurs sociopolitiques et socioculturels.

La proportion des lexies parues pendant le mois d'août 2010 est écrasante cela s'explique par le fait que ce mois a coïncidé avec le mois de Ramadhan , la deuxième place est occupée par le mois de septembre 2010 cela est, sans doute, due à la rentrée sociale en Algérie qui consiste à la reprise des activités sociales, politiques, éducatives et culturelles et aussi la célébration de la fête religieuse musulmane l'Aïd El Fitr (10 septembre 2010). En troisième place le mois de janvier 2011, pendant lequel s'est déclenchée la révolution tunisienne qui a bouleversé le monde arabe même notre pays a connu des émeutes et des manifestations. La proportion élevée pendant ces trois mois s'explique, donc, par l'ensemble des événements nationaux et internationaux ainsi que religieux.

Les trois places suivantes sont occupées successivement par octobre et juin de l'année 2010 et mars 2011. Le mois d'octobre 2010 a été marqué par la pénurie de certains produits de grande consommation, la

hausse des prix et le manque de liquidité dans les postes. Pendant le mois de mars 2011, il y avait de grandes manifestations nationales et internationales. Ce qui était surprenant, c'est la proportion peu élevée des néologismes pendant le mois de juin 2010, on s'attendait à ce que ce mois soit bien riche surtout lorsque la période de la collecte des néologismes a coïncidé avec la coupe du monde à laquelle l'Algérie était qualifié, et même notre choix de la période était basé sur ce premier évènement. Il paraît, d'après ce constat, que les événements sociaux et politiques ont suscité beaucoup d'intérêt chez les journalistes.

Les trois mois : février et avril de l'année 2011 et décembre 2010 ont connu presque les mêmes proportions de néologismes qui sont successivement 7,93%, 7,58%, 6,72%. En mois de février 2011, le monde était toujours en bouleversement, c'est pourquoi sa proportion dépasse les deux mois suivants, pendant le mois d'avril 2011 les choses ont commencé à rentrer dans l'ordre soit au niveau national ou international ce qui a impliqué moins de néologismes. Ainsi pendant le mois de décembre 2010 les révolutions n'ont pas encore commencé ce qui explique sa proportion faible par rapport aux mois précédents.

En dernier lieu, juillet 2010, mai 2011 et novembre 2010, nous pouvons dire que ce classement de ces mois s'explique par leur pauvreté en évènements par rapport aux autres mois.

1. ANALYSE DES CONDITIONS D'ENONCIATION DES NEOLOGISMES

Comme nous l'avons mentionné ci-dessus, les raisons du surgissement des innovations lexicales ne peuvent pas être déterminées si ces unités sont examinées indépendamment de leurs conditions d'énonciation. Nous essayons d'analyser ces conditions dans notre corpus.

1.1. Niveaux de langue

Nous revenons aux trois composantes de la langue qui permettent de définir les registres selon MORTUREUX, qui sont la qualité de la prononciation, de la syntaxe ainsi que le choix du vocabulaire.

1.1.1. Qualité de la prononciation

La prononciation caractérise l'oral, nous adhérons au point de vue de DUCROT qui prétend que « *l'intonation n'a pas de réel équivalent à l'écrit car la ponctuation ne donne en vérité qu'une vague indication, qui permet de déterminer uniquement la fonction distinctive et démarcative* »⁽⁸⁾.

A partir des textes écrits, il est donc impossible de se faire une idée exacte de la manière dont ceux-ci ont été prononcés. Etant donné que notre corpus est constitué de l'ensemble des articles journalistiques collectés de la presse écrite francophone, ce critère s'avère impertinent pour la détermination des niveaux de langue dans notre corpus.

2.3.1. Syntaxe

Le non respect du code est un procédé omniprésent dans notre corpus, nombreux sont les néologismes qui, du point de vue syntaxique, témoignent la transgression de la langue. Nous citons à titre d'exemple les

lexies suivantes : *Tout est ghali, Poussini n'poussik, Made in Là-bas...*

2.3.2. Choix du vocabulaire

De manière générale, les journalistes dans leurs écrits se servent de la langue écrite usuelle. Cependant, nous avons remarqué que certains emplois de la langue présentent des écarts par rapport à la forme standard du français. Nous avons sélectionné quelques cas qui nous semblent significatifs :

- Des expressions populaires : notamment en arabe dialectal, il s'agit des exemples suivants : *Allah idjib el-khir, Allah yerham babak, El Hamdou lillah, Charika gadra, Hadj/Moussa hadj*
- Le niveau familier se manifeste également par le mélange de langues. L'alternance codique apparaît à travers l'insertion de segments d'énoncé ou d'énoncés relevant de deux langues différentes : arabe dialectal / français : *Sidi quelque chose*, Français/ arabe dialectal : *Grands souaggas*
- Le nombre des néologismes hybrides est de : 139 lexies.
- Les mots abrégés (ou troncations) sont employés généralement dans les situations de communication familière. Exemples : *Petit déj* (petit déjeuner), *H 24* (24 heures sur 24 heures), *Heures*

sup (heures supplémentaires), *Protesta* (protestation), *Barça* (Barcelona), *Infax* (informations), *Sarko* (Sarkozy).

- Les emprunts aux autres langues sont en nombre de : 299 lexies.

Les expressions populaires, le mélange de langues, la néologie syntaxique, les formes hybrides et les emprunts...etc., sont des marques associées au registre familier. Beaucoup de néologismes naissent dans les situations où les locuteurs pratiquent le registre familier. Ils apparaissent du fait du non-respect des règles du code linguistique. Ce recours au registre familier surtout aux formes hybrides et aux emprunts témoigne l'attachement des journalistes à leur appartenance sociale, ils se servent d'un vocabulaire approprié faisant partie de leur identité et leur quotidien. Il est à signaler que malgré ces transgressions des règles de la langue française, les journalistes se servent, aussi, d'un français correct, les règles syntaxiques sont respectées et les phrases sont bien construites. Ce qui nous laisse à dire que la créativité linguistique n'est pas due à l'incompétence en langue française.

2.4. Acte humoristique dans les lexies néologiques

EURARD explique que: « *l'écriture humoristique tend à manipuler le langage comme le lieu d'une activité ludique et poétique au sens de création, re-création et récréation* »⁽⁹⁾.

L'humour entretient, avec la pratique linguistique, plusieurs types de relations. L'humour, présent à travers certains néologismes résultants des jeux de mots dans les articles de presse, sert à faciliter la communication en créant des rapports de complicité et de familiarité entre l'émetteur et les

destinataires. Avec ce type de création, on assiste à une sorte de connivence des journalistes avec les lecteurs. Cette production humoristique rattache les lexies néologiques à la société dans laquelle elles naissent et elles se répandent.

Par la création humoristique, le journaliste manie la langue pour faire plaisir aux lecteurs. Cette pratique favorise, dans les écrits journalistiques, l'émergence de certaines innovations lexicales. Les jeux de mots constituent un moyen privilégié pour obtenir cet effet, cela justifie le foisonnement des néologismes à fonction ludique. Les unités linguistiques dont l'emploi vise à produire un effet humoristique sont nombreuses dans notre corpus. Nous avons extrait les exemples suivants : *Ma'aak yal khodra*, *Parking-trottoir*, *Soucial*, *Annation*, *Taxi-heurts*, *Sauciale*, *Sauciaux*, *Prêt-à-jeter*, *Prêt-à-manger*, *Harraga numériques*, *Demmerebarkisme*, *Medmour*, *Zenga zenga*, *Ben oui*, *Sarkozine*.

Conclusion :

Le contexte médiatique algérien est devenu la scène d'un développement impressionnant de lexies néologiques témoignant du dynamisme de la langue française dans le secteur de l'information et de la presse. Les raisons d'une telle création sont diverses. Cet enrichissement linguistique traduit, sur le plan des pratiques langagières, les nombreux besoins auxquels le locuteur est contraint de répondre. Ces lexies traduisent la situation d'instabilité qu'a connue notre pays ces dernières années et interprètent les réalités et le vécu du locuteur algérien entraînant l'apparition d'un français souvent qualifié d'Algérie traduisant une identité singulière algérienne.

Le capital lexical néologique proposé et fourni par les journalistes algériens n'a pas la prétention de l'exhaustivité. Il a seulement celui d'être un échantillon, un reflet de la réalité. La presse écrite algérienne témoigne sa volonté d'exister, d'apporter son point de vue sur la réalité sociale qui l'entoure, de s'exprimer pour participer à la vie de communauté, de s'identifier car, comme l'affirme TOUALBI : « *L'identité s'affiche quand elle a besoin de parler, de se dire. C'est alors qu'elle se formule comme manifestation d'une différence par rapport à l'Autre auquel elle entend signaler la particularité des caractères intrinsèques mais par rapport à soi également qui a besoin de se convaincre que son originalité est suffisamment visible pour être presque comme constitutive d'une identité sui generis, c'est-à-dire à nulle autre semblable* »⁽¹⁰⁾.

❖ **Références bibliographiques:**

- (1) LABOV W., *Sociolinguistique*, Minuit, Paris, 1976, p.262
- (2) BENVENISTE E., *Problèmes de linguistique générale*, Gallimard, France, 1966, p.25.
- (3) ZHENHUAXU, *Le néologisme et ses implications sociales*, L'Harmattan, France, 2001, p.15
- (4) BAKHTINE M., *Le marxisme et la philosophie du langage. Essai d'application de la méthode sociologique*, trad. Fr., Minuit, Paris, 1977, p.136.
- (5) MAINGUENEAU D., *L'Analyse Du Discours, Introduction aux lectures de L'Archive*, Hachette, Supérieur, Paris, 1991, p. 179.
- (6) ZHENHUA XU, *Op.cit.*, p.55
- (7) BENMAYOUF Y.-C. , *Les Néologismes Hybrides Franco-arabes Dans La Réalité Algérienne D'aujourd'hui*, Congrès International d'Euralex, 25 ans d'études de dictionnaires. Sur <http://www.iula.upf.edu>. Consulté le 01/08/2009.
- (8) DUCROT J. -M., *Les Relations entre oral et écrit : Prise de conscience d'une problématique d'ordre didactique*, Synergies F.L.E. Sur <http://www.france-synergies.org>.
- (9) EURARD F, *L'humour, « Contours Littéraires »*, Hachette, Paris, 1996, p. 73.
- (10) TOUALBI N., *L'identité au Maghreb*, Casbah Editions, Alger, 2000, p.186.

Insight et trouble obsessionnel compulsif : à propos d'un cas

Ratiba Djedid, Université de Bejaia, Algérie.

Résumé :

The obsessive compulsive disorder is a frequent illness which affect 2 to 3% of the population. It evolves progressively till it becomes within a few years really disabling. In addition, we should notice that the patient is aware of his pathology. It is this awarness that called the insight on which depends the diagnostic and the therapentic task. That's why we aim through our study to assess the relationship between anxiety and insight in the patient suffering from obsessive compulsive disorder.

الملخص:

الوسواس القهري مرض متواتر يصيب 2 إلى 3 ٪ من السكان، ويتطور المرض بصفة تدريجية إلى أن يشكل بعد بضع سنوات إعاقة فعلية. وتجدر الإشارة إلى أن المريض يكون واعيا بحالته المرضية وهذا الوعي هو ما يطلق عليه تسمية أنصايت بالانجليزية و عليه يتوقف كل العمل التشخيصى و العلاجى. ولهذا نأخذ نهدف من خلال دراستنا إلى تحديد العلاقة بين القلق و الأنصايت لدى المريض المصاب بالوسواس القهري .

Introduction:

Le Trouble obsessionnel-compulsif (TOC) constitue sans doute le trouble anxieux le plus grave et le plus incapacitant. Il est caractérisé par la présence d'obsessions récurrentes à l'origine d'une anxiété le plus souvent sévère et éprouvante que le sujet cherche à diminuer en se servant de divers moyens appelés stratégies de neutralisation. Celles-ci, nommées parfois comportements sécurisants, peuvent prendre différentes formes dont celle de compulsions ou rituels.

Le TOC est une maladie fréquente. D'après un ensemble d'études américaines, elle touche près de 2% de la population comme dans d'autres pays où la maladie a été étudiée. En l'Algérie, il n'y a pas eu d'études épidémiologiques du TOC, néanmoins la fréquence constatée dans d'autres pays, laisse supposer que près d'un million de personnes adultes en seraient touchées.

Les troubles obsessionnels compulsifs se composent d'obsessions et de compulsions : Les *obsessions* sont des idées, des pensées, des impulsions ou des représentations persistantes qui sont vécues comme intrusives et inappropriées et qui entraînent une anxiété ou une souffrance importante.

Les *compulsions ou rituels* sont des comportements répétitifs observables (« overt » en anglais, par exemple se laver les mains, ranger dans un certain ordre ou vérifier) ou des actes mentaux également répétitifs mais non observables (« covert » en anglais, par

exemple prier, compter ou répéter des mots de manière silencieuse) dont le but est de prévenir ou de réduire l'anxiété ou la souffrance causées par les obsessions et non de procurer plaisir ou satisfaction.

Le trouble obsessionnel compulsif peut toucher n'importe quel individu. Il en est ainsi, par exemple, du célèbre producteur américain Haward Hugues ou du grand romancier Emile Zola. Le trouble s'installe de façon progressive pendant quelques mois ou quelques années, ou parfois de façon brusque en quelques semaines.

C'est une maladie du sujet jeune qui débute entre 3 et 18ans, en moyenne à l'âge de 12 ans et les rares données disponibles estiment le trouble à 0,8 % d'une population d'adolescents. En ce qui concerne la prise en charge, seulement 10% des enfants souffrant de TOC vont consulter avant l'âge de 7ans. Chez les garçons la maladie se déclare avant la puberté, tandis que les filles vont consulter au moment de la puberté.

La maladie se déclenche après 35ans chez seulement 15% des sujets. La maladie touche indifféremment l'homme ou la femme.

Cependant les thèmes des obsessions – compulsions sont déterminées par le sexe : on constate les rituels de lavage et les obsessions agressives chez les femmes alors que les hommes sont portés sur les rituel de vérification.

Dans une étude sur l'âge de survenue des TOC sous la direction du professeur Bruno Millet Harreguy, on a constaté que 80% des troubles surviennent pendant l'adolescence, même si certains TOC apparaissent dès l'enfance et que de 0.5 à 0.3% des enfants et des adolescents en souffrent.

Cette pathologie évolue progressivement jusqu'à devenir après quelques années franchement handicapante pour le sujet. Ainsi on peut considérer les TOC comme une maladie du développement relationnel et une maladie du développement comportemental.

Par ailleurs, les Toc peuvent survenir moins souvent vers 35 ou 40 ans.

Dans ces cas de figure, la maladie de déclenche suite à un événement traumatisant rupture affective, agression....etc.

On peut dire, en résumé que deux catégories de patients sont touchées par les TOC : la première souffre de TOC ayant une origine traumatique ou réactionnelle ; tandis que la seconde souffre de Toc dont l'évolution est lente et qui commence des l'enfance. Ces TOC sont liés à une vulnérabilité génétique ou biologique.

Le TOC est une maladie qui répond à des critères diagnostiques précis insistant notamment sur la présence d'obsessions et /ou de compulsions qui prennent plus d'une heure par jour ou entraînant une souffrance objective quotidienne.

Il ya de nombreuses thématiques aux obsessions et compulsions. Les plus classiques sont les peurs de la contamination ou de la saleté avec un rituel de lavages répétés « je vais me laver les mains parce que j'ai peur d'avoir touché quelque chose de sale ou de contaminant » ; et es obsessions de doute « peur d'avoir fait une erreur » avec compulsions de vérifications « je vais relire ou refaire ça plusieurs fois pour être sûr ».

Chez un patient, les compulsions peuvent prendre une part majeure : par exemple, passer des heures à ranger les choses correctement ; et les obsessions peuvent être beaucoup moins handicapantes et durent peu de temps « je suis anxieuse, mais je ne sais pas dire qu'elle idée précise me pousse à ranger ». D'autres formes sont principalement composées d'obsessions « très peu de rituels moteurs ». Enfin d'autres formes sont dites mixtes (autant d'obsession que de compulsions).

Le diagnostic différentiel nous permet de savoir s'il s'agit bien d'un TOC et non d'un TOC avec d'autres troubles associés (comorbidité).

- Il ne faut pas confondre la lenteur, ou les idées négatives des personnes atteintes de TOC avec celles d'une personne déprimée.
- Le TOC est un trouble anxieux à ne pas confondre avec les autres troubles anxieux, comme le trouble anxieux généralisé (TAG) par exemple. Dans les TOC, les personnes sont

anxieuses pour des choses très précises, alors que dans les TAG, l'anxiété se porte sur l'ensemble des événements de la vie quotidienne.

- Ne pas confondre les tics et les TOC : Les Tics sont des mouvements que la personne fait pour soulager une tension et non de l'anxiété. De même, il n'y a pas d'obsessions motivant les tics.

Le diagnostic de comorbidité consiste à se demander si le TOC est associé ou non à un autre problème psychiatrique. Cette question peut paraître superflue dans l'optique où il faudra soigner de toute façon le TOC. Elle est en réalité centrale dans la mesure où une comorbidité va influencer fortement le choix dans le traitement. De façon générale, la présence de problèmes psychiatriques associés au TOC va inciter le thérapeute à prescrire des médicaments. De plus, le trouble associé influencera le choix du ou des médicaments utilisés. Le TOC est rarement une pathologie isolée, mais est le plus souvent associé à d'autres affections psychiatriques parmi lesquelles :

- Les troubles de l'humeur : avec la dépression majeure (67%) ou le trouble bipolaire (13%).
- Les troubles anxieux, qu'il s'agisse des phobies spécifiques (22%), de la phobie sociale (18%) ou du trouble de panique (12) %).
- Les troubles des conduites alimentaires (17%).

- Les troubles liés à l'utilisation des substances psychoactives comme l'alcool (14%).
- La maladie de Gille de la tourette (17%).

Le Docteur Alain Sauterand dans son manuel du thérapeute rapporte que les chiffres de comorbidité sont cependant très variés en fonction des modes de recrutement des patients ou des méthodologies des études.

Dans l'étude épidémiologique ECA (Epidémiologic Catchment Area) réalisée au USA utilisant les critères diagnostiques du DSM, les sujets souffrant de TOC présentaient un autre trouble psychiatrique dans les 2/3 des cas. Cette comorbidité du TOC avec un autre trouble est résumée dans le tableau ci dessous :

Agoraphobie	39%
Alcoolisme	34%
Dépression majeur	32%
Dysthymie	26%
Toxicomanie	22%
Phobie sociale	19%

Trouble de panique	14%
Trouble bipolaire	10%

Remarque le total des pourcentages dépasse largement 100%, car de nombreux patients ont plusieurs troubles associés.

Par ailleurs le Docteur Alain Sautraud cite les troubles de comorbidité possibles, à savoir :

Les autres troubles anxieux : le trouble de panique, les phobies spécifiques, l'agoraphobie, l'état de stress-post traumatique, le trouble anxieux généralisé l'hypochondrie et la phobie sociale.

- La dépression et les troubles bipolaires.
- Les troubles des conduites alimentaires.
- La dysmorphobie.
- La maladie des tics de Gille de la Tourette.
- La Trichotillomanie.
- Le jeu pathologique.
- La schizophrénie.
- Un trouble de personnalité.

Les troubles de comorbidité chez les enfants sont les suivants :

- L'incitation du TOC parental.
- Les Tics.
- Le PANDA : Pendiatic Autoimmine Neuropsychiatric Disorder Associated with streptococal infection.

- L'anorexie mentale et les maladies somatiques.
- L'anxiété de séparation.
- Les troubles oppositionnels de l'enfant et le déficit de l'attention / hyperactivité.

Par ailleurs l'intérêt d'identifier la comorbidité nous permet de hiérarchiser les problèmes et d'opter pour le traitement le plus efficace (chimiothérapie et psychothérapie).

Les origines des troubles obsessionnels compulsifs sont méconnues. Elles seraient liées à de multiples facteurs : génétiques ; neurophysiologiques ; psychologiques ou encore immunitaires.

Chez les personnes souffrant du TOC, il y a lieu de noter que le patient est conscient de sa pathologie et c'est ce qui l'empêche d'aller consulter de crainte d'être pris pour un fou : c'est cette conscience-là de la maladie qu'on appelle *Insight* .

L'*insight* est un terme anglais traduit en français de manière approximative par différents mots : «conscience du trouble», «introspection», «déli», «anosognosie», «discernement».

Ces traductions ne sont pas appropriées car chacun de ces mots a une histoire différente et renvoie à une discipline particulière. Par exemple, les neurologues utilisent « l'anognosie » qui renvoie à une absence de connaissance de son hémicorps controlatéral à la lésion cérébrale alors que « le déni » et/ou « l'introspection » renvoient à des processus inconscients avec une connotation

psychodynamique. De la même manière, la traduction de l'*insight* en gestaltthérapie par « *la découverte soudaine de la solution d'un problème* » est très différente de sa traduction en psychologie cognitive par « *la capacité cognitive* » et/ou par « *la théorie de l'esprit* ».

Cette question qui n'est pas seulement un effet de genre ou de traduction est fondamentale car de nos jours le terme *insight* est de plus en plus utilisé dans la littérature scientifique sans que l'on comprenne à quoi cela renvoie. L'utilisation du mot « conscience » utilisé ci-dessus doit être appréhendée sous un angle sémantique plutôt que celui d'une connotation conceptuelle habituelle.

L'*insight* est la compréhension que le patient a de son état, de lui-même, de ses lacunes et de ses ressources ; sa capacité de comprendre qu'il est malade et de former une explication valable de son état en examinant sa façon de penser et d'agir.

Le manque d'*insight* couvre un concept encore plus large en intégrant plusieurs dimensions dans l'aveuglement de l'individu quant à ses symptômes. Parmi ces dimensions, on trouve :

- Le manque de reconnaissance de la maladie mentale.
- L'oblitération de la clairvoyance de certains symptômes par rapport à d'autres ;
- L'incapacité à attribuer une cause à la maladie ;
- Le manque d'adhésion au traitement ;

- L'incapacité à reconnaître le degré de retentissement de la maladie sur son entourage.

Toutes ces dimensions peuvent être atteintes mais, souvent, l'une d'entre elles seulement est altérée, ce qui contribue à rendre le malade « bizarre ».

Le déficit d'insight a longtemps été considéré comme un symptôme permanent et stable, presque constitutif, chez l'individu ; il est apparu récemment qu'il pouvait fluctuer dans le temps et être sensible à la prise en charge thérapeutique dans le TOC. Des auteurs ont proposé trois aspects pour l'insight qui sont :

- l'*insight* clinique est défini par l'aspect de l'*insight* relatif à la conscience de la maladie ;
- l'*insight* cognitif est défini comme la capacité du patient à reconnaître ses distorsions cognitives et à en faire des interprétations erronées ;
- l'*insight* somato-sensoriel est défini comme la capacité à identifier les désordres de son propre corps.

L'insight dans le trouble obsessionnel compulsif (TOC) est une question importante car elle conditionne la prise en charge des patients souffrant de cette pathologie. En effet, un faible insight peut être responsable d'une non-reconnaissance du caractère absurde des obsessions par le patient qui peut alors être diagnostiqué comme

psychotique et se voir proposer une prise en charge thérapeutique inadaptée.

Au cours de l'histoire, la notion d'insight est apparue dans le TOC avec l'émergence de la notion du TOC égodystonique (obsessions critiquées) s'opposant au TOC égodyntonique (obsessions non critiquées) . Dans cette approche catégorielle, l'insight était défini comme un symptôme de la maladie et il était considéré comme constant tout au long de la maladie. Cependant, différents auteurs avaient critiqué cette définition catégorielle de l'insight dans le TOC en attirant l'attention sur le caractère non permanent de l'insight au décours de la maladie. Insel et Akiskal , en 1986, postulent que l'insight dans le TOC doit être considéré d'une manière dimensionnelle car il n'est pas stable dans le temps.

Ils définissent l'insight dans le TOC « comme la capacité du patient à faire face aux idées intrusives », constituant ainsi un spectre allant d'une résistance maximale à l'absence totale de

résistance. Ce continuum comprend, d'un côté, les patients TOC reconnaissant le caractère absurde et irraisonnable de leur pathologie, et, de l'autre côté, les patients ne le reconnaissant pas.

D'autres études ont utilisé une approche dimensionnelle, dans laquelle l'insight est défini comme la solidité de la croyance (« *strength of believes* »). Le concept de la solidité de la croyance en tant que des idées surévaluées (« *overvalued ideas* ») a été introduit par Wernicke en 1900 : selon lui, les idées surévaluées sont issues

d'une seule croyance que la personne perçoit comme justifiée, et qui va solidement déterminer son action.

Il existe deux façons d'évaluer l'insight des patients TOC :

- l'approche catégorielle
- l'approche multidimensionnelle, où les croyances de l'individu sont évaluées sur plusieurs dimensions (ex: la rigidité, l'étrangeté, la résistance, le niveau de contrôle, ...etc).

Concernant l'approche catégorielle, l'item # II du Y-BOCS permet d'évaluer jusqu'à quel point le client est conscient qu'il souffre d'un TOC ou non.

Les études utilisant l'approche catégorielle de l'insight dans le TOC ont évalué celui-ci avec un seul item, l'item 11 de l'échelle Y-BOCS (*Yale Brown Obsessive Compulsive Scale*). Cet item évalue la capacité du patient à reconnaître sa maladie. Un score de zéro/deux est considéré comme faible insight, alors qu'un score de trois/quatre est assimilé à un bon insight.

Pour ce qui est de l'approche multidimensionnelle, il existe seulement deux questionnaires validés conçus pour évaluer les convictions obsessionnelles sur plusieurs dimensions:

- le *Brown Assessment of Belieft Scale* (BABS; Eisen et al., 1998);

- *l'Overvalued Ideas Scale* (OVIS; Neziroglu, McKay, Tobias, Stevens, & Todaro, 1999; Neziroglu, Stevens, McKay, & Tobias, 2001).

Le *Brown Assessment of Belieft Scale* (BABS (Eisen et al., 1998) est une entrevue semi-structurée de sept items spécifiquement conçue afin d'évaluer l'insight auprès d'une population souffrant de troubles psychiatriques. Durant la passation de cette entrevue, l'évaluateur doit coter les croyances de l'individu sur plusieurs dimensions:

- Le degré de conviction,
- La perception du point de vue des autres,
- L'explication des différents points de vue,
- La rigidité des croyances,
- Les tentatives que le sujet fait pour réfuter ses croyances,
- L'insight et les idées de référence.

Quant à l'*Overvalued Ideas Scale* (aVIS), il s'agit d'un questionnaire plus spécifique au TOC qui évalue les dimensions suivantes

- La force de la croyance.
- L'aspect raisonnable de la croyance.
- Le degré de conviction.

- La justesse de la croyance.
- Le degré d'adhérence par les autres.
- Les raisons qui expliquent pourquoi les autres ne partagent pas les mêmes croyances
- L'efficacité des compulsions.
- La prise de conscience (insight).
- La force de la croyance.

Suivant cette approche, deux échelles ont été validées : la BABS (*Brown Assessment of Beliefs Scale*) et l'OVIS (*Overvalued Ideas Scale*). L'utilisation de ces échelles dans différentes études chez les patients souffrant d'un TOC montre l'existence d'une relation entre un faible insight et différentes variables cliniques telles qu'un âge de début précoce, une durée de maladie plus longue, un nombre et une sévérité accrus des symptômes, une plus faible réponse à la psychothérapie et/ou aux traitements psychotropes.

Notre étude portera sur la question suivante :

Ya-t-il une relation entre l'insight et le degré de l'anxiété ?

Notre hypothèse est la suivante :

Il y a une relation entre le degré de l'anxiété et la qualité de l'insight.

Protocole d'étude :

Pour réaliser cette étude, nous avons suivi les démarches suivantes :

Première étape : diagnostic du TOC.

Deuxième étape : application des deux échelles d'évaluation : l'échelle de Yale Brown et l'échelle d'évaluation de l'anxiété de Hamilton à la patiente en phase de calme (repos).

Troisième étape : exposer la patiente à sa thématique obsessionnelle et appliquer les deux échelles : l'échelle de Yale Brown et l'échelle d'évaluation de l'anxiété de Hamilton

Méthodologie de l'étude

A faire de mener à bien notre étude, nous avons choisi l'étude de cas. Par définition, la méthode de cas est appropriée pour étudier de façon approfondie des situations cliniques isolées ou rares ; elle constitue ainsi un authentique travail d'analyse et de synthèse.

Les outils de l'étude

Pour répondre à notre question, nous avons utilisé deux échelles et un entretien clinique :

- L'entretien clinique : nous avons opté pour l'entretien semi-directif.
- L'échelle de Yale Brown pour connaître la qualité de l'insight.
- L'échelle d'évaluation de l'anxiété de Hamilton.

Présentation de l'échelle de Yale Brown (YBOCS):

Application :

Conçue par Goodman et Coll (1989), cette échelle se présente comme un entretien structuré. Elle permet d'obtenir la mesure de la sévérité des symptômes obsessionnels sans être biaisée par la présence ou l'absence d'un type particulier d'obsession ou de compulsions.

Mode de passation :

Le clinicien donne tout d'abord la définition des obsessions et des compulsions au patient. Puis il fait une enquête à l'aide d'une liste d'obsessions et de rituels passés ou actuels. L'évaluateur définit ensuite les 3 principales obsessions, les 3 principaux rituels et les principales situations actuellement évitées par le patient. Ces symptômes définis, l'évaluation de YBOCS proprement dite commence. Un seul item permet d'évaluer l'insight, c'est l'item 11. Celui-ci évalue la capacité du patient à reconnaître sa maladie.

Cotation :

Un score de zéro/deux est considéré comme faible insight, alors qu'un score de trois/quatre est assimilé à un bon insight.

Présentation de l'échelle d'anxiété de Hamilton :

C'est l'échelle d'anxiété la plus utilisée. Elle a été conçue pour être utilisée chez des patients ayant un diagnostic d'anxiété afin d'évaluer sa sévérité.

Mode de passation

Elle comporte 14 items que va coter un évaluateur après un entretien clinique classique. D'après Pichot., la note (0) correspond à l'absence de manifestation des symptômes, la note (1) correspond à des manifestations d'intensité légère, la note (2) à des manifestations d'intensité moyenne, (3) à des manifestations fortes et (4) à des manifestations d'intensité extrême, véritablement invalidantes. La note (4) ne doit être attribuée qu'exceptionnellement à des maladies ambulatoires. La cotation est déterminée par la symptomatologie actuelle, c'est-à-dire, le comportement au cours de l'entretien ou des symptômes d'une durée maximum d'une semaine

Cotation :

La note globale est la somme des notes obtenues à chacun des items. Il est possible d'avoir deux notes partielles : note d'anxiété psychique(somme des items 1-2-3-4-5-6-14) et une note d'anxiété somatique (somme des items de 7 à 13).

Norme : d'après Bech et coll.(1989) :

De 0-5= pas d'anxiété.

De 6 à 14= anxiété mineure.

15 et plus= anxiété majeure.

Présentation d'un cas clinique

Biographie

Mademoiselle Anissa a 25ans, elle est née à Alger d'une famille de deux enfants (une fille et un garçon). Elle est l'aînée de la fratrie. Les antécédents familiaux révèlent que le père souffre d'une paranoïa et consulte un psychiatre et que la mère souffre d'une hypertension artérielle. La patiente rapporte avoir reçu une éducation privilégiée (elle se sent bien dans sa famille et bien entourée).

La mère et le père l'encouragent très souvent sans lui mettre la pression pour qu'elle réussisse. En revanche, c'est elle qui se montre exigeante avec elle-même ; de plus elle se montre perfectionniste dans ce qu'elle entreprend. La patiente a suivi des études universitaires avec un excellent cursus. Par ailleurs, elle a travaillé pendant deux ans dans une entreprise multinationale.

Histoire de la maladie (Anamnèse)

La patiente présente le trouble obsessionnel compulsif depuis trois ans. Celui-ci se manifeste par la peur de la poussière, des agents sales comme : l'urine, l'eau sale et les fruits et légumes achetés au marché ... etc.

Au départ, le trouble se manifeste par une certaine exigence d'hygiène et de propreté. Par exemple, elle ne supporte pas de voir la poussière, ne rentre pas avec ses chaussures à la maison, mais le TOC s'amplifiant peu au cours des années, les rituels prennent

beaucoup de temps. La patiente souffre d'un TOC sous forme de lavage qui l'a contrainte à l'invalidité professionnelle.

La patiente a consulté de nombreux psychiatres et a suivi des traitements dès l'âge de 22ans mais sans amélioration.

Le diagnostic

Pour diagnostiquer le trouble, nous avons utilisé le DSM-IV R manuel diagnostique

2-1-Diagnostic positif du trouble obsessionnel compulsif

2-1 -1-Critères diagnostiques du trouble obsessionnel compulsif selon le DSM-IV tr :

A- Existence soit d'obsessions soit de compulsions :

➤ Obsessions définies par (1),(2),(3),(4) :

- (1)- Pensées, impulsions ou représentations récurrentes et persistantes qui, à certains moments de l'affection, sont ressenties comme intrusives et inappropriées et qui entraînent une anxiété ou une détresse importante.
- (2)- Les pensées, impulsions ou représentations ne sont pas simplement des préoccupations excessives concernant les problèmes de la vie réelle.

(3)- Le sujet fait des efforts pour ignorer ou réprimer ces pensées, impulsions ou représentations ou pour neutraliser celles-ci par d'autres pensées ou actions.

(4)- Le sujet reconnaît que les pensées, impulsions ou représentations obsédantes proviennent de sa propre activité mentale (elles ne sont pas imposées de l'extérieur comme dans le cas des pensées imposées).

➤ **Compulsions définies par (1) et (2) :**

(1) - Comportements répétitifs (p. ex., lavage des mains, ordonner, vérifier) ou actes mentaux (p.ex., prier, compter, répéter des mots silencieusement) que le sujet se sent poussé à accomplir en réponse à une obsession ou selon certaines règles qui doivent être appliquées de manière inflexible.

(2)- Les comportements ou les actes mentaux sont destinés à neutraliser ou à diminuer le sentiment de détresse ou à empêcher un événement ou une situation redoutés ; cependant, ces comportements ou ces actes mentaux sont soit sans relation réaliste avec ce qu'ils se proposent de neutraliser ou de prévenir, soit manifestement excessifs.

B- A un moment durant l'évolution du trouble, le sujet a reconnu que les obsessions ou les compulsions étaient excessives ou irraisonnées.

N.B. Ceci ne s'applique pas aux enfants.

C- Les obsessions ou compulsions sont à l'origine de sentiments marqués de détresse, d'une perte de temps considérable (prenant plus d'une heure par jour) ou interférant de façon significative avec les activités habituelles du sujet, son fonctionnement professionnel (ou scolaire) ou ses activités ou relations sociales habituelles.

D-Si un autre trouble de l'Axe I est aussi présent, le thème des obsessions ou des compulsions n'est pas limité à ce dernier(p.ex., préoccupation liée à la nourriture quand il s'agit d'un trouble des conduites alimentaires ; au fait de s'arracher les cheveux en cas de trichotillomanie ; inquiétude concernant l'apparence en cas de peur d'une dysmorphie corporelle ; préoccupation à propos de drogue quand il s'agit d'un trouble lié à l'utilisation d'une substance ; crainte d'avoir une maladie sévère en cas d'hypocondrie ; préoccupation à propos de besoins sexuels impulsifs ou de fantasmes en cas de paraphilie ; ou rumination de culpabilité quand il s'agit du trouble dépressif majeur.

E- La perturbation ne résulte pas des effets physiologiques directs d'une substance (p.ex. : une substance donnant lieu à abus, ou un médicament) ni d'une affection médicale générale.

Spécifier :

Avec peu de prise de conscience : si, la plupart du temps durant l'épisode actuel, le sujet ne reconnaît pas que les obsessions et les compulsions sont excessives ou irraisonnées.

Selon la classification du DSM IV, le diagnostic suivant peut être évoqué :

Axe I : trouble obsessionnel compulsif ;

En suivant les critères de diagnostic appliqués à la patiente, nous avons pu constater la présence du premier, du troisième et du quatrième critère définissant l'obsession. La présence des obsessions se manifestant par des pensées intrusives. Concernant les compulsions, nous avons noté la présence de tous les critères du tableau clinique

- Axe II (troubles de la personnalité) : absence ;
- Axe III (affections médicales générales) : absence.
- Axe IV : problème professionnel

Résultat et interprétation

Nous avons fait passer l'échelle de Yale Brown à la patiente en phase de repos (calme) et nous avons obtenu un score de trois.

Nous sommes parvenus à la conclusion que la patiente présente un bon insight.

Concernant l'échelle de Hamilton, la patiente présente une anxiété majeure ayant obtenu un score de 23.

Quand nous avons mis la patiente en face de ses obsessions, nous lui avons demandé de toucher la poussière qui est sur le bureau sans se laver les mains.

La patiente exécute la tâche et juste après, on lui demande de refaire les deux tests

Concernant l'échelle de Yale Brown, la patiente a eu un bon insight. En revanche l'échelle de l'anxiété a enregistré un score très important qui est de 26.

Selon les résultats obtenus, nous avons constaté que même si la patiente est face à ses obsessions qui sont à l'origine de son anxiété, elle garde un bon insight.

Conclusion :

Notre hypothèse n'a pas été confirmée. Donc, il n'ya pas de relation entre l'insight et le degré d'anxiété.

Bibliographie :

1. A .H Clair et V Trybou, 2013 : Comprendre et traiter les TOC, édition Dunod France.
2. Alain Sauteraud, 2005 : Le trouble obsessionnel-compulsif: le manuel du thérapeute, édition Odile Jacob.
3. Alain Sauteraud,2002 : Je ne peux pas m'arrêter de laver, vérifier, compter Mieux vivre avec un TOC, éditions Odile Jacob, France.
4. B . Aouizerate, J.Y . Rotgé, 2007 : Le traitement du TOC, édition Masson, France.
5. B. Aouizerate,2011 : Stratégie thérapeutique dans le TOC, synthèse des actes des 4eme journée de Saujon, l'encéphale, PARIS, France.
6. Boulenger R Jean-Philippe, LÉPINE Jean-Pierre,2014 : Les troubles anxieux, Editeur Lavoisier.
7. Bruno Millet-ILharreguy, 2015 : Mieux soigner les TOC: Les promesses de la stimulation cérébrale éditions Odile Jacob
8. Chaloult, L., Goulet, J., Ngô, T.L., 2014 : Guide de pratique pour le traitement du Trouble obsessionnel-compulsif (TOC) , Polyclinique médicale Concorde, Cité de la Santé de Laval, Hôpital du Sacré-Cœur de Montréal.

9. Ivan Gasman, Jean-François Allilaire,2009 : Psychiatrie de l'enfant, de l'adolescent et de l'adulte, Elsevier Masson.
10. Jaafari N., Marková IS. (2011) Le concept de l'insight en psychiatrie Annales Médico-Psychologiques (HAL), Elsevier Masson.
11. Martine Bouvard et Jean Cottraux,2002 : Protocoles et échelons d'évaluation en psychiatrie et en psychologie, édition Masson
12. Serban Ionescu et Alain Blanchet,2013 : Méthodologies de recherche en psychologie clinique, édition Presses universitaires de France.
13. V. Gousse et al, 2005 : Fonctions exécutives dans le trouble obsessionnel compulsif : effet de l'âge de début des troubles, l'encéphale, PARIS, France.